

الكتاب: كتاب الفتوح
المؤلف: أحمد بن أعثم الكوفي

الجزء: ٣

الوفاة: ٣١٤

المجموعة: مصادر سيرة النبي والائمة

تحقيق: علي شيري (ماجستير في التاريخ الإسلامي)

الطبعة: الأولى

سنة الطبع: ١٤١١

المطبعة: دار الأضواء

الناشر: دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع

ردمك:

ملاحظات: دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع ص ب ٤٠ / ٢٥ غبيري - أو

٦٦٤١ / ١١٣ الحمرا . / تلكس ٢٣٧١٧ بيدر أو ٢٣٤٠٧ هادي - بيروت

- لبنان

كتاب الفتوح

(١)

جميع حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الأولى
١٤١١ هـ - ١٩٩١ م
دار الأضواء
للطباعة والنشر والتوزيع
ص ب ٤٠ / ٢٥ غبيري - أو ٦٦٤١ / ١١٣ الحمرا.
تلکس ٢٣٧١٧ بيدر أو ٢٣٤٠٧ هادي - بيروت - لبنان

كتاب الفتوح
للعلامة أبي محمد أحمد بن أعثم الكوفي
(المتوفي نحو سنة ٣١٤ هـ / ٩٢٦ م)
تحقيق
علي شيري
ماجستير في التاريخ الاسلامي
الجزء الثالث
دار الأضواء

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

(٤)

بسم الله الرحمن الرحيم
ذكر وقعة الماء وهي أول وقعة صفين
قال: فدعا علي رضي الله عنه بشبث (١) بن ربعي الرياحي وصعصعة بن
صوحان العبدي فقال لهما: انطلقا إلى معاوية فقولوا له: إن خيلك قد حالت بيننا
وبين الماء، ولو كنا سبقناك لم نحل بينك وبينه، فإن شئت فخل عن الماء حتى
نستوي فيه نحن وأنت، وإن شئت قاتلناك عليه حتى يكون لمن غلب وتركنا ما جئنا له
من الحرب.

قال: فأقبل شبث (١) فقال: يا معاوية! إنك لست بأحق من هذا الماء منا فخل
عن الماء، فإننا لا نموت عطشا وسيوفنا على عواتقنا.
ثم تكلم صعصعة بن صوحان فقال: (٢) يا معاوية! إن أمير المؤمنين علي بن
أبي طالب يقول لك: إننا قد سرنا مسيرنا هذا وإنني أكره قتالكم قبل الإغدار إليكم،
فإنك قدمت خيلك فقاتلتنا من قبل أن نقاتلك وبدأتنا بالقتال ونحن من رأينا الكف
حتى نعذر إليك ونحتج عليك، وهذه مرة أخرى قد فعلتموها، حلتم بين الناس

(١) عن الطبري ٥ / ٢٤٠ وبالأصل " شبيب " خطأ.
ولم يرد ذكره فيمن أرسله علي إلى معاوية بل ذكر فقط صعصعة بن صوحان (الطبري ٥ / ٢٣٩ ابن
الأثير ٢ / ٣٦٤ وقعة صفين ص ١٦١) وفي الإمامة والسياسة ١ / ١٢٥ أن علي أرسل الأشعث بن قيس
لمناقشة معاوية في أمر منع الماء.
(٢) الطبري ٥ / ٢٣٩ ابن الأثير ٢ / ٣٦٤ الاخبار الطوال ص ١٦٨.

والماء، وأيم الله لنشربن منه شئت أم أبيت! فامنن (١) إن قدرت عليه من قبل إن نغلب فيكون الغالب هو الشارب.
فقال لعمر بن العاص: ما ترى أبا عبد الله؟ فقال: أرى أن عليا لا يظماً وفي يده أعنة الخيل وهو ينظر إلى الفرات دون أن يشرب منه، وإنما جاء لغير الماء فخل عن الماء حتى يشرب ونشرب.

قال: فقال الوليد بن عقبة: يا معاوية! إن هؤلاء قد منعوا عثمان بن عفان الماء أربعين يوماً وحصروه، فامننهم إياه حتى يموتوا عطشا واقتلهم قاتلهم الله أنى يؤفكون.

قال: ثم تكلم عبد الله بن سعد بن أبي سرح، فقال: لقد صدق الوليد في قوله: فامننهم الماء، ممنعهم الله إياه يوم القيامة (٢)! فقال صعصعة: إنما يمنعه الله يوم القيامة الكفرة الفسقة الفجرة مثلك ومثل نظرائك هذا الذي سماه الله في الكتاب فاسقا (٣) الوليد بن عقبة الذي صلى بالناس الغداة أربعاً وهو سكران ثم قال: أزيدكم؟ فجلد الحد في الاسلام. قال: فثاروا إليه بالسيوف، فقال معاوية: كفوا عنه فإنه رسول.

قال: ثم وثب السليل بن محرم (٤) السكوني إلى معاوية وجعل يقول:

اسمع اليوم ما يقول السليل * إن قولي قول له تأويل
إمنع الماء من صحاب علي * أن يذوقوه والذليل ذليل
واقتل القوم مثل ما قتلوا الشي * - خ ظما والقصاص أمر جميل
إنه والذي تساق له البد * ن هدايا لنحرهن نحول (٥)

(١) العبارة في الطبري: فابعث إلى أصحابك فليخلوا بين الناس وبين الماء، وليكفوا لننظر فيما بيننا وبينكم وفيما قدمنا له. وإن كان أعجب إليك أن نترك ما جئنا له ونترك الناس يقتتلون على الماء حتى يكون الغالب هو الشارب فعلنا؟

(٢) وثمة قول أن الوليد بن عقبة وعبد الله بن سعد بن أبي سرح لم يشهدا صفين (انظر ابن الأثير ٣٦٤ / ٢).

(٣) إشارة إلى قوله تعالى: * (أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستونون) * نزلت في علي بن أبي طالب والوليد بن عقبة (انظر تفسير القرطبي ١٤ / ١٠٥).

(٤) وقعة صفين ص ١٦٢ "عمر بن" وذكر في الأبيات.

(٥) في وقعة صفين: فوحق... هدايا لنحرها تأجيل.

لو علي وصحبه وردوا الماء * لما ذقتموه حتى تقولوا:
قد رضينا بما حكمتم علينا * بعد ذاك الرضا خراج ثقيل (١)
فامنع القوم ماءكم ليس للقبو * م بقاء وإن يكن فقليل
قال: فقال معاوية: الرأي والله ما تقول! ولكن عمرو لا يدعني ورأيي.
قال: ثم أخذ معاوية عمامته عن رأسه مغضبا وقال: لا سقى الله معاوية ولا
أباه من حوض محمد إن شرب علي أو أصحابه من ماء الفرات أبدا إلا أن يغلبوا
عليه.

قال: فوثب رجل من أهل الشام يقال له المعراء بن الأقبل (٢) بن الأهول
فقال: ويحك يا معاوية! والله لو سبقك علي إلى الماء فنزل عليه من قبلك إذا لما
منعك منه أبدا! ولكن أخبرني عنك أنك إذ أنت منعت الماء من هذا الموضع ألا تعلم
أنه يرحل من موضعه هذا وينزل على مشرعة (٣) أخرى فيشرب منه ثم يحاربك على
ما

صنعت؟ ألا تعلم (٤) أن فيهم العبيد والإماء والضعيف ومن لا ذنب له، هذا والله أول
البغي والفجور! والله لقد حملت من لا يريد قتالك على قتالك ويمنعك هذا الماء،
فإن شئت فاغضب وإن شئت فارض، فإني لا أدع القول بالحق، ساءك أم سر،
ثم أنشأ يقول:

لعمر أبي معاوية بن صخر * وليس لرأيه عندي دواء (٥)
سوى طعن يحار العقل فيه * وضرب حين يختلط الرجاء (٦)
فلست بتابع دين ابن هند * طوال الدهر ما أوفى حراء
وقد ذهب العتاب فلا عتاب * وقد ذهب الوفاء فلا وفاء (٧)
وقولي في حوادث كل أمر * على عمرو وصاحبه العفاء

-
- (١) وقعة صفين: جلاد ثقيل.
(٢) عن وقعة صفين ص ١٦٣، وبالأصل "القبل" دون نقط. قال: وكان ناسكا، وكان له لسان، وكان
صديقا لعمرو بن العاص ومؤاخيا له.
(٣) وقعة صفين: فرضة.
(٤) هذا الكلام - من هنا - نسب في الإمامة والسياسة ١ / ١٢٥ إلى عمرو بن العاص.
(٥) وقعة صفين ص ١٦٤: وعمرو ما لدائهما دواء.
(٦) وقعة صفين: الدماء.
(٧) وقعة صفين: الولاء فلا ولاء.

ألا لله درك يا بن هند * لقد ذهب الحياء فلا حياء
أتحمون الفرات على رجال * وفي أيديهم الأسل الظماء
وفي الأعناق أسياف حداد * كأن القوم عندكم نساء
أتطمع أن تفر أبو حسين (١) بلا ماء وللأحزاب ماء
دعاهم دعوة فأجاب قوم * كجرب الإبل خالطها الهناء
قال: فأمر معاوية بقتل هذا الرجل، فوثب قوم من بني عمه فاستوهبوه منه،
فوهبه لهم، فلما كان الليل هرب إلى علي بن أبي طالب فصار معه.
قال: وانصرف أصحاب علي من عند معاوية بالخبيبة، فاغتم علي لما أصاب
أصحابه من العطش (٢)، ثم إنه خرج ليلاً نحو رايات مذحج، فإذا هو برجل يقول
أبياتا من الشعر من جوف خيمته (٣).

أيمنعنا القوم ماء الفرات * وفينا الرماح وفينا الحجف (٤)
وفينا الشوارب مثل الوشيح * وفينا السيوف وفينا الزغف (٥)
وفينا علي له سورة * إذا خوفوه الردى لم يخف
ونحن الذين غداة الزبير * وطلحة خضنا غمار التلف
فما بالنا أمس أسد العرين * وما بالنا اليوم شاء النجف (٦)
فما للحجاز وما للعراق * سوى اليوم فشلوا الهدف (٧)
ودبوا إليهم كبرك الجمال * دوين الذميل ودون القطف (٨)

-
- (١) وقعة صفين: فترجوا أن يجاوركم علي.
(٢) وقد بقوا يوماً وليلة بغير ماء (وقعة صفين).
(٣) الأبيات في وقعة صفين ص ١٦٤ - ١٦٥. وبعضها في مروج الذهب ٢ / ٤١٦.
(٤) الحجف: جمع حجفة: وهي الترس من جلود الإبل يطارق بعضها بعضها.
(٥) كذا بالأصل "الشوارب" والصواب "الشواذب" وهي الخيل الضامرة.
والوشيح: أراد به هنا الرماح. وقد شبه الخيل بالرماح لدقتها وضمورها. والزغف جمع زغفة وهي
الدرع الواسعة الطويلة.
(٦) النجف: هو الحلب الجيد حتى ينفذ الضرع (اللسان - وانظر خزانة البغدادي ١ / ٥٢٩).
(٧) وقعة صفين: كبزل الجمال... وفوق القطف.
والذميل والقطف: ضربان من السير.

فإما تحلوا بشاطي الفرات * ومنا ومنهم عليه الجيف
وإما تموتوا على طاعة * تحل الجنان وتحبوا الشرف
وإلا فأنتم عبيد العصا * تسامون ضيما بطول العنف (١)
قال: فحركت هذه الأبيات عليا رضي الله عنه، ثم مضى نحو رايات كندة،
فإذا هو برجل قد وقف إلى جانب خيمة الأشعث بن قيس وهو يقول (٢):
لئن (لم) (٣) يجل الأشعث اليوم كربة * من الموت فيها للنفوس تفلت (٤)
فنشرب من ماء الفرات بسيفه * فهبنا أناسا قبل ذلك موتوا (٥)
فإن أنت لم تجمع لنا اليوم أمرنا *
وتلقي التي فيها عليك التشتت
فمن ذا الذي تنبي (٦) الخناصر باسمه * سواك ومن هذا إليه التلفت
وهل من بقاء بعد يوم وليلة * نظل عطاشا والعدو يصوت
هلموا إلى ماء الفرات ودونه * صدور العوالي والصفيح المشتت
وأنت امرؤ من عصابة يمنية * وكل امريء من غصنه حين ينبت
قال: فرجع علي رضي الله عنه إلى رحله. وسمع الأشعث بن قيس هذه
الأبيات فخرج من خيمته حتى أتى عليا. فقال: يا أمير المؤمنين! أيمنعنا القوم ماء
الفرات وأنت فينا وسيوفنا في رقابنا؟ خل عني وعن الناس، فوالله لا رجعت عن
الماء دون أن أرده أو أموت دونه! قال: وتابعه الأشر بمثل هذا الكلام، فقال علي
رضي الله عنه: ذلك إليكم فافعلوا ما أحببتم.
قال: فخرج الأشعث من عند علي رضي الله عنه وذلك في وقت السحر، ثم
نادى في الناس: ألا! من كان يريد الموت فإن ميعادنا الصبح، فإنني ناهض إلى
الماء إن شاء الله.

(١) وقعة صفين: وعبد العصا مستدل نطف.

(٢) في مروج الذهب ٢ / ٤١٦ وألقي في فسطاط الأشعث بن قيس رقعة فيها.

(وذكر بيتين). والأبيات في وقعة صفين ص ١٦٥ - ١٦٦.

(٣) زيادة عن مروج الذهب ووقعة صفين.

(٤) في وقعة صفين: تعنت.

(٥) في مروج الذهب ووقعة صفين: قبل كانوا فموتوا.

(٦) وقعة صفين: تشنى.

قال: فأجابه نيف عن عشرة آلاف (١)، وأجاب الأشتر خلق كثير من بني عمه
وبني مذحج. قال: وجعل الأشتر يصب عليه سلاحه وقد أضاء عمود الصبح وهو
يرتجز ويقول (٢):

ميعادنا الآن بياض الصبح * لن يصلح الزاد بغير ملح
لا لا ولا أمر بغير نصح * دبوا إلى القوم بطعن سمح
بين العوالي وضراب نفح (٣) * لا صلح للقوم وأين صلحي
حسبي من الأقدام قاب رمحي

قال: وجعل الأشتر يرتجز ويقول:

قل لابن هند أحسن الثباتا * لا تذكرن ما مضى وفاتا

إني وربى خالق الأقواتا * إلهنا وباعث الأمواتا

مليكننا وجامع الشتاتا * من بعد ما كانوا بها رفاتا

لأوردن خيلي الفراتا * شعث النواصي أو يقال ماتا (٤)

قال: وأصبح الناس واضعي سيوفهم على عواتقهم، وتقدم الحارث بن
هشام (٥) وهو يرتجز ويقول:

يا أشتر الخيرات يا خير النخع * وصاحب الأمر (٦) إذا عم الفرع

وكاشف الكرب إذ الأمر وقع * إن تسقنا الماء فماذا بالبدع (٧)

أو نعطش اليوم فخير منقطع * فذاك إن شئت وإن شئت فدع

(١) في مروج الذهب ٢ / ٤١٧ أربعة آلاف وفي وقعة صفين ص ١٦٦: إثنا عشر ألفاً.

(٢) الأرجاز في وقعة صفين ونسبها إلى الأشعث ص ١٦٦.

(٣) وقعة صفين: مثل الغزالي بطعان نفح.

(٤) الأرجاز في وقعة صفين ص ١٧٩ والشطران الأخيران في مروج الذهب ٢ / ٤١٧، ونسبهما للأشعث

بن

قيس.

(٥) في وقعة صفين ص ١٧٢ الحارث بن همام النخعي ثم الصهباني.

وفي مروج الذهب رجل من النخع وذكر الأرجاز.

(٦) في مروج الذهب ووقعة صفين: وصاحب النصر.

(٧) في مروج الذهب:

قد جزع القوم وعموا بالفرع * إن تسقنا القوم فما هو بالبدع

وفي وقعة صفين:

وكاشف الأمر إذا الأمر وقع * ما أنت في الحرب العوان بالجدع

قد جزع القوم وعموا بالجرع * وجرعوا الغيظ وغصوا بالجرع

إن تسقنا الماء فما هي بالبدع

قال: فدنا منه الأشتر فقبل بين عينيه.
قال: وأقبل الأشعث بن قيس على صاحب رايته واسمه الحارث بن حجر الكندي فقال له: ابن حجر!، الله ما النخع بخير من كندة ولا الأشتر بخير مني! فتقدم فذاك أبي وأمي بالراية! قال: فتقدم صاحب راية الأشعث وهو يقول:
يا أشعث الخيرات يا بن قيس * يا لابس التاج وليث الخيس
ما إن لنا مثلك ليس ليس * والطعن بالله كأكل الحيس
فقال الأشعث: لله درك ودر أبيك! إن أعش فلك عندي رضاك وإن أمت ذلك عقار من عقاري بحضرموت.
قال: وتقدم فتى من أصحاب علي رضي الله عنه وفي يده رمح له وهو يقول (١):

أنعطش اليوم وفينا الأشعث * والأشتر (٢) الخير كليث بيعث
فصابروا فإنكم لم تلبثوا * أو تشربوا الماء فثبوا وارفثوا
من لم يرده والرجال تلهث * ففي ضلال ووبار يمكث
قال: وتقدم رجل من همدان في كفه سيف له مشهور وهو يرتجز ويقول (٣):
خلوا لنا عنا الفرات الجاري * لكل قوم مستميت شاري
مطاعن برمحه كرار * ضارب هامات العدى مغوار
بكل غضب ذكر نباري
وتقدم ظبيان (٤) بن عمارة التميمي وهو يرتجز ويقول:

(١) الأرجاز في وقعة صفين ص ١٨٠ ونسبها لمعاوية بن الحارث.
(٢) وقعة صفين: والأشعث.
(٣) الأرجاز في الطبري ٥ / ٢٤٠ ونسبها إلى عبد الله بن الأحمر الأزدي، وانظر وقعة صفين ص ١٧٢. وهي في المصدرين باختلاف ألفاظ، وتقديم وتأخير شطر.
(٤) عن الطبري ٥ / ٢٤٠ وبالأصل " طينان " وقد صححت أيضا في الأرجاز.

هل لك يا ظبيان من بقاء * في فسحة الدنيا (١) بغير ماء
ألا ورب (٢) الأرض والسماء * فاضرب وجوه الرجس الأعداء
بالسيف عند حمس اللقاء (٣) * حتى يجيبوك إلى السواء
قال: وخشي أهل العراق إن يغلب أهل الشام على الماء فأمر الأشعث
الرجالة، فتقدم أكثر من أربعة آلاف رجل حتى بركوا خلف الأترسة والحجف،
وجعل الأشعث يقدم رمحه ويقول: بأبي أنتم وأمي يا أهل العراق، تقدموا! فلم
يزل يفعل ذلك هو والأشتر جميعا وصاحوا بأصحاب معاوية: خلوا عن الماء! فقال
أبو الأعور السلمي: هيهات والله حتى تأخذنا وإياكم السيوف! فقال الأشعث: بلى
والله! أظن أنها قد دنت منا ومنكم.

قال: ونظر الأشتر إلى عمرو بن العاص واقفا في أول القوم فصاح به: ويلك
يا عمرو! لقد كنت أظن أن لك رأيا، أظن أننا نخليك والماء؟ أي تربت يداك
وثكلتك أمك! أما علمت أننا أفاعي أهل العراق؟ لقد رمت أمرا عظيما، فقال له
عمرو: ستعلم يا أشتر أينما يوفي بالعهد ويتم على العقد. قال: فتبسم الأشتر وهو
يقول:

ويلك يا بن العاصي * تنح في القواصي
واهرب إلى الصياصي (٤) * من شدة المناص
فاليوم في العراض * يؤخذ (٥) بالنواصي
من حذر القصاص * في الأدرع الدلاص
قال: وجعل عمرو يقول:

ويلك يا بن الحارث * أنت العدو (٦) الناكث
أنت الكذوب الحانث * احمل (٧) مال الوارث

(١) الطبري ووقعة صفين: في ساكن الأرض.

(٢) الطبري ووقعة صفين: لا، وإله الأرض.

(٣) الطبري: الوغاء.

(٤) الصيامي: الحصون، أو كل شيء يمتنع به.

(٥) وقعة صفين ص ١٧٠: تأخذ.

(٦) وقعة صفين ص ١٧١ أنت الغرير.

(٧) وقعة صفين: أعد.

وفي الضلال لابت * وفي القبور ماكث
قال: فحمل عليه الأشر ليضربه بسيفه، فمر عمرو من بين يديه هاربا حتى
اختلط بأهل الشام، وصاح الأشعث بالرجال والأشتر بالخييل، واختلط القوم على
شاطيء الفرات فاقتتلوا قتالا شديدا، فقتل من أهل الشام جماعة كثيرة وغرق منهم
في الفرات مثل ذلك، وولوا الأدبار منهزمين، وصار الماء في يد علي وأصحابه،
فأنشأ النجاشي يقول (١):
كشفت الأشر عنا * سكرة (٢) الموت عيانا
بعدهما طارت حصانا (٣) * طيرة مست لهانا
إذ حمى القوم حماهم * ثم لم يحم حمانا
قدعا الأشعث قوما * من معد ودعانا
فمنحنا القوم في النق * - ع ضرابا وطعانا
فله المن علينا * وبه دارت رحانا
لبس التاج غلاما * ثم لم يثن عنانا
نذرع الأرض بريح * قابه كان حطانا
فنهضنا نهضة البيا * زي لم نبغ سوانا
ساعة ثم تولوا * وحمى الأشعث مانا
وبمثل الأشعث اليو * م لك الخير كفانا
عن هوى الملك ابن قيس * قد حمانا ورعانا
ثم أقبل عمرو بن العاص على معاوية فقال: ما تقول الآن إن منعك علي الماء
كما منعه إياه؟ فقال معاوية: دع عنك هذا، ولكن ما ظنك بهذا علي؟ فقال
عمرو: ظني والله بعلي أنه لا يستحل منك مثل الذي استحلت منه، لأنه إنما جاء
لغير الماء، وقد كنت أشرت عليك في بدء الأمر أن لا تمنعه الماء، فخالفتني وقبلت
من (ابن) أبي سرح فقلدت نفسك عارا يحدث به إلى آخر الأبد، ثم قال:

(١) في مروج الذهب ٢ / ٤١٧ وفي ذلك يقول رجل من أهل العراق.

(٢) مروج الذهب: كربة.

(٣) مروج الذهب: طلاقا.

أمرتك أمرا ففسخته * لرأي ابن أبي سرحة (١)
وأغمضت في الرأي إغماضة * ولم تر في الحرب كالفسحة
فكيف رأيت كباش العراق * ألم ينطحوا جمعنا نطحة
أظن لها اليوم ما بعدها * وميعاد ما بيننا صبحه
فإن ينطحونا غدا مثلها * فقد قدموا الخيط والنطحة (٢)
وقد شرب القوم ماء الفرات * وقلدك الأشعث (٣) الفضحة
قال: وأرسل علي إلى أصحابه أن خلوا بينهم وبين الماء ولا تمنعوهم إياه.
قال: فكان أصحاب علي رضي الله عنه وأصحاب معاوية يردون الماء بالقرب
والأسقية يستقون ويسقون الخيل والإبل، ما يؤذي أحد منهم أحدا.
قال: وأقاموا على ذلك ثلاثة أيام، ودخل معاوية إلى منزله فأخذ سهما فكتب
عليه: " من عبد الله الناصح، أما بعد! يا أهل العراق فإن معاوية يريد أن يفجر
عليكم الفرات فيغرقكم، فخذوا حذركم - والسلام " ثم رمى بالسهم إلى عسكر علي
رضي الله عنه في جوف الليل، فوقع في يد رجل من أهل الكوفة، فقرأه ثم أقرأه
الناس وجعل بعضهم يقول لبعض: هذا أخ لنا ناصح! إذ كتب إلينا بما يريد أن يفعل
معاوية.

قال: ووقع السهم إلى علي رضي الله عنه فقرأه، ثم أقبل إلى أصحابه فقال:
خط معاوية، وليس هذا إلا مكر ومكيدة، فلا يهولنكم ذلك.

ذكر الواقعة الثانية بصفين

قال: وبعث معاوية بمائتي رجل أو يزيدون إلى عاقول (٤) من الفرات ومعهم (٥)

(١) كذا بالأصل غير مستقيم الوزن، وفي وقعة صفين ص ١٨٦: وخالفني ابن أبي سرحه.

(٢) في وقعة صفين:

فإن ينطحونا غدا مثلها * نكن كالزبيري أو طلحه
وإن أخروها لما بعدها * فقد قدموا الخبط والنفحة

(٣) وقعة صفين: الأشر.

(٤) عاقول النهر والوادي: ما اعوج منه.

(٥) في وقعة صفين ص ١٩١: بأيديهم المرور والزبل.

المعاول والمساحي وآلة الفعل، فجعلوا يحفرون بحيال عسكر علي خديعة ومكرا. قال: ووقعت الضجة في عسكر علي رضي الله عنه، فقال: ويحكم لا عليكم، فإن هذا الذي ترون هو شيء لا يستقيم، ولا يقوى عليه معاوية أبدا ولو أنفق جميع أموال الشام، وإنما يريد أن يزيلكم عن مكانكم، فلا تكونوا ضعفاء القلوب والعقول، ولا تغلبوني على رأي. قال: فضج أهل العراق وقالوا: والله لنرحلن! فإن شئت فارحل وإن شئت فأقم.

قال: ثم ارتحل الناس عن آخرهم وصاروا ناحية في الفرات، وارتحل علي رضي الله عنه في آخر الناس حتى نزل معهم وجعل يقول: ولو أنني أطعت عصبت قومي * إلى ركن اليمامة أو شام ولكنني إذا أبرمت أمرا * تخالفني أفاويل الطغام (١)

قال: فلما كان الليل دخل معاوية بعسكره حتى نزل في الموضع الذي كان علي وأصحابه فيه. قال: وأصبح أهل العراق فنظروا إلى عساكر معاوية في مكانهم، فندموا على ما فعلوا، قال: ثم دعا علي بالأشتر والأشعث بن قيس فقال: إنكما قد غلبتماني على رأيي فدونكما الآن هذا معاوية وأصحابه قد نزلوا على الماء كما كانوا، ويوشك أن سيمنعوكم إياه كما منعوكم أول مرة. قال الأشعث: صدقت يا أمير المؤمنين! وإنني سأصلح (٢) ما أفسدت. فقال الأشتر: وأنا والله معك ويدي في القوم قبل يدك.

قال: ثم صاح الأشعث في قومه وقال: يا معشر كندة! انظروا أن لا تفضحوني اليوم ولا تخزونني فإني أقارع بكم أهل الشام. قال: فأجابوا سراعا وخرجوا يمشون في الدروع والمغافر وفي أيديهم الرماح والسيوف والحجف. قال: ونادى الأشتر في أصحابه، فأجابوه كذلك بالسلاح لم يبين منهم إلا الحدق، وجعل الأشتر يرتجز ويقول:

آليت لا أرجع حتى أضربا * بسيفي المصقول ضربا معجبا

(١) في وقعة صفين: منيت بخلف آراء الطغام.

(٢) وقعة صفين ص ١٩١ ساداوي ما أفسدت اليوم من ذلك.

أنا ابن خير مذحج مركبا * وخيرهم نفسا وأما وأبا (١)
قال: فشد عليه رجل من أهل الشام يقال له فيروز بن صالح العكي وهو يرتجز
ويقول:

يا صاحب الظرف الحصان الأدهم * أقدم إذا شئت إلينا (٢) أقدم
أنا ابن ذي العز وذي التكرم * سيد عك كل إليهم فاعلم (٣)
قال: فحمل عليه الأشتر قطعنه طعنة في خاصرته فأنفذها، ثم صاح: يا أهل
الشام! هل من مبارز؟ فخرج إليه مالك بن الأدهم (السلماني) وكان من فرسان
الشام، فجعل يرتجز ويقول:

هل لك يا أشتر في برازي * براز ذي غشم وذي اعتزاز
كأنه حية ذي ابتزاز * مقارع لقرنه لزاز (٤)
قال: فقصده الأشتر وهو يقول (٥):

نعم نعم اطلبه شهيدا * معي حسام يقصم الحديد
يترك هامات العدى حصيدا * به أريع في الوغا الجنودا
ثم حمل عليه الأشتر فقتله، ثم صاح: يا أهل الشام من يبارز؟ فخرج إليه
زياد بن عبيد الكناني وهو يرتجز ويقول:

رويد لا تجزع من جلاد * جلاد قوم (٦) جامع الفؤاد
يجيب في الروع دعا المنادي * يشد بالسيف على الأعادي (٧)
قال: فبرز إليه الأشتر وهو يقول:

-
- (١) وقعة صفين ص ١٧٤.
(٢) وقعة صفين ص ١٧٤: علينا.
(٣) كذا غير مستقيم، وفي وقعة صفين: سيد عك كل عك فاعلم.
(٤) اللزاز الشديد الخصومة، ويقال أيضا لزه لزا: طعنه.
والأرجاز في وقعة صفين ص ١٧٦ ونسبا إلى إبراهيم بن الوضح وقد ذكر لمالك بن أدهم السلماني
أرجازا أخرى انظر فيه ص ١٧٥.
(٥) الأرجاز في وقعة صفين ص ١٧٦ إرتجزها الأشتر لما خرج لمبارزة إبراهيم بن الوضح.
(٦) في وقعة صفين ص ١٧٥ جلاد شخص.
(٧) نسبت الأرجاز إلى الأشتر في وقعة صفين.

بليت بالأشتر ذاك المذحجي * بفارس في حلق مدحج
 كالليث ليث الغابة المهيج * إذا دعاه القرن لم يعرج
 ثم شد عليه الأشتر فقتله، ثم نادى: من يبارز؟ فخرج إليه زامل بن عبيد
 الحرامي (١) وهو يقول:
 يا صاحب السيف الخضيب المضرب (٢) هل لك في طعن غلام مجرب (٣)
 يحمل رمحا مستقيم الثعلب * ليس بحياد ولا مغلب
 قال: فلم يكذب الأشتر أن حمل عليه ولم يجبه بشيء، فلما طعنه برمحه
 التوى الشامي على الرمح، فانفلت من طعنة الأشتر. قال: فجال الأشتر على فرسه
 وجعل يرتجز ويقول (٤):
 خانك رمح لم يكن خوانا * قد كان قدما يقتل الفرسانا
 ويهلك الأبطال والأقرانا * ويحرم الكهول والشيبانا
 ثم شد عليه فطعنه طعنة قتله، ثم نادى: من يبارز؟ فخرج إليه مالك بن
 روضة الحميري وهو يقول شعرا (٥). قال: فقصدته الأشتر وهو يقول:
 لا بد من قتلي أو من قتلك * قتلت منكم خمسة من قبلك
 كلهم كانوا حماة مثلك
 ثم شد عليه الأشتر فقتله. فاشتبكت الحرب بين القوم، وتقدم شرحبيل بن
 السمط وهو يرتجز ويقول:
 إني أنا الشرح وابن السمط * مبين الفعل بهذا الشط
 بالطعن في الدروع الخط * جمعت قومي باشرط الشرط

(١) في وقعة صفين ص ١٧٦ " زامل بن عتيك الحزامي " وفي صفحة ١٧٤ " زامل بن عبيد الحزامي ".
 (٢) وقعة صفين: العرسب.
 (٣) وقعة صفين: محرب يعني الشديد الحرب الشجاع.
 (٤) ارتجزها الأشتر لما خرج لمبارزة مالك بن أدهم. (وقعة صفين).
 (٥) في وقعة صفين: محمد بن روضة الجمحي. وذكر أرجازه: (ص ١٨٧):
 يا ساكني الكوفة يا أهل الفتن * يا قاتلي عثمان ذاك المؤمن
 ورث صدري قتله طول الحزن * أضربكم ولا أرى أبا حسن

لابن هند وأنا الموطى * جند يمان ليس هم بخلط (١)
قال: فخرج إليه الأشعث وهو يقول شعرا، ثم حمل عليه الأشعث وطعنه
طعنة كفأه عن فرسه، فأفلت وهو لما به. قال: فغيره أبو الأعور السلمي وقال: يا
شريحيل! طعنك الأشعث بن قيس! فقال: نعم والله يا أبا الأعور! طعني الأشعث
وهو سيد في قومه وأنا سيد في قومي، فإن كنت صادقا فأخرج إليه وانتصب له لترى
ما

ينزل بك من صولته. قال: فخرج أبو الأعور وجعل ترتجز ويقول:
أنا أبو الأعور واسمي عمرو * احمي حماي (٢) والمحامي حر
ولا أبالي..... (٣) * سيف حسام وطعاني مر
قال: فبدر إليه الأشعث وهو يقول:

إني أنا الأشعث وابن قيس * فارس هيجاء قبيل دوس
لست بشكاك ولا مملوس (٤) * كندة رمحي وسكون قوسي (٥)
ثم حمل عليه الأشعث فطعنه طعنة كادت أن تأتي على نفسه، فولى عنه أبو
الأعور جريحا.

قال: ثم خرج حوشب ذو الظليم (٦) وذو الكلاع فخرجا على فرسين لهما،
وجعل حوشب يرتجز ويقول:
يا أيها الفارس ادن لا ترع * أنا أبو مر وهذا ذو كلع (٧) مسود بالشام ما شاء صنع *
أبلغ عني أشترا أخوا النخع
والأشعث الغيث إذا الماء منع (٨) * قد كثر الغدر لديكم لو نفع

(١) الأرجاز في وقعة صفين ص ١٨١ بتقديم وتأخير فيها.

(٢) وقعة صفين ص ١٨١: ذماري.

(٣) موضع النقاط مطموس، والشطر سقط من وقعة صفين.

(٤) كذا بالأصل ولا معنى لها، ولعلها " ممسوس " الذي به مس من الجنون.

(٥) وقعة صفين ص ١٨٢: وعلي قوسي.

(٦) وهو حوشب بن طخمة.

(٧) ذو كلع: أي ذو الكلاع.

(٨) وقعة صفين ص ١٨٢: امتنع.

قال: فخرج الأشعث والأشتر جمعيا نحو حوشب وذو الكلاع، وجعل الأشعث يرتجز ويقول:

أبلغ عنا حوشبا وذا الكلع * فحوشب المذلول داراه الطمع
وذو الكلاع قومه أهل البدع * قوم جفاة لا حيا ولا ورع
يقودهم ذاك الشقي المبتدع * إني إذا قرن لقرن يصطنع (١)
وأبرقوها في عجاج قد سطع * أحمي ذماري منهم إذا امتنع

قال: ثم تقدم الأشتر أيضا وهو يقول شعرا على قافيته (٢)، ثم حمل الأشعث والأشتر جميعا على حوشب وذو الكلاع، فتطاعنوا ساعة وافترقوا. وصاح أهل الحجاز وأهل العراق بعضهم لبعض، ثم حملوا على أهل الشام، فقتلوا منهم مقتلة عظيمة. قال: وجعل أهل الشام ينادون أهل العراق: يا هؤلاء! انظرونا سواد هذه الليلة فإننا راجعون إلى معسكرنا الذي كنا فيه، فصاح الأشعث بن قيس وأصحابه فقالوا: والله لا نبیت إلا في معسكركم. قالوا: فإذا نرحل فلا تعجلونا.

قال: ثم رحل القوم إلى معسكرهم فنزلوه كما كانوا. وأقبل الأشعث إلى علي رضي الله عنه فقال: أَرْضِيَتْ (يا) أمير المؤمنين؟ قال علي رضي الله عنه: (رضيت)، ثم أقبل عليه وعلى الأشتر فقال: أنتما كما قال الشاعر:

وإن لنا شيخا إذا الحرب شمرت، بديهته الأقدام قبل التوقف

قال: فقال الأشعث: يا أمير المؤمنين! إنه قد غلب الله عز وجل لك على الماء مرة وهذه ثانية، وقد علمت ما كان من غدر معاوية، وإن شئت منعناهم الماء؟ فقال علي رضي الله عنه: إن الخطب أعظم من منعهم الماء، فلا تمنعواهم الماء ولا تكافوهم بصنيعهم.

قال ثم دعا علي رضي الله عنه سعيد بن قيس الهمداني وبشير بن عمرو

(١) وقعة صفين ص ١٨٢: يختضع.

(٢) الأرجاز في وقعة صفين ص ١٨٢ - ١٨٣ ومنها:

يا حوشب الجلف ويا شيخ كلع * أيكما أراد أشهر النخع
ها أنا ذا وقد يهولك الفرع * في حومة وسط قرار قد شرع
ثم تلاقي بطلا غير جزع * سائل بنا طلحة وأصحاب البدع

الأنصاري (١) فقال لهم: انطلقوا إلى معاوية فادعوه إلى الله عز وجل وإلى الطاعة والجماعة واحتجوا عليه، وانظروا ما رأيه وعلى ماذا قد عزم.
قال: فأقبلوا حتى دخلوا على معاوية، فتقدم بشير بن عمرو، فقال: يا معاوية! إن الدنيا غدارة غرارة سفيهة جائرة وعنك زائلة، وإنك راجع إلى الله عز وجل فمحاسبك على عملك ومجازيك بما قدمت يداك (٢)، قال: فقطع معاوية عليه الكلام ثم قال: فهلا بهذا أوصيت صاحبك؟ فقال الأنصاري: يا سبحان الله العظيم! إن صاحبي ليس مثلك، إنه أحق بهذا الأمر منك للفضيل في الدين والسابقة في الإسلام والقراة من الرسول صلى الله عليه وسلم، فقال معاوية: فيقول ماذا؟ قال: إنني آمرك

بتقوى الله وإجابة الحق والدخول فيما دخلت فيه المهاجرون والأنصار والتابعون، فإن ذلك أسلم لك في دنياك وآخرتك، فقال معاوية: ونطل دم عثمان! لا والله لا كان ذلك أبدا (٣)، وما لكم ولا لصاحبكم عندي إلا السيف! فأخرجوا عني.
قال: فوثبوا قائمين، والتفت إليه سعيد فقال: والله يا بن هند! لتغلبن سيوف صاحبنا ما تود أن أمك هند لم تلدك ولم تكن في العالمين! فقال معاوية: يد الله فوق يدك.

قال: وأقبلوا إلى علي رضي الله عنه يخبروه بذلك، فدعا علي بشيث (٤) بن ربعي الرياحي، ويزيد بن قيس الأرحبي، وزيايد بن خصفة (٥) التميمي وعدي بن حاتم الطائي، فأرسلهم إلى معاوية وقال لهم أعدروا إليه وأنذروه قبل الإقدام على الحرب.

قال: فجاء القوم حتى دخلوا على معاوية، وتقدم عدي بن حاتم فقال: يا معاوية! إننا قد أتيناك ندعوك إلى أمر الله، يجمع الله (به) كلمتنا ويحقن دماء

(١) في الطبري ٥ / ٢٤٢ ووقعة صفين ص ١٨٧: " بشير بن عمرو بن محسن الأنصاري " وزيد فيهما ثالث هو شيث بن ربعي التميمي.

(٢) زيد في الطبري وابن الأثير: وإني أنشدك الله عز وجل أن تفرق جماعة هذه الأمة وأن تسفك دماءها بينها.

(٣) انظر في الطبري مقالة شيث بن ربعي - وقد سقطت من الأصل - ٥ / ٢٤٣.

(٤) بالأصل " شيب " خطأ.

(٥) عن الطبري ٥ / ٢٤٣ وبالأصل: حفصة تحريف.

المسلمين، وندعوك إلى أفضل الناس سابقة وأحسنهم في الاسلام أثراً، وقد اجتمع الناس إليه، وأرشدهم الله تعالى بالذي رأوا، (١) فأتق الله يا معاوية وأنته (١) عما قد أزمعت عليه من قبل أن يصيبك الله وأصحابك بما أصاب به أنصار الجمل، فقال معاوية: كأنك إنما جئت متهدداً، كلا والله يا عدي! إني لابن صخر بن حرب ما يقعق لي بالشنان (٢)، أما إنك من المجلبين على عثمان وأنا أرجو (أن تكون) (٣) ممن يقتله الله! قال: فأراد عدي إجابته فسبقه شبت (٤) بن ربيعي فقال: يا معاوية! لقد أتيناك فيما يصلحنا وإياك، فصرت تضرب لنا الأمثال التي لا ينتفع بها أحد. قال: ثم تكلم يزيد بن قيس فقال (٥): يا معاوية! إننا لم نأتك إلا لنبلغ ما بعثنا به ونؤدي عنك ما نسمعه منك، وإن صاحبنا هو من قد عرفته وعرفه المسلمون، وإننا والله ما رأينا رجلاً قط أعمل بالتقوى ولا أهدي في الدين ولا أجمع خصال الخير كلها منه.

قال معاوية: إنكم قد دعوتم إلى الطاعة والجماعة، فأما الجماعة التي دعوتم إليها فنعمما هي! وأما الطاعة لصاحبكم فإننا لا نراها واجبة علينا، لأن صاحبكم قتل خليفتنا وفرق جماعتنا وهو يزعم أنه لم يقتل ولم يأمر، ونحن لا نرد ذلك عليه غير أن قتلة صاحبنا عنده، فليدفعهم إلينا لنفديهم (٦) بصاحبنا ونحن نجيبكم إلى الطاعة والجماعة.

قال شبت (٤): لو مكنت من عمار بن ياسر هل كنت قاتله؟ فقال معاوية: وما يمنعني من قتله؟ والله! لو قدرت على ابن سمية لما قتلته بعثمان ولكني كنت أقتله بناتل مولى عثمان بن عفان، فقال شبت (٤) بن ربيعي: إذا والله ما عدلت يا معاوية! ووالله لا تصل إلى قتل عمار أو ترى الهامات وقد ندرت عن الكواهل وتضيق عليك

(١ - ١) العبارة في الطبري ٦ / ٣ فلم يبق أحد غيرك وغير من معك فأنته يا معاوية.
(٢) الشنان: جمع شن، وهو القرية الخلق. وهم يحركون القرية البالية إذا أرادوا حث الإبل على السير لتفرع وتسرع (الميداني ٢ / ١٩١).
(٣) عن الطبري.
(٤) بالأصل: شيب خطأ.
(٥) انظر مقاله في الطبري ٦ / ٣.
(٦) الطبري: فلنقتلهم به.

أرض الفضاء برحبها (١).

قال: ثم خرج القوم من عند معاوية فصاروا إلى علي رضي الله عنه، فأخبروه بالذي كان بينهم وبين معاوية من الكلام.

قال: وإذا حبيب بن مسلمة الفهري وشرحبيل بن السمط ومعن بن يزيد (٢) قد أقبلوا حتى دخلوا على علي رضي الله عنه، فسلموا وجلسوا، ثم تكلم حبيب بن مسلمة فقال: أما بعد! فإن عثمان بن عفان كان خليفة يعمل بكتاب الله عز وجل وينتهي إلى أمر الله، فاستثقلتم حياته واستبطأتم وفاته فعدوتم عليه فقتلتموه، فادفع إلينا قتلة عثمان حتى نقتلهم به، فإن قلت إنك لم تقتله فاعتزل الناس واجلس في منزلك حتى يكون هذا الأمر شورى بين الناس، يوليهم أمرهم من أجمع عليه رأيهم.

فقال له علي رضي الله عنه: وما أنت - لا أم لك - والكلام (٣) في أمور الناس، قم يا عدو نفسك! فلست هناك ولا بأهل للكلام، فقال حبيب: والله إنك لتراني بحيث تكره، فقال علي رضي الله عنه: ولو أجلبت بخيلك ورجلك، اذهب فلا أبقى الله عليك إن أبقيت.

فقال شرحبيل: إني إن كلمتك فخفت أن يكون جوابك لي جواب صاحبي، فقال له علي: اسمع حتى أكلمك يا شرحبيل! فوالله لقد بايعني الناس وأنا كاره لهذا الأمر، غير أن الأمة اختلفت وكرهت الفرقة بين أهل الإسلام فبايعتهم، فلم يرعني إلا شقاق من شاققني بالبصرة وخلاف معاوية، رجل لم يجعل الله له سابقة في الدين ولا سلفا صالحا في الإسلام، طليق ابن طليق حزب الله وحزب رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ولم يزل لله ولرسوله وللمؤمنين عدوا هو وأبوه من قبله، ثم دخلا في الإسلام كارهين، فعجبا لكم (٤) يا أهل الشام وانقيادكم له، وتتركون آل نبيكم الذين لا يسعكم شقاقهم

(١) وبعد ذلك دعا معاوية يزيد بن خصفة وخلا به وسأله الانصراف إليه ونصره، ووعدته أن يوليه أي المصريين شاء فرفض (الطبري ٦ / ٣).

(٢) هو معن بن يزيد بن الأحنس السلمي.

(٣) في الطبري ٦ / ٤: والعزل وهذا الأمر. وفي وقعة صفين ص ٢٠٠ والولاية والعزل والدخول في هذا الأمر.

(٤) الطبري ٦ / ٤: فلا غرو إلا خلافتكم معه.

ولا فراقهم ولا خلافهم وأن لا تعدلوا بهم أحدا من الأئمة. قال: فقال له شرحبيل: أفتشهد أن عثمان قتل مظلوما؟ فقال له علي: إنه لا يخلو عثمان ظالما أو مظلوما. ثم وثب القوم، فقال علي: فاسمعوا عني حتى أخبركم عن عثمان، فقال حبيب بن مسلمة: لسنا نحب أن نسمع منك شيئا، فقال علي رضي الله عنه: * (فإنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء وإذا ولو مدبرين* وما أنت بهد العمي عن ضللتهم إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون) * (١).

قال: فخرج القوم من عند علي، فأقبل على أصحابه فقال: لا يكن هؤلاء أولى بالحد في ضلالتهم منكم في حقكم وطاعة ربكم (٢).

قال: فلما كان من الغد إذا بعبيد الله بن عمر بن الخطاب قد خرج في خيل عظيمة يريد الحرب، فأخرج علي بن أبي طالب محمد بن أبي بكر في خيل مثلها، فاقتتلوا يومهم ذلك قتالا شديدا، وانصرف الفريقان عن قتلاء وجرحى. فلما كان من الغد خرج شرحبيل بن السمط في خيل عظيمة، فأخرج إليه علي رضي الله عنه الأشر في خيل مثلها، فاقتتلوا وانصرفوا عن قتلاء وجرحى. فلما كان من الغد خرج عمرو بن العاص في خيل عظيمة، فأخرج إليه علي رضي الله عنه عبد الله بن عباس في خيل مثلها، فانصرفوا عن قتلى وجرحى.

قال: فلم يزل القوم على ذلك إلى أن بقي من شهر المحرم سبعة أيام أو ثمانية، قال: وجعل معاوية وعمرو بن العاص يعيثن الكنائس ويحرضان أهل الشام على حرب علي وأصحابه، فأنشأ حابس بن سعد الطائي في ذلك يقول (٣):

أما بين المنايا غير سبع * بقين من المحرم أو ثمان
هناك دماؤنا حل حلال * لأهل الكوفة السود اليماني
ألم يعجبك أنا قد هجمنا (٤) * عن أهل الكوفة (٥) الموت العيان

(١) سورة الروم: ٥٢ - ٥٣.

(٢) كذا بالأصل والطبري، وفي وقعة صفين ص ٢٠٢: وطاعة إمامكم.

(٣) الأبيات في الاخبار الطوال ص ١٧١ والأول في مروج الذهب ٢ / ٤١٨ وانظر وقعة صفين ص ٢٠٢.

(٤) كذا بالأصل والأخبار الطوال، وفي وقعة صفين: كففنا.

(٥) كذا بالأصل ووقعة صفين، وفي الاخبار الطوال: " وإياهم علي "

أينها كتاب الله عنهم* ولا ينهاهم السبع المثاني (١)
وبالشام الحماة وكل قرم* صدوق بالضراب وبالطعان
قال: فلما انقضى شهر المحرم وأهل هلال صفر، بعث علي رجلا من
أصحابه يقال له مرثد (٢) بن الحارث، حتى وقف قريبا من عسكر معاوية، ثم نادى
بأعلى صوته عند غروب الشمس: يا أهل الشام! إن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب
يقول لكم: إنا قد كففنا عنكم في هذا الشهر الحرام فلم تكفوا عنا، ووالله ما كففنا
عنكم شكا في أمركم ولا جبننا عنكم، وإنما كففنا لخروج هذا الشهر المحرم لترجعوا
إلى الحق، واحتججنا عليكم بكتاب الله عز وجل ودعوناكم، فلم تنتهوا عن
الظلم والعدوان، والكذب والبهتان، ولم تجيبوا إلى حق ولا برهان،
فإننا قد أذرناكم على سواء إن الله لا يحب الخائنين.

قال: فعلم أهل الشام أن عليا يحاربهم وأنه إنما كان ينتظر انسلاخ الشهر،
ففزعوا إلى معاوية، وذلك في أول يوم من شهر صفر، وعبي (معاوية) أصحابه،
فكان (٣) على ميمنته ذو الكلاع الحميري، وعلى رجالها حوشب ذو الظليم، وعلى
خيل ميسرته حبيب بن مسلمة، وعلى رجالها بسر بن (أبي) أرطاة، وعلى خيل
القلب عبد الرحمن بن خالد بن الوليد المخزومي، وعلى رجالها الضحاك بن
قيس، وعلى خيل الجناح عبد الله بن جعدة الفزاري وعلى رجالها همام بن قبيصة
النميري، وعلى خيل الكمين أبو الأعور السلمي، وعلى رجالها حابس بن سعد
الطائي.

قال: وعبي علي بن أبي طالب رضي الله عنه أصحابه (٤)، فكان على خيل
ميمنته الحسن والحسين سبطا النبي (ص)، وعلى رجالها عبد الله بن جعفر بن أبي
طالب ومسلم بن عقيل بن أبي طالب، وعلى خيل الميسرة محمد ابن الحنفية

(١) كذا بالأصل ووقعة صفين، وفي الأخبار الطوال: "آي القرآن" والسبع المثاني: السور الطوال من
البقرة إلى التوبة على أن تحسب التوبة والأنفال سورة واحدة، ولذلك لم يفصل بينهما في المصحف
بالسمة.

(٢) عن الطبري ٦ / ٥ وبالأصل "مزيد".

(٣) انظر في تعبئة معاوية أصحابه الطبري ٦ / ٦ ووقعة صفين ص ٢٠٦ - ٢٠٧ والأخبار الطوال ص ١٧٢
باختلاف عن الأصل.

(٤) الطبري ٦ / ٦ الأخبار الطوال ص ١٧١ - ١٧٢ وقعة صفين ص ٢٠٥ - ٢٠٦.

ومحمد بن أبي بكر، وعلى رجالها هاشم بن عتبة بن أبي وقاص وأخوه (١) عمر بن عتبة، وعلى خيل القلب عبد الله بن عباس والعباس بن ربيعة بن الحارث، وعلى رجالها مالك بن الحارث الأشتر والأشعث بن قيس، وعلى خيل الجناح سعيد بن قيس وعبد الله بن بديل (٢) بن ورقاء الخزاعي، وعلى رجالها رفاعة بن شداد العجلي وعدي بن حاتم الطائي، وعلى خيل الكمين عمار بن ياسر وعمرو بن الحمق الخزاعي، وعلى رجالها عامر بن وائلة الكناني وقبيصة بن جابر الأسدي.

قال: ثم جعل علي رضي الله عنه على كل قبيلة من قبائل ربيعة ومضر واليمن رجلا من رؤسائهم يقتدون برأيه وينتهون إلى أمره، ودنا القوم بعضهم من بعض، وتقدم رجل من أصحاب علي رضي الله عنه يقال له الجدل بن عبد الله المذحجي وكان من الأبطال المعدودين، وهو الذي يقول فيه الأشتر حيث يقول:

وإنا إذا ما احتسبنا الوغى * أدرنا الرحي بصنوف الجدل (٣)

وضربا يفلق هاماتهم (٤) * وطعنا لهم بالقنا والأسل
عرانين من مذحج وسطها * يخوضون اغمارها بالهبل
ووائل تسعى بنسراتها (٥) * ينادونهم أمرنا قد كمل
أبا حسن فارم خيشومها * بكل همام وحام بطل (٦)
على الحق فينا له منهج * على واضح القصد لا بالميل

قال: فحمل الجدل على صفوف أهل الشام، فلم يزل يضارب ويطاعن حتى أثر فيهم أثرا حسنا، ورجع حتى وقف في موضعه.

قال: وتقدم رجل من أصحاب معاوية يقال له عوف بن عوف وهو يرتجز ويقول شعرا، (٧)، قال: فخرج إليه علقمة بن قيس (٨) من أصحاب علي مجيبا له على

(١) كذا بالأصل، وفي وقعة صفين هاشم وابنه. ولعله الصواب إذ ليس في أولاد عتبة من اسمه عمر.

(٢) بالأصل: يزيد خطأ.

(٣) كذا، والجدل جمع جدلاء أي الدروع المجدولة ولا وجه لها هنا، لعل الصواب "الجدل" بالحاء المهملة. جمع حدلاء وهي القوس التي حدرت إحدى سيئتها ورفعت الأخرى.

(٤) في وقعة صفين ص ١٩٤: وضربا لهاماتهم بالسيوف.

(٥) وقعة صفين: ووائل تسعر نيراتها.

(٦) وقعة صفين: صوت خيشومها بأسيافه كل حام بطل.

(٧) الأرجاز في وقعة صفين ص ١٩٤:

شعره (١)، قال: ثم حمل عليه علقمة بن قيس فطعنه في لبتة طعنة فسقط الشامي قتيلا، وأنشأ علقمة في ذلك يرتجز يقول:

يا عوف لو كنت امرءا حازما * لم تبرز الدهر إلى علقمة
لاقيت ليثا أسدا باسلا * يأخذ بالأنفاس والغلصمة
لاقيته قرنا له سطوة * يفترس الاقران في الملحمة
ما كان في نصر امريء ظالم * ما يدرك الحنة والمرحمة
ما لابن هند حرمة يرتجى * بها (٢) ثواب الله بل مندمة
لاقيت من قيس (٣) غداة الوغى * من أدرك الأبطال يا بن الأمة
ضيعت حق الله في نصرة * للظالم المعروف بالمظلمة
إن أبا سفيان من قبله * لم يك مثل العصبة المسلمة
لكنه نافق في دينه * من خشية القتل على المرغمة
وابنه نافق من بعده * وزخرف الباطل بالترجمة
سوف... (٤) من ضروب لنا * بين أن في الوعي المضرمة
قال: دعا عمرو بن العاص بابنه عبد الله فقال: يا عبد الله! خذ هذه الراية
وتقدم بين يدي! فقال عبد الله: ما أفعل، فإنك تقدمني إلى حرب رجل ما كان كفر
بالله
ساعة قط، قال: فغضب عمرو ثم قال: والله لتأخذنها أو لأضربن بهذا السيف

= إنني أنا ابن عوف أخو الحروب * عند هياج الحرب والكروب
صاحب لا الوقاف والهيوب * عند اشتعال الحرب باللهيب
ولست بالناجي من الخطوب * ومن رديني مارن الكعوب
إذ جئت تبغي نصرة الكذوب * ولست بالعف ولا النجيب
(٨) في وقعة صفين ص ١٩٤ علقمة بن عمرو.
(١) الأرجاز في وقعة صفين ص ١٩٤.
يا عجباً للعجب العجيب * قد كنت يا عوف أخا الحروب
وليس فيها لك من نصيب * إنك، فاعلم، ظاهر العيوب
في طاعة كطاعة الصليب * في يوم بدر عصبة القلب
فدونك الطعنة في المنخوب * قلبك ذو كفر من القلوب
(٢) وقعة صفين ص ١٩٥: ما لابن صخر حرمة ترتجى لها.
(٣) وقعة صفين: لاقيت ما لاقى.
(٤) موضع النقاط مطموس في الأصل.

قرطفك، فقال عبد الله: والله لولا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي: أطع أباك يا أبا

عبد الله، لما أطعتك في هذا الأمر أبدا.

قال: ثم أخذ عبد الله الراية بيده وتقدم بين يدي أبيه حتى وقف أمام أصحابه، وأنشأ عمرو يقول (١):

ولو شهدت جمل مقامي وموقفي * بصفين يوما شاب منها الذوائب
غداة ترى (٢) أهل العراق كأنهم * من البحر موج لجه متراكب
وجئنا إليهم في الحديد كأننا (٣) * سحاب خريف صففته الجنائب
فقالوا نرى من رأينا أن تبايعوا * عليا فقلنا بل نرى أن نضارب
فطارت إلينا بالرماح كماتهم * وطرنا إليهم والسيوف قواضب
فلما أرادوا أن يقوموا مقامنا * شددت إليهم أن يزول المواكب
فإننا (٤) وقد نالوا سراة رجالنا * وليس لما لاقوا سوى الله حاسب
ولم أر يوما كان أكثر باكيا * ولا عارضا منهم كميا يكالب
إذا قلت قد استهزموا برزت لنا * كتائب خرص وارجحت كتائب
قال: ثم حمل عمرو في نفر من أهل الشام فقاتلوا ساعة ورجعوا إلى
مواقفهم.

ونظر علي رضي الله عنه إلى الصف الذي فيه عمرو فإذا هو صف محكم
بالخيل والرجالة فدعا برجل من ربيعة يقال له الحضين (٥) بن المنذر فدفع إليه راية
سواء (٦) وضم إليه خمسمائة رجل من سادات ربيعة وقال: تقدم يا حضين نحو هذا
الصف في بني عمك، ولا تقصر ليكون نصيبك الأخص. قال فأخذ الراية ثم قال:
يا معشر ربيعة! اعلموا أن الموت اليوم خير من الفرار، فانظروا ولا يلتفت منكم

(١) الأبيات في وقعة صفين ص ٣٧٠ ونسبها إلى محمد بن عمرو بن العاص.

(٢) وقعة صفين: غدا.

(٣) وقعة صفين: وجئناهم نمشي صفوفنا كأننا.

(٤) وقعة صفين: فأبنا.

(٥) عن الطبري ٦ / ١٩ وبالأصل " الحصين " وقد صحح في كل مواضع الخبر.

وهو الحضين بن المنذر بن الحارث بن وعلة الرقاشي، فارس شاعر من كبار التابعين، مات على رأس
المئة (تهذيب التهذيب).

(٦) كذا بالأصل والطبري، وفي وقعة صفين ص ٢٨٩ قال السدي: حمراء.

أحد، واتبعوني والميعاد بيني وبينكم فسطاط معاوية. قال ثم تقدم الحضيبن وأصحابه بالراية، فلم يزل يطاعن في اعراض أهل الشام حتى خضب الراية بالدماء. قال: وجعل معاوية يقول: لمن هذه الراية السوداء؟ فقالوا: للحضيبن بن المنذر في قومه من ربيعة، قال: فتقدم معاوية بين يديه ثلاثمائة رجل من بني عك ولخم وحمير، وقدم علي رضي الله عنه بين مائة رجل من أبطال مذحج، واختلط القوم فاقتتلوا قتالا شديدا، وصبر بعضهم لبعض ساعة، وصاح علي بالحضيبن بن المنذر أن قدم الراية يا حضيبن! قال: فتقدم الحضيبن وهو لم يصبر من غيظه، وتقدمت معه مذحج وربيعة وكل رجل منهم يحتاج إلى كتيبة، فحملوا عليه حملة رجل واحد حتى وصلوا إلى فسطاط معاوية وانكشفت عنه الناس، قال: وصاح رجل من أصحاب معاوية: ويحكم يا أهل الكوفة! أما تتقون الله في الحرم؟ ويحكم! نحن بنو أعمامكم فاقصروا، فمع اليوم غد، فعندها أنشأ علي رضي الله عنه يقول (١):

لمن راية سوداء (٢) يخفق ظلها * إذا قيل قدمها حضيبن تقدما
يقدمها للموت (٣) حتى يزيرها * حياض المنايا تقطر الموت والدماء
تراه إذا ما كان يوم كريمة (٤) * أبي فيه إلا عزة وتكرما
جزى الله قوما صابروا في لقائهم * لدى الموت خيرا (٥) ما أعف وأكرما
ولا حسن صبورا حين يدعى إلى الوغى * إذا كان أصوات الرجال تغمغما (٦)
ربيعة أعني أنهم أهل نجد * وبأس إذا لاقوا خميسا (٧) عرمرما
وقد صبرت عك ولخم وحمير * لمذحج حتى أورثوها تندما (٨)
ونادت جذام يا أهل كوفين ويحكم * جزى الله شرا أينما كان أظلما

(١) الأبيات في الطبري ٦ / ٢٠ - ٢١ ابن الأثير ٢ / ٣٧٤ وقعة صفين ص ٢٨٩.

(٢) وقعة صفين: حمراء.

(٣) طبري: في الموت. وفي وقعة صفين: ويدنو بها في الصف حتى يديرها.

(٤) وقعة صفين: يوم عظيمة.

(٥) طبري: " لدى الموت قوما " وقعة صفين: لدى البأس حرا.

(٦) وقعة صفين: وأحزم صبورا.. الكمأة تغمغما.

(٧) الطبري: جشيما.

(٨) وقعة صفين: لمذحج حتى لم يفارق دم دما.

أما تتقون الله في حرماننا * وما قرب الرحمن منا وعظما
أذاقوا ابن هند طعنهم وضربهم * على حنق حتى تولى وأحجما (١)
قال: فلم يزل الحضيض بن المنذر يقاتل هو وبنو عمه حتى ضج منهم أهل
الشام، ثم رجعوا مواضعهم، وقد جرح منهم خلق كثير.
قال: وخرج مولى لعثمان بن عفان يقال له أحمر حتى وقف بين الصفيين وجعل
يرتجز ويقول:

إن الكتيبة عند كل تصادم * تبكي فوارسها على عثمان
قوم حماة ليس منهم قاسط * سيكون كل مفصل وسان
قال: فخرج إليه كيسان مولى علي مجيبا له وهو يقول:
قف لي قليلا يا أحيمر إنني * مولى التقي الصادق الإيمان
عثمان ويحك قد مضى لسبيله * فاثبت لحمد مهند وسان
قال: فحمل عليه مولى عثمان فطعنه طعنة جدله قتيلا، فقال علي رضي الله
عنه: قتلني الله إن لم أقتلك يا عدو الله! ثم حمل عليه علي وتلقاه مولى عثمان
بالسيف وهو لم يعرفه، فضربه واتقاه علي رضي الله عنه بحجفته، ثم مد علي يده
إليه وقبض على ثوبه ثم رفعه عن قربوصه وضرب به الأرض فكسر منكبه وأضلعه،
ثم جال علي رضي الله عنه في ميدان الحرب وهو يتمثل بهذه الأبيات:
لهف نفسي وقليل ما أسر * ما أصاب الناس من خير وشر
لم أرد في الدهر يوما حربهم * وهم الساعون في الشر الشمر
قال: وأقبل معاوية على غلام له يقال له حريث فكان فارسا بطلا (٢)، فقال
معاوية: يا حريث! انظر إذا خرجت إلى الحرب فاحذر علي بن أبي طالب ولا تقربه،
وضع رمحك حيث شئت من الناس، فقال حريث: أفعل ذلك يا سيدي إن شاء
الله.

(١) في الطبري ووقعة صفين:

أذقنا ابن حرب طعننا وضربنا * بأسيفنا حتى تولى وأحجما
(٢) حريث مولى معاوية كان يلبس سلاح معاوية متشبهًا به.

قال: فلما تنحى حريث من بين يدي معاوية أخذ بيده عمرو بن العاص فقال: أما والله يا حريث! لو كنت قرشياً لأحب معاوية أن تقتل علياً ولكنه قد علم أنك عبده فلم يختر أن يكون لك هذا الحظ، فانظر إن أصبت فرصة من علي فاقدم عليه ولا يهولنك، فإنما هو رجل مثلك.

قال: وخرج حريث وجعل يجول في ميدان الحرب ويسأل البراز، ونظر إليه علي رضي الله عنه فعلم أنه حريث غلام معاوية، فخرج إليه علي رضي الله عنه على فرس أدهم وهو متعمم بعمامة صفراء لكيلا يعرف، ونظر إليه حريث فناده: أيها الفارس! لقد أسلمك علي إلى الموت إذ أخرجك إلى مثلي، ثم جاوله، وجعل علي أنشأ يقول:

أنا الغلام العزيز المنتسب * من خير عود في مضاض المطلب
يا أيها العبد اللئيم (١) المنتدب * إن كنت للموت محبا فاقترب
وأثبت رويدا أيها الكلب الكلب * أولا فول هاربا ثم انقلب

قال: فعلم عمرو أنه علي فصاح بحريث وقال: يا حريث! دونك الرجل لا يفوتنك، فحمل حريث على علي رضي الله عنه، وداخله علي بالسيف فضربه ضربة أطار بها قحف رأسه، فسقط حريث إلى الأرض قتيلاً، ثم أنشأ علي يقول:
ألا احذروا في حربكم أبا الحسن * ولا تروموه فدام الغبن
فإنه يدقكم دق الطحن * ولا يخاف الهياج من ومن
وقد غزا في الناس في وقت اللبن

قال: فعلم معاوية أنه علي فاغتم علي حريث غما شديداً، ثم أقبل على عمرو فقال: والله يا هذا! ما قتل حريثاً أحد سواك، لأنني أعلم أنك أنت الذي غررته وألقيته في مخاليب الأسود، ثم أنشأ معاوية يقول:

حريث ألم تعلم وعلمك (٢) ضائر * بأن علياً للفوارس قاهر
وأن علياً إن (٣) يبارز فارساً * من الناس إلا أقصدته الأظافر
أمرتك أمراً حازماً فعصيتني * فجذك إذ لم تقبل النصح عاثر

(١) وقعة صفين ص ٢٧٣: الغرير.

(٢) وقعة صفين ص ٢٧٣: وجهلك.

(٣) صفين: لم يبارزه فارس.

فدلاك عمرو والحوادث جممة * غرورا وما أجرت عليك المقادر
وظن حريث أن عمرا نصيحه * وقد يهلك الانسان إن لم يحاذر
أيركب عمرو رأسه خوف نفسه * ويصلى حريثا إنه لمماكر (١)
قال: واشتبتك الحرب وذهب علي رضي الله عنه ليطعن رجلا من أهل الشام
فهرب الشامي من بين يدي علي، وحمل عمرو بن الحصين على علي من ورائه
ليطعنه، فحمل سعيد بن قيس على ابن الحصين فطعنه طعنة قتله، وانفلت علي
فصار إلى أصحابه.

قال: وجزع معاوية على ابن الحصين جزعا شديدا لأنه كان من فرسان أهل
الشام.

قال: فأنشأ الهمداني يقول شعرا يفضل فيه عليا رضي الله عنه على معاوية،
فبلغ ذلك معاوية، فدعا بذي الكلاع الحميري فضم إليه خيلا عظيمة من يحصب
وكندة ولحم وجدام ثم قال: اخرج واقصد بحربك همدان خاصة، قال: فخرج ذو
الكلاع في ألف رجل من قبائل اليمن، ونظر إليهم علي رضي الله عنه فعلم أنه عيون
القبائل، فنادى بأعلى صوته: يا آل همدان! فأجابوه: لبيك لبيك يا أمير المؤمنين!
فقال: عليكم بهذه الخيل، فإن معاوية قصدكم بها خاصة دون غيركم.

قال: فصاح سعيد بن قيس بقومه من همدان، فجمعهم قبيلة واحدة ثم إنه
أوصاهم، وحمل وحملت معه قبائل همدان، واختلطت القوم واشتبتك القتال
ساعة، ثم حطمتهم خيل همدان فقتلهم إلى حريم معاوية وقد قتل منهم مقتلة
عظيمة، وجاء الليل فحجز بين الفريقين.

قال: فجمع علي قبائل همدان بين يديه ثم أقبل عليهم فقال لهم: أنتم درعي
ورمحي وسناني وجنتي! والله لو كانت الجنة في يدي لأدخلتكم إياها خاصة يا معشر
همدان! فقال سعيد بن قيس: والله يا أمير المؤمنين ما نصرنا إلا لله ولا أجبنا غيره،
ولقد قاتلنا مع من ليس له مثل سابقتك ولا قرابتك، فارم بنا حيث شئت وأين أحببت
فنحن لك سامعون مطيعون، قال: فعندها أنشأ علي رضي الله عنه أبياتا يقول:
ولما رأيت الخيل تفرع بالقنا * فوارسها حمر العيون دوامي

(١) وقعة صفين: خوف سيفه... إنه لفرافر.

واعرض نقع في السماء كأنه * صباة دجن ملبس بقتام
ونادى ابن (هند) ذا الكلاع ويحصب
وكندة في لحم وحي جذام
تيممت همذان الذين هم هم * إذا ناب أمر جنتي وسهامي
وناديت فيهم دعوة فأجاني (١) * فوارس من همذان غير لئام
فوارس من همذان ليسوا بعزل * غداة الوغى من شاكر وشتام (٢)
لهمذان أخلاق ودين يزينها * وبأس إذا لاقوا وطيب كلام (٣) فلو كنت بوابا على باب
جنة * لقلت لهمذان ادخلوا بسلامي
جزى الله همذان الجنان فإنهم * سمام العدى في كل يوم حمام (٤)
قال: فلما كان من الغد زحفت الناس بعضهم إلى بعض، وأقبل علي رضي
الله عنه علي أصحابه فقال (٥): أيها الناس! انظروا ولا تقاتلوا القوم حتى ييدأوكم
بالقتال، فإنكم بحمد الله على (٦) بصيرة ويقين، وإذا أنتم قاتلتموهم فهزمتموهم فلا
تقتلوا مدبرا ولا تجهزوا على جريح ولا تكشفوا عورة، وإذا وصلتكم إلى رجال القوم
فلا تهتكوا سترا ولا تدخلوا دارا إلا بإذن، ولا (٧) تأخذوا من أموالهم شيئا إلا ما
أصبتموه في عسكرهم، ولا تكلموا الناس، وإياكم ونساء أمرائكم! فإنهن ضعيفات
الأنفس والعقول، هذه وصيتي لكم قبل محاربة القوم، وهذا الآن. فقال الناس:
سمعا وطاعة يا أمير المؤمنين!
قال: وأقبل مالك بن حري (٨) النهشلي إلى قومه من بني تميم، فقال: اعلموا
أن الفرار فيه العار، وأنا قد ابتعت هذه الدار بدار القرار، وهذا وجهي إليها، فإن لم

-
- (١) وقعة صفين ص ٢٧٤: دعوت فلباني من القوم عسبة.
(٢) كذا ولا محل لها، وفي وقعة صفين: " وشبام " وبنو شاكر وبنو شبام بطنان من همدان.
(٣) وقعة صفين: وحد خصام.
(٤) وقعة صفين: كل يوم زحام.
(٥) انظر وصيته في نهج البلاغة رقم ١٤.
(٦) النهج: علي حجة، وترككم إياهم حتى ييدؤكم حجة أخرى لكم عليهم.
(٧) النهج: ولا تهيجوا النساء بأذى، وإن شتمن أعراضكم، وسببن أمراءكم فإنهن ضعيفات القوى
والأنفس والعقول. وإن كنا لنؤمر بالكف عنهن وإنهن لمشركات، وإن كان الرجل ليتناول المرأة
بالجاهلية بالفهر أو الهراوة فيغير بها وعقبه من بعده.
(٨) عن الإصابة، وبالأصل: " حوى " وانظر مقالته في وقعة صفين ص ٢٦٥.

تقاتلوا عن الدين فقاتلوا عن الأحساب والأنساب. ثم تقدم نحو أصحاب معاوية وهو يرتجز ويقول:

إن تميما أخلفت عنك زمر (١) * وقد أراهم وهم الحي الصبر
فإن جنيتهم أو فررتهم لا أفر (٢) * لكنني أحمي ذماري وأكر
قال: ثم حمل فلم يزل يقاتل حتى قتل.

قال: فخرج رجل من أصحاب معاوية يقال له بشر بن عصمة (٣)، وكان من أهل الكوفة ولكن مال إلى الدنيا فصار مع معاوية، فخرج إليه رجل من أصحاب علي يقال له مالك بن الجلاح (٤) فالتقيا بطعنتين، فطعنه صاحب معاوية طعنة جرحه منها جراحة قبيحة، ثم جعل يقول:

دلفت له تحت الغبار بطعنة * على بصر مني طعان المخالس (٥)
وإني لأرجو من مليكي وخالقي * ومن مالك الأملاك دار التنافس (٦)
قال: فأجابه مالك وهو يقول:

أيا بشر صبيرا لا تراع فإنني (٧)
شغلت وألهاني الذين أمارس

وصادقت مني غرة فأصبتها * كذاك يكون الناس ماش وجالس (٨)
قال: وخرج الشمز بن ذي الجوشن السلولي يسأل المبارزة، فخرج أدهم بن محرز الباهلي، فاختلفا بضربتين، ضربه الباهلي على جيئنه فأسرع فيه السيف حتى خالط العظم، وضربه الشمز بن ذي الجوشن فلم يصنع شيئا، ورجع إلى عسكره فشرب ماء ثم رجع إلى الباهلي وهو يقول:

-
- (١) في وقعة صفين ص ٢٦٥: عنك ابن مر.
(٢) وقعة صفين: فإن تخيموا أو تفروا لا نفر. (٣) عن الطبري ٦ / ١٦ وبالأصل "عقبة" وهو من الصحابة ترجم له في الإستيعاب والإصابة.
(٤) هو مالك بن الجلاح بن صامت بن سدوس بن انسان بن عتوارة، أحد بني جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن.
(٥) في الطبري ووقعة صفين: على ساعة فيها الطعان تخالس.
(٦) الطبري: مليكي تجاوزا * ومن صاحب الموسوم في الصدر هاجس. (٧) الطبري: ألا أبلغا بشر بن عصمة أني.
(٨) الطبري: كذلك والأبطال ماض وخالس.

إني زعيم لأخي باهلة * بطعنة إن لم أصب (١) عاجلة
أو ضربة تحت الغبار آجلة (٢) * شبيهة بالقتل أو قاتلة (٣)
قال: ثم حمل على الباهلي، فضربه ضربة على وجهه وقال: يا أخا باهلة!
تلك بهذه، وجال الشمر في ميدان الحرب وهو يقول (٤):
لله در عصابة في ماقط * شهدوا مجال الخيل تحت قتامها
شهدوا ليوثا ليس يدرك مثلهم * عند الهياج يذب عند زحامها (٥)
جرت (٦) العيون إذا أردت قتالهم * برزوا سماحا كلهم بحمامها
لا ينكلون إذا تقرض (٧) صفهم * جزعا على الإخوان عند جلامها
أسد العرين على (٨) السوابح بالقنا * يردون مهيعة الطريق بهامها
قال: وخرج أبو أيوب الأنصاري حتى وقف بين الجمعين يسأل البراز، فلم
يبرز إليه أحد، قال: ونظر إلى معاوية حتى إذا دنا منه دخل معاوية إلى خيمته،
وخرج من جانب الخيمة وهو يقول شعرا (٩).
أقول لها وقد طارت شعاعا * من الأبطال إنك لن تراعي
فإنك لو سألت بقاء (١٠) يوم * على الأجل الذي لك لن تطاعي (١١)
قال: وقامت أهل الشام في وجه أبي أيوب، فقاتلهم ساعة ورجع إلى موضعه
سالما، ورجع معاوية إلى موضعه متغير اللون وهو يقول: هذا والله كما قال الأول:

(١) عن الطبري ٦ / ١٦، وفي وقعة صفين ص ٢٨٦: أمت.

(٢) الطبري: تحت القنا والوغي.

(٣) عن الطبري.

(٤) الأبيات في وقعة صفين ونسبها إلى مرة بن جنادة العليمي (ص ٣٧٤).

(٥) وقعة صفين: عن آجامها.

(٦) وقعة صفين: " خزر العيون ". والسماح: جمع سمح، وهو الجواد، بحمامها: بحمام النفوس أي موتها المقدر لها.

(٧) وقعة صفين: تقوض.

(٨) وقعة صفين: " فوق البراح من السوابح " والسوابح: الخيل تسبح في جريها. يردين من الرديان، وهو ضرب من السير.

(٩) البيتان لقطري بن الفجاءة (الحماسة لأبي تمام ١ / ٢٤ ابن خلكان ١ / ٤٣٠).

(١٠) عن الحماسة، وبالأصل: حياة. وفي وقعة صفين ص ٢٧١: خلاء.

(١١) هو حاتم الطائي، والأبيات من قصيدة له في ديوانه.

أخو الحرب إن عضت به الحرب عضها* وإن شمרת عن ساقها الحرب شمرا
ويحمي إذا ما الموت كان أمامه (١)* كذا الشبل يحمي الابن أن يتأخرا
كليث هزبر وهو يحمي عرينه* رمت المنايا نعيه فتقطرا (٢)
ثم أقبل معاوية على أصحابه فقال: ويحكم! إن السيوف لم يؤذن لها في قتل
هؤلاء، ولولا ذلك لما وصل إلى هذا، ولكن إذا رأيتم مثل هذا فعليكم بالحجارة،
فقال رجل من أهل الشام يقال له المبرقع بن منصور: والله يا معاوية لأفعلن كما
فعل، ولأقتلن عليا إن قدرت عليه قال: ثم حمل يريد عليا، ونظر إليه أبو أيوب
فاستقبله بالسيوف، فنحاه نفحة أبان بها عنقه فثبت رأس الشامي على الجسد، فظن
الناس أنه قد أخطأه، قال: وتحرك الفرس فسقط الرأس ناحية وسقط الرجل ميتا،
فعجبت (٣) الناس من ضربة أبي أيوب، فقال علي رضي الله عنه: والله لأنا أشد
تعجبا من ثبات الرجل على فرسه منكم لضربة أبي أيوب! والله ما أنت إلا كما قال
الأول:

وعلمنا الحرب آباؤنا* وسوف نعلم أيضا بنينا
قال (٤): وخرج رجل من أهل الشام يسأل المبارزة، فخرج إليه رجل من
أصحاب علي، فحمل كل واحد منهما على صاحبه، فضربه صاحب علي ضربة
أرداه من فرسه واقتحم عليه ليذبحه، فنظر في وجهه فإذا هو أخوه لأبيه وأمه،
فصاحت به أصحابه: اذبحه عاجلا وقم عنه فقال: ويحكم! هذا أخي، قالوا:
فاتركه، قال: لا والله لا أتركه أو يأذن لي أمير المؤمنين، فأخبر علي بذلك، فأرسل
إليه أن اتركه، فتركه، فانصرف هذا إلى علي وذاك إلى معاوية.

(١) في وقعة صفين ص ٢٤٧: كن لقاؤه* قدي الشبر، يحمي الأنف أن يتأخرا.

والبيت في اللسان ونسبه إلى هذبة بن الخشرم، وروايته فيه:

وإني إذا ما الموت لم يك دونه* قدي الشبر أحمي الأنف أن يتأخرا

(٢) في الأخبار الطوال ص ١٧٦:

كليث عرين بات يحمي عرينه* رمت المنايا قصدها فتقطرا

وفي وقعة صفين: يحمي ذماره.

(٣) وقعة صفين ص ٢٧١: وكذب الناس أن يكون ضربه وأرابهم.

(٤) وقعة صفين ص ٢٧١ - ٢٧٢.

قال: وإذا بفارس من فرسان الشام قد خرج مقنعا في الحديد، فوقف يسأل
المبارزة، فخرج إليه عبد الرحمن بن يحيى (١) الكندي حتى وقف قبالته، ثم قال
له: من أنت أيها الرجل؟ فقال: رجل من عك، فحمل عليه الكندي وهو
يقول (٢):

لقد علمت عك بصفين أنا * إذا ما نلاقي القوم (٣) نطعنها شزرا
ونحمل رايات القتال لحقها (٤) * ونوردها بيضا ونصدرها حمرا
قال: ثم حمل على الشامي فطعنه طعنة في نحره فصرعه، ثم نزل إليه فسلبه
درعه وسلاحه فإذا هو عبد أسود، قال: والله إني لو علمت أنه عبد لما خرجت إليه!
ولكنه ذكر أنه من عك ولعله أن يكون عبدا لعك.

قال (٥) وتقدمت جماعة من بني طيء من أصحاب علي حتى وقفوا بجانب
أصحاب معاوية، ثم سألوا البراز، فخرج إليهم نفر من أصحاب معاوية حتى
واقعوهم (٦). ثم تقدم إليهم حمزة بن مالك الهمداني من أصحاب معاوية فقال: من
أنتم؟ فقال عبد الله بن خليفة الطائي (٧): نحن طيء السهل وطيء الجبل! نحن
طيء الرماح وطيء الصفاح! وطيء النطاح وفرسان الصباح! فقال له حمزة بن
مالك: بخ بخ يا أخا طيء في حسن ثنائك على قومك! ثم حمل القوم بعضهم على
بعض فاقتتلوا ساعة، وجعل عبد الله بن خليفة الطائي يقول:
يا طيء الأجبال والسهل معا * إنا إذا دع دعا فأسمعا (٨)

- (١) في الطبري ٦ / ١٦ ووقعة صفين ص ٢٧٦: محرز.
(٢) كذا بالأصل، وفي الطبري ٦ / ١٦ أن رجلا من عك خرج يسأل المبارزة فخرج إليه قيس بن قهدان
الكناني ثم البدني فحمل عليه العكي فضربه واحتمله أصحابه فقال قيس بن قهدان، وذكر البيتين
(وانظر وقعة صفين ص ٢٧٧).
(٣) الطبري: إذا التقت الخيلان.
(٤) الطبري: الطعان بحقها.
(٥) الخبر في الطبري ٦ / ١٧.
(٦) الطبري: إن طيء يوم صفين قاتلت قتالا شديدا فعبيت لهم جموع كثيرة.
(٧) الطبري: البولاني، وبولان: إحدى قبائل طيء.
(٨) وقعة صفين ص ٢٧٩ مضطجعا.

طرنا إلى السيف حفاظا مسرعا (٨) * فنقتل المستسلم المقنعا
 قال: وثبت القوم بعضهم لبعض وعبد الله بن خليفة الطائي يقاتل أهل الشام
 فيمن معه من قبائل طيء أشد القتال حتى فقئت عينه (٢)، فأنشأ يقول:
 ألا ليت عيني هذه مثل هذه * ولم (٣) أمش بين الناس إلا بقائد
 ويا ليت رجلي ثم طنت بنصفها (٤) * ويا ليت كفي ثم طاحت بساعدي
 ويا ليتني لم أبق بعد (٥) عشيرتي * وقومي وبعد المستنير بن خالد
 فوارس لم تغذ الحواضن مثلهم * إذا هي (٦) أبدت عن خدام الخرائد
 قال: واشتد الحرب بين الفريقين وجعل أهل الشام يزدادون ويعينون
 أصحابهم، وكذلك أهل العراق. قال: ونظر رجل من أصحاب علي يقال له
 عمرو (٧) بن عبيدة بن خالد المحاربي إلى قومه من بني محارب يريدون أن ينهزموا
 فقال: يا معشر قيس! أطاعة الشيطان أثر عندكم من طاعة الرحمن؟ أما علمتم أن
 الفرار فيه معصية الله والصبر فيه طاعة الله؟ أفتختارون سخط الله على رضوانه
 ومعصيته على غفرانه؟ الله الله عباد الله! فإن الراحة بعد الموت لمن مات محتسبا
 وفي طاعة الله مترغبا، ثم جعل يقول (٨):
 أنا الذي لا أنثني ولا أفر * ولا أولي أبدا من الدبر
 ولا أرى من المعازيل الدبر * لكن مع القوم المصاليات الصبر
 ثم حمل، فلم يزل يقاتل حتى قتل رحمه الله وقتل معه جماعة من أصحاب
 علي، وقطعت، رجل علقمة بن قيس، ثم انهزم أهل الشام عن أهل العراق، وذلك

- (١) وقعة صفين: " ندب بالسيف ديبا أروعا " وفي الطبري: " مصمما بالسيف ندبا أروعا ".
 (٢) في الطبري ٦ / ١٧ أن الذي فقئت عينه هو بشر بن العسوس الطائي وهو صاحب الأبيات.
 (٣) كذا بالأصل ووقعة صفين ص ٢٨٠، وفي الطبري: فلم أمش في الأناس.
 (٤) طنت: قطعت وسقطت فكان لذلك صوت.
 (٥) الطبري: بعد مطرف وسعد.
 (٦) الطبري: إذا الحرب.
 (٧) في الطبري ٦ / ١٨ خنثر. وفي وقعة صفين ص ٢٨٦ عنتر بن عبيد بن خالد.
 (٨) الأرجاز باختلاف في الطبري ٦ / ١٨ ووقعة صفين ص ٢٨٦.

في وقت المساء، فأنشأ ثعلبة بن عقبة من أهل الشام يقول (١):
لقينا رجالا للعراق أعزة * كأسد الشري عند حز الغلاصم
فلم أر فرسانا أشد بديهة * وأمنع منهم في اختلاط الملاحم (٢)
غداة غدت أهل العراق كأنهم * ليوث (٣) تلاقي في فجاج المخارم
إذا قلت قد ولوا أنابت كتيبة * ململمة في البيض ألوى العمائم (٤)
وقالوا لنا: هذا علي فبايعوا * فقلنا ألا لا بالسيوف الصوارم
وثرنا إليهم بالسيوف وبالقنا * تدافعهم فرساننا بالتزاحم
قال: وجعل أهل العراق ينادون: يا أهل الشام! عندنا الطيب ابن الطيب
محمد بن أبي بكر الصديق، فقال أهل الشام: ذلك الخبيث ابن الطيب، ثم نادى
أهل الشام: ألا إن فينا الطيب ابن الطيب عبيد الله (٥) بن عمر بن الخطاب، فقالت
أهل العراق: ذلك الخبيث ابن الطيب.
قال: فبات القوم وأصبحوا على راياتهم وبغيتهم، وتقدم جماعة من أصحاب
علي (٦) على رؤوسهم البيض وهم في الحديد لا يرى منهم إلا الحدق، وخرج إليهم
نحوهم العدد من أهل الشام، فاقتتلوا بين الصفيين وهم يزيدون على ألف رجل، فلم
يرجع من هؤلاء وهؤلاء أحد لا شامي ولا عراقي، وقتلوا عن آخرهم، فأنشأ
شيث (٧) بن ربيعي يقول:
وقفنا لهم في يوم صفيين في الوغى (٨) * لدى غدوة حتى هوت لغروب
وأصبحت الأبطال منا ومنهم * وقامت نساء حولنا بنحيب

(١) الأبيات في وقعة صفيين - ببعض اختلاف - ونسبت إلى عقبة بن سلمة أخو بني رقاش، من أهل الشام. ص ٢٩٣.

(٢) وقعة صفيين: ص ٢٩٤: وأمنع منهم يوم تل الجماجم.

(٣) وقعة صفيين: نعم.

(٤) وقعة صفيين: شمط المقادم.

(٥) بالأصل: " عبد الله " تحريف والمشهور أن عبيد الله بن عمر بن الخطاب هو الذي التحق بمعاوية - وقد

مر ذلك - هربا من علي الذي يطالبه بدم الهرمزان.

(٦) نحو من خمسمائة فارس (وقعة صفيين ص ٢٩٣).

(٧) بالأصل شبيب خطأ، وقد مر مرارا.

(٨) وقعة صفيين ص ٢٩٤: وقفنا لديهم يوم صفيين بالقنا.

يرون رجالا كالأسود عوابسا * لهن زئير في الوغاء عجيب
 نجالدهم بالبيض طورا وبالقنا * وكل حسام كالشهاب قضيب (١)
 وكل همام في الحروب هميسع * على كل محنوك السراة شوب (٢)
 نجالد جولانا ونسقى بحدها * جذاما ووتر الغدر غير طلب (٣)
 فلم أر فرسانا أشد بديهة (٤) * إذا غشي الآفاق نفح جنوب
 قال: وأرسل عبيد الله بن عمر بن الخطاب إلى الحسين (٥) بن علي أن لي
 إليك حاجة فالقني إذا شئت حتى أخبرك. قال: فخرج إلى الحسين حتى واقفه وظن
 أنه يريد حربه، فقال له ابن عمر: إني لم أدعك إلى الحرب ولكن اسمع مني فإنها
 نصيحة لك، فقال الحسين: قل ما تشاء، فقال: اعلم أن أباك قد وتر قريشا، وقد
 بغضه الناس وذكروا أنه هو الذي قتل عثمان، فهل لك أن تخلعه وتخالف عليه حتى
 نوليك هذا الأمر؟ فقال الحسين: كلا والله لا أكفر بالله وبرسوله وبوصي رسول الله،
 أحس ويملك من شيطان مارد! فلقد زين لك الشيطان سوء عمالك فخذعك حتى
 أخرجك من دينك باتباع القاسطين ونصرة هذا المارق من الدين، لم يزل هو وأبوه
 حربيين وعدوين لله ولرسوله وللمؤمنين، فوالله ما أسلما ولكنهما استسلما خوفا
 وطمعا! فأنت اليوم تقاتل عن غير متذمم، ثم تخرج إلى الحرب متخلقا (٦) لتراثي
 بذلك نساء أهل الشام، ارتع قليلا فإني أرجو أن يقتلك الله عز وجل سريعا. قال:
 فضحك عبيد الله بن عمر ثم رجع إلى معاوية فقال: إني أردت خديعة الحسين وقلت

(١) البيت في وقعة صفين:

أكر وأحمي بالغطاريف والقنا * وكل جديد الشفرتين قضوب

(٢) وقعة صفين:

نجالدهم طورا وطورا نصدهم * على كل محنوك السراة شوب

(٣) وقعة صفين:

نجالد غسانا وتشقى بحربنا * جذام ووتر العبد غير طلب

وغير طلب: أي قريب سهل المنال. أصله من قولهم: "بئر طلب" أي بعيدة الماء.

(٤) وقعة صفين: حفيظة.

(٥) في وقعة صفين ص ٢٩٧: "الحسن بن علي" وانظر خبر مقابلهما فيه.

(٦) متخلقا أي الذي يتخلق بالخلق. الطيب.

له كذا وكذا، فلم أطمع في خديعته، فقال معاوية: إن الحسين بن علي لا يخدع وهو ابن أبيه.

قال (١): ثم صاح معاوية بنخيل أهل الشام أن احموا رحمكم الله فقد بلغ الأمر أشده! فحملت أهل الشام على أهل العراق فاقتطعوا من أصحاب علي ألف رجل أو أكثر، وأحاطوا بهم وأحالوا بينهم وبين أصحابهم فلم يروهم، قال: ونظر علي إلى ذلك فنادى بأعلى صوته: ألا رجل يشري نفسه لله ويبيع دينه بآخرته؟ قال: فأقبل إليه رجل من بني جعفر يقال له عبد العزيز بن الحارث (٢) على فرسه فقال: يا أمير المؤمنين! مرني بأمرك فذاك أبي وأمي! فوالله لا تأمرني بشيء إلا فعلته! قال: فجعل علي يقول:

شريت بأمر لا يطاق حفيظة * حياء (٣) وإخوان الحفاظ قليل
جزاك إله الناس خيرا فقد وفيت * يدك بفضل من هناك جزيل
ثم قال علي: احم يا أبا الحارث! شد الله ركنك على أهل الشام، حتى تأتي أصحابك فتقرئهم عني السلام وقل لهم يكبروا ويهللوا، فنحن قد وافيناكم إن شاء الله.

قال: فحمل الفتى على أهل الشام وزعق وقاتل حتى انفرجوا له، ثم صار إلى أصحابه فأبلغهم الرسالة، قال: فكبر القوم وهللوا، وكبر علي وأصحابه وهللوا وحملوا أولئك، فوقعت الهزيمة على أهل الشام، فقتل منهم في تلك الوقعة نيف عن سبعمائة رجل، ولم يقتل من أصحاب علي ولا رجل واحد. فقال علي لأصحابه، من أعظم الناس غناء في هذا اليوم؟ فقالوا: أنت يا أمير المؤمنين! فقال علي: ولكن الجعفي أعظم غناء في اليوم، فأنشأ رجل من أصحاب علي يقول (٤): لقد رأيت أمورا كلها

عجب * وما رأيت كأيام بصفينا
لما غدوا وغدونا كلنا حنقا * كما رأيت كمال أكلة الجونا (٥)

(١) الخبر في وقعة صفين ص ٣٠٧.

(٢) وقعة صفين: على فرس أدهم كأنه غراب.

(٣) وقعة صفين: سمحت... وصدقا...

(٤) في وقعة صفين ص ٣٥٧ وقال رجل من بني عذرة.

(٥) في وقعة صفين: كما رأيت الجمال الجلة الجونا.

فجالت الخيل خيل (١) في أعنتها * وآخرون على كذب يرامونا
ثم ابتدلنا سيوفا في جماجمهم * وما (٢) فعلنا بهم في ذاك يجزونا
كأنها في أنوف القوم إذ لمعت * تسلسل البرق تحسین العرائنا (٣)
ثم انصرفنا وقتلاهم (٤) مطرحة * والقوم طرا على القتلى يصلونا (٤)
قال: وجاء الليل فحجز بين الفريقين، فقال معاوية: يا أهل الشام! أنتم
تعلمون ما قد أصبنا به اليوم من إخواننا، وإنما تقاتلون غدا من قبل إخوانكم اليوم،
فكونوا على إحدى ثلاث خصال (٥): إما أن تكونوا أردتم ما عند الله في قتال قوم
بغوا

عليكم وأقبلوا من بلادهم، حتى نزلوا في بيضتكم، وإما أن تكونوا قوما تذبون عن
نسائكم وأبنائكم، وأما أن تكونوا (٦) تغضبون للخليفة فتقاتلون عن دمه، فعليكم
بتقوى الله عز وجل والصبر الجميل، فقد نزل من الأمر ما ترون، فإذا أصبحتم
فازحفوا إلى القوم على بصيرة، وقدموا الدارع وأخروا الحاسر وسووا صفوفكم
دارعين وحاسرين، وأعيرونا جماجمكم ساعة فإنما هو ظالم أو مظلوم.
قال: فقال له ذو الكلاع: يا معاوية! إننا قد سمعنا كلامك فاسمع عني،
وجعل يقول:

نحن الصبر (نحن) الكرام * لا ننثني عند الخصام
بنو الملوك للعظام * ذوو النهي والأحلام
فقال معاوية: ظني بكم هذا. ثم جعل يكمن الكمناء ولا يألو في ذلك
جهدا، وبلغ ذلك عليا وأصحابه، فأنشأ قيس بن (سعد بن) (٧) عبادة يقول:
قلت لما بغى العدو علينا * حسبنا ربنا ونعم الوكيل

-
- (١) وقعة صفين: خيل تحول وخيل.
 - (٢) وقعة صفين: وما نساقهم من ذاك يجزونا.
 - (٣) في وقعة صفين:
 - (٤) كأنها في أكف القوم لامة * سلاسل البرق يجدن العرائنا
(٤) وقعة صفين: ... كأشلاء مقطعة * وكلنا عند قتلاهم يصلونا.
 - (٥) في وقعة صفين ص ٢٩٦: أحوال.
 - (٦) وقعة صفين: تكونوا قوما تطلبون بدم خليفتم وصهر نبيكم (ص).
 - (٧) سقطت من الأصل.

حسبنا ربنا الذي فتح النص * ر وبالأمس والحديث طويل
وله شكر ما مضى وعلى ذا * إن هذا من شكره لقليل
وعلي إمامنا لا سواه * في كتاب أتى به التنزيل
حين قال النبي من كنت مولا * ه علي مولا هذا دليل
أيما قاله النبي على الام * - ة فرض وليس قال وقيل
يا بن هند أين الفرار من المو * ت وللموت في الفجاج ذيول
ولواء النبي يخفق في ك * - ف علي نصيره جبريل
ثم حامت عليه من سلف الخ * - زرج قوم كأنهم إكليل
عند ذاك العيان يخلفه الظ * - ن وما غيره هناك سبيل
قال: فانكسر معاوية بهذا الشعر، ثم قال: لئن أمكنني الله من حمى الأنصار
لأشفين نفسي به.

فلما كان من الغد خرج قيس بن سعد على فرس له أشقر حاسر الرأس ورجلاه
يخطان الأرض وهو يقول (١):

أنا ابن سعد وأبي عبادة * والخزرجيون رجال سادة
ليس فراري في الوغى عبادة * إن الفرار للفتى قلادة
يا ذا الجلال لقني الشهادة (٢) * شهادة تتبعها سعادة
فالقتل خير من عناق غادة * نفس عني بالحويض والولادة
حتى متى تشني لي الوسادة

قال: ثم خرج وجال في ميدان الحرب ودعا إلى البراز، فخرج إليه بسر بن
(أبي) أرطاة الفهري وهو يقول:

أنا ابن أرطاة جليل (٣) القدر * في أسرة من غالب وفهر
ليس الفرار من طباع بسر * أن يرجع اليوم بغير وتر (٤)

(١) الارجاز في وقعة صفين ص ٤٢٨.
(٢) وقعة صفين: يا رب أنت لقني الشهادة.
(٣) وقعة صفين: ص ٤٢٩: عظيم القدر.
(٤) بعده في وقعة صفين:

قال: فحمل عليه قيس بن سعد فضربه ضربة أثخنه منها، ورجع بسر إلى معاوية ورجع قيس إلى عسكره.

قال: وخرج عمرو بن العاص فجعل يقول:
لا عيش إن لم ألق يوما هاشما * ذاك الذي أجشمني المجاشما
ذاك الذي يشتم عرضي ظالما
ذاك الذي أقام فينا (١) المأتما
ذاك الذي إن ينج مني سالما * يكن شجى حتى الممات لازما
قال: فما لبث عمرو أن خرج إليه هاشم المرقال (٢) وهو يرتجز ويقول:
لا عيش إن لم ألق يومي عمرا * ذاك الذي نذرت فيه النذرا
ذاك الذي أغدرت فيه الغدرا * ذاك الذي ما زال ينوي الغدرا
أو يحدث الله لامرأ * لا تجزعي يا نفس صبيرا صبيرا
ضربا إذا شئت وطعنا شزرا (٣) * يا ليت ما تحتي يكون قبرا
قال: ثم حمل هاشم على عمرو بن العاص واختلفا بطعنتين، فطعنه هاشم طعنة جرحه منها جراحة منكرة، فرجع عمرو إلى معاوية وجراحته تشخب دما.

قال: وخرج عبد الرحمن بن خالد بن الوليد وهو يقول:
قل لعلي (٤) ذهب الوعيد * أنا ابن سيف الله لا مزيد
وخالد يزينه الوليد * قد قتروا (٥) الحرب فزيدوا زيدوا
فمالنا ولا لكم محيد * من يومنا ويومكم فعودوا
قال: فخرج إليه الأشر وهو يرتجز ويقول:
في كل يوم هامتي موقره (٦) بالضرب أبغي منة مؤخره

= وقد قضيت في عدوي نذري * يا ليت شعري ما بقي من عمري

- (١) وقعة صفين ص ٤٢٨: لي.
(٢) وهو هاشم بن عتبة بن أبي وقاص، وكان من أصحاب علي (رض). والأرجاز في وقعة صفين ص ٤٢٨.
(٣) في وقعة صفين: ضربا هذا ذيك وطعنا شزرا.
(٤) في وقعة صفين ص ٤٣٠: لعدي.
(٥) في وقعة صفين: قد ذقتم.
(٦) في وقعة صفين ص ٤٢٩: مقيره.

والدرع خير من لباس الحبره * يا رب جنبني سبيل الفجره (١)
فلا تجنبي ثواب البررة * واجعل وفاتي بأكف الكفرة
قال: ثم حمل عليه الأشر فضربه ضربة فلق البيضة وأسرع السيف إلى
رأسه، فرجع عبد الرحمن إلى معاوية وهو يقول: مالنا ولعثمان بن عفان لا يزال دمه
يغلي حتى لا يبقى منا أحد، فقال معاوية: يا بن أخي! ما أسرع ما ضجرت وهل
يصيبك إلا ما أصاب الفتیان إذا لعبوا بك، إنما نقاتل عن دينك ونفسك، قال: فلم
لا تخرج أنت يا معاوية؟ فقال معاوية: أنا والله أخرج يا بن أخي.
قال: ثم استوى معاوية على فرسه وخرج حتى وقف أمام أصحابه وجعل
يعرض بقبائل همدان (٢) وهو يقول:

لا عيش إلا فلق قحف الهام * من أرحب وشاكر ويام (٣)
قوم هم أعداء أهل الشام * كم من كريم بطل همام
كم من قتيل وجريح دامي * كذاك حرب السادة الكرام
قال: فخرج إليه سعيد بن قيس الهمداني وهو يقول:
لا هم رب الحل والاحرام * لا تجعل الملك لأهل الشام
فالعام عام ليس كالأعوام * واليوم يوم ليس كالأيام
والناس مرمى بهم ورامي
قال: ثم حمل سعيد بن قيس ليطعنه، وركض معاوية حتى لحق بعسكره، فانفلت ولم
يصبه بشيء، فجعل سعيد يرتجز ويقول:
يا لهف نفسي فاتني معاوية * والراقصات لا يعود ثانية (٤)

(١) وقعة صفين: الكفرة.

(٢) وكان معاوية لما تعاضمت عليه الأمور دعا بعض قادة قريش وقال لهم إنه قد غمني بعض رجال من
أصحاب علي، وأنتم عدتكم من قريش وقد عبأت لكل رجل منهم رجلاً منكم... فأنا أنا أكفيكم
سعيد بن قيس وقومه غدا - وقد مر خروج قادة أصحاب معاوية. وانظر وقعة صفين ص ٤٢٦ - ٤٢٧.

(٣) وقعة صفين: وشبام.

(٤) الراقصات يريد بها الإبل التي ترقص في سيرها. والرقص: ضرب من الخبب (أمالي القالي
٣ / ٥١).

إلا على ذات خصيل طاوية * أن يعد اليوم فكفي عالية
قال: ورجع سعيد بن قيس إلى موقفه، وخرج الأشر ف جعل يجول في
الميدان ويقول:

أرجو إلهي وأخاف ذنبي * وليس شيء مثل عفو ربي
قل لابن هند (١) بعضكم في قلبي * أعظم من أحد ورب الحجب (٢)
قال: فخرج إليه عبيد الله (٣) بن عمر بن الخطاب وهو يقول:

أنعي ابن عفان وأرجو ربي * ذاك الذي يخرجني من ذنبي
إن ابن عفان عظيم الخطب * أعظم من أحد ورب الحجب
إلا طعاني دونه وضربي * حسبي الذي أنوي به وحسبي

قال: ثم دنا الأشر وليس يعرفه، فقال له: من أنت أيها الفارس! فإني لا
أبارز إلا كفؤا، قال: أنا مالك بن الحارث النخعي، قال: فصمت عبيد الله (٣) بن
عمر ساعة ثم قال: يا مالك! والله لو علمت أنك الداعي إلى البراز لما خرجت
إليك، فإن رأيت أن أرجع عنك فعلت منعما، فقال الأشر، ألا تخاف العار أن
ترجع عني وأنا رجل من اليمن وأنت فتى من قريش؟ فقال: لا والله ما أخاف العار
إذا رجعت عن مثلك، فقال له الأشر: فارجع إذا ولا تخرج إلا إلى من تعرفه (٤).
قال: فرجع عبيد الله بن عمر إلى معاوية مدعورا، فقال له معاوية: ما شأنك
يا بن عمر؟ فقال: لا تسأل عن شيء فإني انفلت من مخالب الأسد الأسود الأشر
النخعي، فقال معاوية: وهل هو إلا رجل مثلك! قال: فأخرج أنت إليه، فقال:
أما إنه لو كان واقفا في موضعه لخرجت إليه ولكنه قد انصرف إلى عسكره، وأنت
تعلم أنني قد برزت إلى سعيد بن قيس وهو نظير الأشر في الشجاعة والشدة، فقال

(١) وقعة صفين ص ٤٣٠ يا بن الوليد.

(٢) الأرجاز في وقعة صفين ونسبها إلى عدي بن حاتم.

(٣) بالأصل "عبد الله" خطأ.

(٤) كذا بالأصل، وفي مروج الذهب ٢ / ٤٢٢ "انصرف عنه عبيد الله ولم يبارزه" وفي وقعة صفين
ص ٤٣٠ "فحمل عليه الأشر فطعنه، واشتد الأمر، وانصرف القوم وللأشر الفضل، فغم ذلك
معاوية" وانظر الأخبار الطوال ص ١٧٧.

ابن عمر: صدقت يا معاوية! قد برزت إلى سعيد بن قيس، ولكنك لم تثبت له، ولو ثبت لما نجوت، فقال معاوية: والله لو برزت إلى صاحبه علي بن أبي طالب لما كعت عنه.

قال: فبينما هما كذلك وإذا بعلي بن أبي طالب قد برز حتى وقف بين الصفيين علي فرس رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم نادى: يا بن أبي هند! إني قد أقبلت إليك، أسألك

أن تحقن هذه الدماء وتبرز إلي وأبرز إليك فيكون الأمر لمن غلب، قال: فسكت معاوية ولم ينطق بشيء، فقال له ابن عمر: هذا ما كنا فيه، فابرز الآن إلى علي كما زعمت، قال: فما نطق معاوية وجمال علي حوله، ثم حمل علي ميمنة معاوية فأزال الرجال، ثم حمل علي ميسرته فطحنها وكسر بعضهم على بعض، وقتل منهم جماعة، ثم رجع إلى موضعه، ونظر عبيد الله بن عمر إلى معاوية فإذا هو قد أزد وتغير وأنشأ يقول (١):

برزت إلى ابن ذي يزن سعيد* وتترك في العجاجة من دعاكا
فهل (لك) (٢) في أبي حسن علي* لعل الله يمكن من قفاكا
دعاك إلى البراز فكعت عنه (٣)* ولو بارزته تربت يداكا
وكنت أصم إذ ناداك عنها* وكان سكوته عنها مناكا
فإن الكبش قد طحنت رحاه* بخطوتها (٥) ولم تطحن رحاكا
فما أنصفت صحبتك يا بن هند* أترهبه (٥) وتغضب من كفاكا
فلا والله ما أضمرت خيرا* ولا ظهرت لي إلا جفاكا
قال: فغضب معاوية من كلام عبيد الله بن عمر ثم قال لعمر: أبا عبد الله!
ألا تسمع كلام ابن عمر؟ فقال عمرو: والله لقد صدق ابن عمر ولا يجمل بك ألا
تبارز عليا إذا دعاك إلى المباراة، فقال معاوية: أظنك قد طمعت فيها يا عمرو!
فقال عمرو: ما طمعت فيها ولو طمعت فيها لكنت أهلا لها، ولكني أعلم أنه لا
يجمل بك أن يكون ابن عمك يدعوك إلى البراز فلم تبرز إليه، قال: فتبسم معاوية

(١) الأبيات في وقعة صفين ص ٤٣٢ ونسبها إلى عمرو بن العاص.

(٢) سقطت من الأصل، زيادة عن وقعة صفين ص ٤٣٢.

(٣) وقعة صفين: دعاك إلى النزال فلم تجبه ولو نازلته...

(٤) وقعة صفين: بنجدته.

(٥) وقعة صفين: أتفرقه.

من قول عمرو أنشأ يقول:

يا عمرو إنك قد قشرت لي العصا * برضاك في وسط العجاج برازي
يا عمرو إنك قد أشرت بظنة * إن المبارز كالجدي النازي
ما للملوك وللبراز وإنما * حسب المبارز حفظه من بازي (١)
فقلت أعدت فقلت مزحة مازح * حتى جزاك بما نويت الجازي (٢)
ولقد كشفت قناعها مذمومة * ولقد لبست لها ثياب الحازي
قال: ثم تنكر علي وخرج حتى وقف في ميدان الحرب ودعا للبراز، فخرج
إليه عمرو بن العاص وهو لم يعرفه، قال وعرفه علي فاطرد بين يديه لكي يخرج من
صفوف أهل الشام، قال: وتبعه عمرو وهو يقول:
يا قادة الكوفة من أهل الفتن * يا قاتلي عثمان ذاك المؤمن
كفى بهذا حزنا من الحزن * أضربكم ولا أرى أبا الحسن (٣)
قال: فرجع علي وهو يقول (٤):
أنا الغلام القرشي المؤمن * الماجد الأبلج ليث كالشطن
ترضى بي السادة من أهل اليمن * من ساكن نجد ومن أهل عدن
أبو حسين فاعلمن أبو الحسن
قال: فلما سمع عمرو كلام علي وشعره ولى ركضا، وتبعه علي فطعنه طعنة
وقعت الطعنة في فصول الذراع فأكفأه عن فرسه، فسقط عمرو على قفاه من ضربة
علي ورفع رجليه فبدت سوءته، وصرف علي وجهه عنه وانصرف إلى عسكره.
وأقبل عمرو إلى معاوية ومعاوية يضحك، فقال له عمرو: ما يضحكك يا
معاوية؟ قال: ضحكت والله من حملة أبي الحسن عليك وكشفك لسوءتك، فوالله

(١) وقعة صفين ص ٢٧٥: حثف المبارز خطفة للبازي.

(٢) في وقعة صفين:

ولقد أعدت فقلت مزحة مازح * والمزح يحمله مقال الهازي
فإن الذي منتك نفسك خاليا * قتلي، جزاك بما نويت الجازي

(٣) الأرجاز في وقعة صفين ص ٣٧١ - ٣٧٢.

(٤) الأرجاز في وقعة صفين ص ٣٧١ ونسبها إلى عمرو بن العاص.

لقد وجدته هاشميا منافيا بالنزال لا ينظر إلى عورات الرجال، فقال عمرو: والله يا معاوية لو بدا له من صفحتك ما بدا له (من) صفحتي إذا لأوجع قذالك وأيتم عيالك ونهب مالك، فقال معاوية: لو كنت تحتمل المزاح مازحتك! فقال عمرو: ما أحملني للمزاح، ولكن إن كان رجل لقي رجلا فصد عنه ولا يقتله أقطرت دما، فقال معاوية: لا ولكن تعقب فضيحة وجبنا، أما والله لو عرفت ما قدمت عليه، فقال عمرو: وهو ابن عمي فقد عفا وأحسن، فقال معاوية: أبا عبد الله! هل تعلم أن النبي صلى الله عليه وآله قال لعلي: أنا وأنت من طينة واحدة إلى آدم! فقال عمرو: قد كان ذلك،

قال معاوية: فكيف يكون ذلك ابن عمك وأبوه سيد من بني هاشم وأبوك من قد علمت؟ فقال عمرو: ليس هذا مزاح، هذا أشد من ضرب السيف، أما والله يا معاوية! لولا أنني بعثك ديني إذا لما استقبلتني بمثل هذا وأشباهه، قال: فأنشأ معاوية يقول (١):

ألا لله من هفوات عمرو * يعاتبني على ترك البراز
فقد لاقى أبا حسن عليا * فأب الوائلي مآب خازي
ولو لم تبد عورته لأودى * به شيخ يذلل كل نازي (٢)
فإن تكن المنية أخرته * فقد غنى بها أهل الحجاز
قال: فأجابه عمرو وهو يقول (٣):

معاوي قد ثقلت عن البراز * لك الخيرات فانظر من تبازي (٤)
معاوي ما اجترمت إليك ذنبا * وما أنا بالذي حدثت خازي
وما ذنبي بأن نادى علي * فكبش القوم يدعى للبراز

(١) الأبيات في وقعة صفين ص ٤٠٧.

(٢) في وقعة صفين:

فلو لم بيد عورته للاقى * به ليثا يذلل كل نازي
وبعده:

له كف كأن براحتيها * منايا القوم يخطف خطف بازي

(٣) الأبيات في وقعة صفين ص ٢٧٦.

(٤) البيت في وقعة صفين:

معاوي إن نكلت عن البراز * لك الويلات فانظر في المخازي

فلو لاقيته لاقيت كبشا * حديد القرن حية ذا ابتزاز (١)
وتزعم أنني أضمرت غشا * جزاني بالذي أضمرت جازي
أضبع في العجاجة يا بن هند * وعند الحرب كالتيس الحجازي
قال: وجاء الليل فحجز بين الفريقين، فلما كان من الغد وثب علي رضي الله
عنه فخطب الناس وقال (٢): أيها الناس! إن الله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه قد دلکم
على تجارة تنجيکم من عذاب أليم، وجعل ثوابه لکم المغفرة ومساكن طيبة في
جنات عدن، ورضوان من الله أكبر، وقد أخبرکم بالذي يجب علیکم في ذلك،
فقال: * (إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص) * (٣) ألا!
فرصوا (٤) صفوفکم كالبنیان المرصوص وقدموا الدارع (٥) وأخروا الحاسر، وعضوا
على النواجذ (٦)، فإنه أنبي (٧) للسيوف عن الهام وأربط للجأش، والتووا في أطراف
الرماح فإنه أطول للأسنة، وراياتکم (٨) فلا تميلوها ولا تزيلوها ولا تجعلوها إلا بأيدي
شجعانکم المانعين للذمار الصابرين عند (نزول) (٩) الحقائق، فهم أهل الحفاظ
(من) الفرار من الزحف، ولا تعرضوا لمقت الله فإن مردکم إليه، قال الله
عز وجل: * (لن ينفعکم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل وإذا لا تمتعون إلا
قليلا) * (١٠) وأيم الله لئن فررتم من سيوف العاجلة فلن تسلموا من سيوف الآجلة
(١١)،

واستعينوا بالصدق والصبر، فإن بعد الصبر ينزل النصر.
قال: ثم تكلم الأشر فقال: أيها الناس! إننا بحمد الله ونعمته ومنه وفضله

-
- (١) البيت في وقعة صفين:
فلو بارزته بارزت ليثا * حديد الناب يخطف كل بازي
(٢) الطبري ٦ / ٩، نهج البلاغة كتاب الخطب خطبة رقم ١٢٤. باختلاف النسخين.
(٣) سورة الصف، الآية: ٤.
(٤) الطبري: فسوا.
(٥) عن نهج البلاغة. وبالأصل: الذراع.
(٦) نهج والطبري: الأضراس.
(٧) أنبي: من نبي السيف إذا دفعته الصلابة من موقعه فلم يقطع (شرح النهج لمحمد عبده).
(٨) عن الطبري، وبالأصل " ورأيتكم قد " وفي النهج: ورأيتكم.
(٩) عن نهج البلاغة.
(١٠) سورة الأحزاب الآية ١٦.
(١١) في النهج: الآخرة.

نرجو من قتال هؤلاء القوم حسن الثواب والأمن من العقاب، ومعنا ابن عم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب، وهو سيف من سيوف الله، وأول ذكر صلى مع

رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يسبقه إلى الصلاة ذكر، ولم يكن له صبوة ولا نبوة ولا سقطه، فقيه

في دين الله، عالم بحدود الله، ذو رأي وصبر وحلم عظيم وعفاف قديم، فاتقوا الله وعليكم بالصبر والصدق! فإنكم بحمد الله على الحق.

ثم تكلم الأشعث بن قيس فقال: أيها الناس! إن الله تبارك وتعالى قد خصنا منه بنعمة لا نستطيع شكرها ولا يقدر أحد قدرها، إن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم معنا، وفي

حيزنا من البدرين والعقبين، ووالله لو كان قائدنا حبشيا (١) أجدع لكان ينبغي لنا أن نسمع ونطيع، فكيف إذ كان معنا أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وأنصاره وآله وابن عمه ووارث

علمه والقائم بحقه، بدري قد صدق وصلى صغيرا وجاهد مع الرسول كثيرا، ومعاوية طليق ابن طليق أصاب قوما غواة فأوردهم النار وأورثهم العار، والله محل به وبهم الصغار والدمار، فعليكم عباد الله بالحزم والصبر! فإن الله مع الصابرين (٢).

قال: وجعل كل رجل مذكور من أصحاب علي يتكلم بما يحضره من الكلام، فقال معاوية لذي الكلاع الحميري: ألا تسمع إلى هذا التحريض الذي يحرض علينا في هذا اليوم؟ أما عندك جواب؟ فقال ذو الكلاع: عندي جواب ولكني لا أقدر على ما يقدرون عليه. قال: ثم وثب ذو الكلاع فاستوى على فرسه واستقبل أهل الشام بوجهه فقال: يا أهل الشام! إنكم قد سمعتم من كلام أهل الحجاز وأهل العراق ما قد سمعتم، وإننا لنعلم أن فيهم قوما قد كانت لهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سوابق كثيرة

ومناقب عظيمة لا ينكر لهم ذلك، غير أنني ضربت هذا الأمر ظهرا وبطنا فلم أر يسعني أن يهدر دم عثمان، وهو ختن رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابنته، ومجهز جيش

العسرة، والزائد في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإن كان له ذنب فقد أذنب من هو خير

منه وأفضل، قال الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: * (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما

تأخر) * (٣) وقد قتل موسى بن عمران نفسه ثم استغفر فغفر له، ولا يعرى أحد من الذنوب، وإننا لنعلم أن علي بن أبي طالب خير فاضل، قد كانت له سابقة حسنة مع

-
- (١) بالأصل: حبشي خطأ.
(٢) بالأصل: الصادقين، وسياق الحديث يدل على الصبر.
(٣) سورة الفتح الآية ٢.

رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإن لم يكن مال علي قتل عثمان فقد خذله وهو أخوه في دينه وابن

عمه وشريكه في الشورى، وبعدها فإنه قد أقبلت هؤلاء القوم من عراقهم حتى نزلوا في شامكم وبلادكم وهم من بين قاتل وخاذل، فقاتلوهم واستعينوا بالله عليهم. قال: فلما فرغ ذو الكلاع من الكلام أخذته السهام ودنا (١) القوم بعضهم بعضا. ذكر ما جرى بعد ذلك من الكلام

قال: وتقدم أبو جهمة الأسدي من أصحاب علي رضي الله عنه وجعل يقول: أنا أبو جهمة في جلد الأسد* علي منه لبد فوق لبد (٢) اقتل أهل الشام أشباه النقد* ولا أهاب جمعهم ولا العدد ثم حمل علي أهل الشام فقاتل قتالا حسنا ورجع إلى موقفه. قال: وكان أبو جهمة هذا كثيرا ما يهجو كعب بن جعيل الثعلبي شاعر معاوية، فقال فيه هذين البيتين (٣):

سميت كعبا بشر العظام* وكان أبوك سمي الجعل
وكان مكانك من وائل* مكان القراد من است الجمل
قال: فظن كعب بن جعيل أن النجاشي هجاه بهذين البيتين، فبرز يومئذ علي فرس له حتى وقف بين الجمعين وجعل يعرض للنجاشي ويقول (٤):
ابرز إلى الآن يا نجاشي (٥)* فإنني آليت للهراش
فارس هيحاء وذو انكماش (٦)* قد علمت ثعلب ما أحاشي
إني إذا هممت بالجحاش* وعضت الحرب بكل غاش
فإنني كعب أبو خراش (٧)

(١) بالأصل: " ودنوا " خطأ.

(٢) الشطران في وقعة صفين ص ٣٦٢.

(٣) كذا، وفي وقعة صفين ٣٦٢ نسبهما إلى عتبة بن أبي سفيان، وكان كعب بن جعيل يهجو عتبة ويعيره بالفرار. والبيتان في ديوان الأخطل ص ٣٣٥.

(٤) بعضها في وقعة صفين ص ١٨٠ ونسبها إلى عمرو العكي.

(٥) وقعة صفين: ابرز إلي ذا الكبش يا نجاشي.

(٦) وقعة صفين: وفارس الهيحاء بانكماش.

(٧) وقعة صفين: اسمي عمرو وأبو خراش.

قال: فخرج إليه النجاشي وهو يقول:
أربع قليلا فأنا النجاشي* من سرو كعب لست (١) من رقاش
أخو حروب في رباط الجأش* لست أبيع الدين بالمعاش (٢)
أنصر خير راكب وماشي* ذاك علي بين الرياش
بيت قريش ليس من حواشي* ولا الذي قد كف في قماش
يغشى كمامة القوم بالنجاش* فهاك خذها من أخي هراش
ثم حمل عليه النجاشي فطعنه طعنة ما زال منها وقيدا، ورجع النجاشي إلى
موضعه وهو يقول (٣):

إني إخال عليا غير منتهي* حتى يؤدي كتاب الله والذمم
غضبان لله لا يألو جهادكم* في كفه صارم كالبرق مبتسم
له غطيظ إذا نار الوغى سعرت (٤)* كما يغط الفتيق المغضب القطم
حتى يزيل ابن حرب عن إمارته* كما يركب تيس الجالب الغنم (٥)
أو أن تراه عفير الخد مطرحا* تجول من فوقه العقبان والرخم (٦)
قال: وحمل (٧) غلامان من الأنصار على فرسيهما حتى انتهيا إلى سرادق
معاوية، فقاتلا هنالك حتى قتلا.

قال: ثم صاح عبد الله بن جعفر ذي الجناحين بالناس، فاجتمع إليه زهاء ألف
رجل، فحمل وحملت الناس معه حتى خالطوا أهل الشام، وأقبلت الكتائب بعضها

(١) في وقعة صفين ص ١٨٠: أورد قليلا..... ليس بالرقاشي.

(٢) وقعة صفين: ولا أبيع اللهو بالمعاش.

(٣) الأبيات في وقعة صفين ص ٣٧٢.

(٤) في وقعة صفين: غضبان يحرق نايه بحرته... المصعب القطم.

والمصعب: الفحل، والقطم: المشتهي للضراب.

(٥) وقعة صفين: كما تنكب تيس الحبله الحلم.

انظر الحيوان ٤ / ١٣٤ و ٦ / ١٢٣.

(٦) وقعة صفين:

أو أن تراه كمثل الصقر مرتبنا* يخفقن من حوله العقبان والرخم

(٧) بالأصل: " وحملوا " تحريف.

على بعض، فاقتتل الناس قتالا شديدا، فقتل يومئذ من أهل الشام خلق كثير، فقال عمرو بن العاص (١): في ذلك:

أجئتم إلينا تسفكون دماءنا * وما رمتم وعر من الأمر أعسر
لعمري لما فيه يكون حجامنا * إلى الله أدهى لو عقلتم وأكثر
نغادرهم ضربا بكل مهند * إذا شاء يوما أن يقدم قنبر (٢)
إذا ما التقوا حربا (٢) تدارك بينهم * طعان وموت للمبارز أحمر (٤)
قال: وتقدم رجل من أهل الشام يقال له يزيد بن زياد حتى وقف في ميدان
الحرب وهو يقول (٥):

لقد ضلت معاشر من نزار * إذا انقادوا لمثل أبي تراب
فإنهم وبيعتهم عليا * كواشمة وقد شمط الغراب (٦)
تعاتب من سفاهتها بنيتها (٧) * وتحسر باليدين عن النقاب
فإياكم وداهية تراها * تسير إليكم تحت العقاب
إذا انتسبوا سمعت بحاميهم (٨) * دويا مثل تصفيق السحاب
يجيون الصريخ إذا دعاهم * إلى طعن الفوارس بالحراب
عليهم كل سابعة دلاص * وأبيض صارم مثل الشهاب
قال: فحمل عليه الأشتر فضربه ضربة جدله قتيلا، ثم جال الأشتر حوله وهو
يقول:

وسار ابن حرب يتغي من سفاهة * قتال علي بالخيول وبالرجل (٩).

(١) الأبيات في وقعة صفين ص ٣٧٤.

(٢) في وقعة صفين: إذا شد وردان تقدم قنبر.

(٣) وقعة صفين: يوما.

(٤) وقعة صفين: طعان وموت في المعارك أحمر.

(٥) في وقعة صفين ص ٣٧٥ رجل من كلب مع معاوية.

(٦) وقعة صفين: كواشمة التغضن بالخضاب.

(٧) وقعة صفين: تزين من سفاهتها يديها.

(٨) وقعة صفين: إذا هشوا سمعت لحافتيهم.

(٩) البيت في وقعة صفين ص ٣٧٦:

وسرنا إليهم جهرة في بلادهم * وملنا عليهم بالسيوف وبالنبيل
وكل... (١) كعوبة * بأيدي رجال غير ميل ولا عزل
فأهلكم ربي وفرق جمعهم * وكانوا ذوي عز (٢) فذاقوا ردى الخبل
قال: وجعل رجل من أهل الشام يقال له المشجع بن بشر الجذامي (٣) ينادي
بأعلى صوته: ويلكم يا جذام! أعينوني حتى نحمل على أهل العراق حملة فلعلنا
ندرك فيه بعض ما نؤمل.

قال: فلم يجبه أحد من قومه، فجعل يقول:
يا لهف نفسي على جذام وقد * هزت صدور الرماح والخرق
لا يقربون القتال إن شهد ال * - قوم ولا يدفعون بالدرق
كانوا لدى الحرب في مواطنهم * أسدا إذا انساب سائل الغلق
فاليوم لا يدفعون أن دهموا * ولا يحامون عن أخي قلق (٤)
فاليوم لا ينصفون إختهم * عند وقوع الحروب بالحلق
قال: ثم حمل هذا الجذامي على أصحاب علي، فلم يزل يقاتل أشد قتال
وهو مع ذلك يراعي المواضع التي فيها علي ليحمل عليه، فنظر إليه عدي بن حاتم
فلم يرتد، فحمل عليه عدي محققا فطعنه في لفته طعنة جدله بها، ثم جال عدي
وجعل يرتجز وهو يقول:

قد علمت غسان مع جذام * أني كريم ثابت المقام
في النسب في آبائنا الكرام * أحمي إذا ما زيل بالأقدام
قال: فصاح خالد بن المعمر (٥) السدوسي وكان من فرسان أصحاب علي فنادى
بأعلى صوته: من يبائع على الموت؟ من يشري نفسه في هذا اليوم لله؟ فبايعه يومئذ

= وسار ابن حرب بالغواية يتغي * قتال علي والجيوش مع الحفل

(١) موضع النقاط مطموس بالأصل. وسقط من وقعة صفين.

(٢) في وقعة صفين: وكان لنا عوننا.

(٣) في وقعة صفين ص ٣٧٦: الشيخ بن بشر الجذامي. وذكرت أبياته.

(٤) وقعة صفين: ولا يردون شامة الغلق.

(٥) بالأصل " المعتمر " تحريف والتصحيح عن الأخبار الطوال ص ١٦٥ والإصابة ووقعة صفين. وكان
على بكر بن وائل.

زيادة على تسعة آلاف فارس على أنه لا يلتفت رجل منهم إلى ورائه، ثم تقدموا وقد كسروا جفون سيوفهم، فقاتلوا قتالا لم ير (١) الناس مثله وبلغوا إلى سرادق معاوية، فلما نظر معاوية وقد دنوا من سرادقه خلى عنهم وعن سرادقه وخرج منه إلى بعض عسكريه، فدخل (٢) القوم إلى خيمة معاوية فأخذوا ما وجدوه من مال وسلاح. قال: وأرسل معاوية إلى خالد بن المعمر (٣) أن يا خالد عندي إمرة خراسان متى ظفرت، فأقصر، ويحك عن فعالك هذا! قال: فطمع خالد في خراسان فأقصر عن حرب معاوية (٤) ولم يقصر أصحابه ولكنهم قاتلوا قتالا شديدا، فأنشأ النجاشي يقول:

ولو شهدت هند لعمرى مقامنا * بصفين لأفدتنا بكعب وعامر
فيا ليت أن الأرض تنشر عنهم * فيخبرهم أنباءنا بعد خابر
بصفين إذ قمنا كأنا سحابة * سحاب ولي في الوغى متبادر (٥)
فأقسم لو لا قيت عمرو بن وائل * بصفين ألقاني (٦) امرءا غير غادر
فولوا سراعا هاربين كأنهم * نعام تلاقى خلفهن زواجر
وفر ابن حرب عفر الله وجهه * وذاك قليل من عقوبة قادر (٧)
معاوي لولا أن فقدناك فيهم * لغودرت مطروحا بها مع معاشر
حديث خالد بن المعمر السدوسي وصاحبه الأعور الشني مع معاوية
قال: فلما كان بعد قتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه دخل خالد بن المعمر
السدوسي هذا على معاوية ومعه الأعور الشني، فلما نظر إليهما معاوية أقصاهما
وجفاهما وجعل يذكر لهما ما كان من قتالهم بصفين، فأمسكا عنه حتى فرغ من

(١) بالأصل: فلم يروا خطأ.

(٢) الأصل: فدخلوا خطأ.

(٣) بالأصل: المعتمد تحريف. وقد مر.

(٤) وأمره معاوية - حين بايعه الناس - على خراسان فمات قبل أن يصل إليها (وقعة صفين ص ٣٠٦).

وقال ابن ماكولا أمره على أرمينية فوصل إلى نصيبين فمات بها (الإصابة).

(٥) وقعة صفين ص ٣٠٧: سحاب ولي صوبه متبادر.

(٦) وقعة صفين: ألقاني بعهدة غادر.

(٧) وأرداه خزيا، إن ربي قادر.

كلامه، ثم رفع خالد بن المعمر صوته وأنشأ يقول:

معاوي لا تجهل علينا فإننا * نذلك في الحرب العصيب معاويا
متى تدع فينا دعوة ربعية * تجبك رجال يخضبون العواليا
أجابوا عليا إذ دعاهم لنصره * بصفين إذ جروا عليك الدواهيا
فإن تصطنعنا يا بن حرب لمثلها * نكن خير من تدعو إذا كنت داعيا
ألم ترني أهديت بكر بن وائل * إليك وكانوا بالعراق أفاعيا
إذا نهشت قال السليم لأهله * ألا فابتغي لي لا أبا لك راقيا
فأصبحت قد أهدوا ثمار قلوبهم * إليك وأسرار القلوب كما هيا
وكنت امرء أهوى العراق وأهلها * وكنت حجازيا ولم أك شاميا
فلا تجفنا واجمع إليك قلوبنا * فإنك ذو حلم ولم تك جافيا
ودع عنك شيخا قد مضى لسبيله * على أي حاله مصيبا وخاطيا
فإنك لا تستطيع رد الذي مضى * ولا دافعا شيئا إذا كان جائيا
فقال معاوية: يا بن المعمر! فإنني قد صفحت عن الذي كان يا غلام! احمل
إلى رحله ثلاثين ألف درهم يفرقها في بني عمه، وعشرين ألف درهم له خاصة،
واحمل إلى ابن عمه مثل ذلك، قال: فأنشأ الشني وهو يقول:

معاوي إني شاكر لك نعمة * رددت بها ديني على معاوية
وكم من مقام غابط لك قمته * وداهية أوردتها بعد داهيه
فموتها حتى كأني لم أقم * عليك وارتادي بصفين باقيه
فأبلعتني ريتي وقد كان قاتلي * بكفيك لو لم يكف السهم باريه
ولم ترض لي بالعفو حتى منحتني * جذاك فأمي إن كفرتك هاويه
فقال معاوية:

لقد رضي الشني من بعد عتبه * فأيسر ما يرضى به صاحب العتب
يا غلام زده عشرة آلاف درهم وزد صاحبه مثلها.
ثم رجعنا إلى الخبر
قال: فلما كان من الغد وثب معاوية فعبي أصحابه وجعل يوصيهم أن يفرغوا
مجهودهم في أهل العراق، فأنشأ رجل من أصحابه يقول:

يا بن هند وقاك حتفك واق * قد مللنا قتال أهل العراق
كل يوم نلقى فوارس في النق * - ع على شرب عاتق ورقاق
يتقى الطعن بالبحور ويند * س غداة الوغى من الإشفاق
كم بنان وكم ترى لهم اليو * م وهام كالحنظل المقلاق
وصريع يدعو الفوارس لم يب * - ق له غير عضة ونهاق
كلما قلت قد دنوت من الفت * - ح تداعت رؤوس أهل النفاق
طال هذا البلاء واحتبس النص * - ر وصارت نفوسنا في التراق
ما لنا اليوم من قتال علي * غير طعن الكلى وضرب الرقاق
شد هذا الخناق واضطرب الأم * - ر وقد كنت قبل رخو الخناق
قال فقال معاوية: يا بن أخي قد فهمت ما قلت والذي بقي أكثر، أتظن أن
علياً ينصرف عنا أو يبلغ حاجته منا أو يوردنا حياض الموت، اصبر يا بن أخ! فإنك في
أجر عظيم وإن الله لا يضيع أجر المحسنين.
قال: وعبي علي أصحابه وقال: أيها الناس! غضوا الأبصار، واخفوا
الأصوات، وأقلوا من الكلام، ووطنوا على المنافاة والمجاولة والموافقة والمساابقة
والمكايده، واثبتوا واتقوا الله لعلكم تفلحون.
ثم دعا هاشم بن عتبة المرقال فقال له: خذ لواءك إلى أهل حمص، فإنهم
بطانة معاوية وظهارته، قال: فتقدم هاشم في خيل عظيمة إلى أهل حمص فقاتل
قتالاً شديداً حتى غلب علي أهل حمص، وجعل يرتجز ويقول (١):
قد قتل الله رجال حمص * على مقال (٢) كذب أو خرص
حرصاً على الملك (٣) وأي حرص * أن نكص القوم وأي نكص
قال وجعل رجل من أهل حمص (٤) يرتجز ويقول:

(١) الأرجاز في وقعة صفين ٤٣٧ ونسبها إلى رجل من همدان عداه في أرحب.
(٢) وقعة صفين: " غروا بقول ". والخرص: الكذب، والخراص: الكذاب.
(٣) وقعة صفين: المال.
(٤) في وقعة صفين ص ٤٣٨ رجل من كنده. وذكر الأرجاز.

قد قتل الله رجال العالية * في يومنا أو في غد أو تالية (١)
من عهد عاد و ثمود الغاوية * بالحجر أو يملكهم معاوية
قال: وتقدم بنو عك بأجمعهم حتى نزلوا بين يدي معاوية وقالوا: أبشر يا
معاوية! فإننا لن نرجع أو نسرك إن شاء الله تعالى.
قال: وصاح سعيد بن قيس الهمداني ببني عمه فقال: يا معشر همدان! إن
عكا قد بايعوا أنفسهم وأديانهم من معاوية بالدنيا، فبيعوا أنتم أنفسكم من أمير
المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالآخرة، قال: فتقدمت همدان إلى
عك، وصاح رجل من عك: برك الجمل برك الجمل! قال: فبركت عك بأجمعها
وبركت همدان حذاءها وشجروا (٢) الخيل بالرماح، وجعل رجل من همدان يرتجز
ويقول:

قد بركت همدان معها حاشد (٣) * نفسي فداكم طاعنوا و جالدوا
قال: ثم تطاعنوا بالرماح حتى تقصفت، وصاروا إلى السيوف وكثرت فيهم
القتلى ونادت عك: يا معشر همدان! إننا والله لا نرجع أو ترجعون!
وصاحت همدان: فإننا والله لا نبرح وأنتم وقوف! قال: فانصرفت عك
القهقري إلى ورائها وفي جوهها آل همدان، وانصرفت همدان أيضا إلى ورائها فقال
عمرو بن العاص: ويحك يا معاوية (٤)! لو كان معك حي آخر مثل عك ومع علي
حي آخر مثل همدان لكان الفناء، ثم أنشأ عمرو يقول:
إن عكا وحاشدا وبكيلا * كأسود الضراب لاقت أسودا
شجروا الخيل بالقنا وتلاقوا (٥) * بظبات السيوف موتا عتيذا
ليس يدرون ما الفرار وإن كا * ن فرار لكان ذاك شديدا
في ازورار المناكب التقت الشو * س وقرع الحديد يعلو الحديد (٦)

(١) وقعة صفين: في يومنا هذا وغدوا ثانيه.

(٢) شجروا: طعنوا.

(٣) الشطر في وقعة صفين ص ٤٣٤: يالبيكيل لخمها وحاشد.

(٤) في وقعة صفين ص ٤٣٤: لقد لقيت أسدا أسدا، لم أر كاليوم قط.

(٥) في وقعة صفين ص ٤٣٥: وجثا القوم بالقنا وتساقوا...

(٦) البيتان في وقعة صفين:

أيمن الله ما رأيت من القو * م ازورارا وما رأيت صدودا
غير ضرب المسومين على الها * م وضرب المسومين الخدودا (١)
ولقد قال قائل خدموا السي * - ف (٢) فخرت هناك عك قعودا
كبروك الجمال أثقلها الحم * - ل لطي (٣) الفلاة بيذا فيبيدا
ولقد فضل المطيع على العا * صي ولم يبلغوا به المجهودا
حديث سودة بنت عمارة الهمدانية مع معاوية
قال: فلما كان بعد ذلك وقتل علي رضي الله عنه استأذنت سودة بنت عمارة بن
لاسك (٤) الهمدانية على معاوية، فأذن لها، فلما دخلت سلمت وجلست، فقال
لها: إيه يا بنت لاسك (٤)! أأست القائلة (٥) يوم صفين عند ملتقى عك وهمدان هذه
الآيات:

شمر لقتل أخيك (٦) يا بن عمارة * يوم الطعان وملتقى الأقران
وانصر عليا والحسين وصنوه (٧) * واقصد بهند وابنها بهوان
إن الإمام أخو النبي محمد * علم الهداة وعصمة (٨) الإيمان
فخف الحتوف (٩) وسر أمام لوائه * قدما بأبيض صارم وسان
قال: فقالت سودة: بلى يا معاوية! أنا قائلة هذه الآيات، وما مثلي من
اعتمد غير الحق ولا اعتذر بالكذب، فقال معاوية: وما حملك على ذلك؟ فقالت:

= ازورار المناكب الغلب بالش * - م وضرب المسومين الخدودا
غير ضرب فوق الطلى وعلى الها * م وقوع الحديد يعلوا الحديد
(١) انظر الحاشية السابقة.

(٢) وقعة صفين: السوق.
وخدموا: فسر ابن أبي الحديد: أي اضربوا موضع الخدمة وهي الخلخال، يعني اضربوهم في
سوقهم.

(٣) وقعة صفين: فما تستقل إلا وئيدا.
(٤) في العقد الفريد ١ / ٣٣٤ من تحقيقنا: ابن الأثير.
(٥) في العقد: أنت القائلة لأبيك. وفي بلاغات النساء ص ٢٥: لأخيك.
(٦) العقد الفريد: شمر فعل أبيك.
(٧) في العقد الفريد: ورهطه.
(٨) العقد الفريد: ومنارة الإيمان.
(٩) العقد الفريد: فقد الجيوش.

حب علي بن أبي طالب واتباع الحق، فقال: والله ما أرى عليك من علي أثرا، فقالت سودة: بلى والله يا معاوية! فقال لها: وما هو؟ فقالت: إن ثوابي عند الله أعظم، فأنشدك الله أن لا تعيد ما مضى ولا تذكر ما قد نسي، فقال معاوية: هيهات يا سودة! ما مثل مقام أخيك في يوم صفين ينسى، وما لقيت من أحد من العرب مثل ما لقيت من قومك، فقال سودة: صدقت (١)، وقد كان أخي كما قالت الخنساء في أخيها صخر حيث تقول:

وإن صخرًا لتأتم الهداة به * كأنه علم في رأسه نار
وبالله أسألك أنك لا تذكر شيئًا مما قد مضى، فقال معاوية: قد فعلت يا سودة! فما حاجتك؟ فقالت: إنه قد مضى علي لسبيله وقد أصبحت للناس سيدا ولأمورهم مقلدا، والله سائلك عن أمرنا وعمّا افترض عليك من حقنا، ولا يزال (٢) يقدم علينا من قبلك من يسمو مكانك وييطش (٣) بسلطانك، فيحصدنا حصد السنبل، ويدرسنا (٤) درس الحرمل، يسومنا الخسف ويذيقنا الحتف، وهذا بسر بن (أبي) أرطاة قدم علينا فقتل رجالنا وأخذ أموالنا، ولولا الطاعة لكان فينا عز ومنعة، فأما إن عزلته عنا فشكرناك، وأما لا فكفرناك (٥)، فقال معاوية: إياي تهددين يا سودة! لقد هممت أن أحملك على قتب أشرس فأردك إليه فينفذ فيك حكمه، قال: فأطرقت سودة إلى الأرض ساعة ثم رفعت رأسها وأنشأت تقول:
صلى الإله على روح تضمنها * قبر فأصبح فيه العدل مدفونا
قد حالف الحق لا يبغي بدلا (٦) * فصار بالحق والإيمان مقرونا
فقال معاوية: ومن هذا يا سودة؟ فقالت: والله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب! والله لقد جئته في رجل قد كان ولاه صداقتنا فجار علينا، فجئت إليه فأصيبته قائما يصلي، فلما رأني انفتل من صلاته ثم أقبل علي برأفة وتعطف فقال: ألك

(١) في العقد الفريد: صدقت، والله يا أمير المؤمنين، ما كان أخي خفي المقام، ذليل المكان، ولكن كما قالت الخنساء.

(٢) العقد الفريد: ولا تزال تقدم علينا من ينهض بعزك.

(٣) العقد: ويسط.

(٤) العقد: ويدوسنا دياس البقر، ويسومنا الخسيصة، ويسألنا الجليلة.

(٥) العقد: فعرفناك.

(٦) العقد الفريد: ثمنا.

حاجة؟ فقلت: نعم - وأخبرته الخبر، فبكى ثم قال: اللهم! أنت الشاهد علي وعليهم، إني لا أمرهم بظلم خلقك ولا بترك حقك، ثم أخرج من جيبه قطعة جلد كأنها طرف الحراب فكتب فيها: بسم الله الرحمن الرحيم، قد جاءكم بينة من ربكم، فافوا الكيل والميزان، ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين، بقيت الله خير لكم إن كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ، فإذا قرأت كتابي هذا فاحفظ بما فيه وبما في يديك من عملنا حتى يقدم (١) عليك من يقبضه منك - والسلام - . ثم دفع الرقعة إلي، فوالله ما ختمها بطين ولا حزمها بسحابة، فجئت بالرقعة إلى صاحبه، فانصرف عنا معزولا. فقال معاوية: اكتبوا لها برد مالها والعدل في بلدها، فقالت سودة: أهذا لي خاصة أم لقومي عامة؟ فقال معاوية: وما أنت وقومك؟ فقالت سودة: والله! إن هذا هو الفحشاء واللؤم، إن كان هذا منك عدلا شاملا لجميع قومي من همدان حمدت الله على ذلك إذ أجراه على يدي، وإن تكن الأخرى فأنا كسائر قومي، فقال معاوية: يا أهل العراق! لمطيكم والله علي بن أبي طالب على جرأة الامر (٢)، أفبتطيء ما تعطون! اكتبوا لها بحاجتها كما تحب وردوها واصرفوا إلى بلدها غير شاكية. قال: فأخذت سودة كتاب معاوية وجائزته وانصرفت غانمة إلى بلدها.

ثم رجعنا إلى الخبر

قال: فلما كان من الغد أقبل أبو هريرة وأبو الدرداء (٣) حتى دخلا على معاوية، فقالا له: يا معاوية! علام تقاتل علي بن أبي طالب وهو أحق بهذا الامر منك لسابقته في الدين وفضيلته في الإسلام وهو رجل من المهاجرين الأولين السابقين

(١) العقد الفريد: حتى يأتي من يقبضه منك.

(٢) زيد في بلاغات النساء: " على السلطان، فبطيئا ما تقطمون " وزيد في العقد الفريد: وغركم قوله: فلو كنت بوابا على باب جنة * لقلت لهمدان ادخلوا بسلام وقوله:

ناديت همدان والأبواب مغلقة * ومثل همدان سني فتحة الباب كالهندواني لم تقلل مضاربه * وجه جميل وقب غير وجاب

(٣) كذا، وفي الأخبار الطوال ص ١٧٠ والبداية والنهاية ٧ / ٢٨٨ أبو الدرداء وأبو أمامة. وذكر ابن الأثير في أسد الغابة أن أبا الدرداء مات في خلافة عثمان (رض)، قبل مقتله بستين.

وأنت رجل طليق وكان أبوك من الأحزاب؟ فقال معاوية: إني لست أزعم أنني أحق بهذا الأمر منه، وإني لأعلم أن عليا لكما وصفتما، ولكنني أقاتله حتى يدفع إلي قتلة عثمان، فإذا فعل ذلك كنت أنا (١) رجلا من المسلمين أدخل فيما دخل فيه الناس، فقالوا: يا هذا! فإننا نكفيك بهذا الأمر.

ثم أقبل على علي بن أبي طالب فسلما عليه وقالوا: يا أبا الحسن! إن لك فضلا لا يدفع وشرفا لا ينكر، وقد سرت مسير من لا يشبهك إلى رجل سفیه ومعه قوم سفهاء لا يباليون بما قالوا ولا بما قيل لهم، وقد زعم معاوية أن قتلة عثمان عندك وفي عسكرك، فادفعهم إليه، فإن فعلت ذلك وقاتلك معاوية بعد ذلك علمنا أنه ظالم متعد! فقال علي رضي الله عنه: إني لم أحضر عثمان في اليوم الذي قتل فيه، ولكن هل تعرفان من قتله؟ فقالوا: بلغنا أن محمد بن أبي بكر فيمن دخل عليه وعمار بن ياسر والأشتر وعدي بن حاتم وعمرو بن الحمق وفلان وفلان، فقال علي: فانطلقا إليهم فخذاهم. قال: فأقبل أبو هريرة وأبو الدرداء إلى هؤلاء القوم فأخذاهم وقالوا لهم: أنتم ممن قتل عثمان، وقد أمرنا أمير المؤمنين بأخذكم! قال: فوَقعت الصيحة في العسكر بهذا الخبر، فوثب من عسكر علي أكثر من عشرة (٢) آلاف رجل في أيديهم السيوف وهم يقولون " نحن كلنا قتلنا عثمان " قال: فبقي أبو هريرة وأبو الدرداء متحيرين، وأنشأ رجل من أصحاب علي يقول:

ألا ذهب الخداع فلا خداع * وأبدى السيف عن طبق النخاع
أبا الدرداء لا تعجل علينا * وأنت أبا هريرة غير واعي
هلما إلى المشورة فانصفانا * فإن النصف حسن الاستماع
وقولا قول من جعلت إليه * حكومة نفسه غير الخداع
فقمتم قتل عثمان علينا * وهذا الأمر مكشوف القناع
أحاط به الرجال فحاصروه * ولو زجروا لكانوا نقع قاع
وكان المسلمون له شهودا * وما أهل المدينة بالبداع
فلم يهتف بنصرته منادي * ولا عالي بنهي القوم داعي
ولو بهم نصاح إذا لكانوا * أذل هناك من ظلف الكراع

(١) في البداية والنهاية ووقعة صفين ص ١٩٠ أنا أول من بايعه من أهل الشام.
(٢) الأخبار الطوال والبداية والنهاية: عشرين ألفا.

فهذا الامر والتقوال فيه * برجم الغيب أو بهوى مطاع
فإن يك ساءهم ممساة جذل * وإن يك سرهم فسرور واعي
فردا غرب شأؤ كما وكفا * فليس بالجلائب بالخداع
قال: فخرج أبو هريرة وأبو الدرداء من عسكر علي وهما يقولان: هذا الأمر لا
يتم أبدا، قال: وإذا بصائح يصيح بهما من ورائهما وهو يقول:
أيها الطالبان ثأر ابن عفا * ن وللقتل والقصاص رجال
إن تكونا أمرتما بدم القا * تل فالناس كلهم قتال
بل هم غامس بكف وأرض * غير شك ومذنب جدال
ذلك الحق ما أقول ولح * - ق ضياء وغير ذاك ضلال
قال: ثم أقبل أبو هريرة وأبو الدرداء إلى معاوية فأخبراه (١) بما سمعا من عسكر
علي، ثم انصرفا (٢) إلى حمص، وبها يومئذ عبد الرحمن بن غنم الأشعري (٣)
صاحب معاذ بن جبل، وهو الذي فقه أهل الشام بعد معاذ بن جبل فأخبراه بالقصة،
فقال لهما عبد الرحمن: العجب لكما! تأتيان عليا وتطلبان منه قتلة عثمان وقد علمنا
أن المهاجرين والأنصار كانوا بالمدينة حضورا يوم قتل عثمان فما نصره ولا دافعوا
عنه، وأنتما تعلمان أن من رضي بعلي خير ممن كرهه، وأن من بايعه خير ممن لم
يبايعه، ثم إنكما صرتما (٤) رسولين لرجل من الطلقاء الذين لا يحل لهم الخلافة ولا
الشورى، فسوءة لكما ولما جئتما (٥) به - والسلام - . قال: ثم أنشأ سعيد بن
الحارث الأزدي يقول:

لهف نفسي وللأمور بناء * لابن هند مزين الفحشاء
خدع الدوسي المغفل بالل * - ه ودارت على أبي الدرداء
مشيا يسحبان جهلا إلى الخد * عة أذيال سوءة سواء

- (١) بالأصل: فأخبروه.
(٢) بالأصل: " انصرفوا " وفي الأخبار الطوال: فخرج أبو الدرداء وأبو أمامة فلحقا ببعض السواحل، ولم
يشهدا شيئا من تلك الحروب.
(٣) عن الإصابة، وقد مر، وبالأصل: الشمالي خطأ.
(٤) الأصل: إنكم صرتم.
(٥) بالأصل: لكم ولما جئتم.

مشيا للسراب في البلد الق * - فر غرورا والحية الصماء
قال شوري يريد لها من علي * من اسميه من ذوي السخاء
أي شوري تريد بعد رضى لنا * س عليا وبيعة الخلفاء
لم يقولوا بقتل قاتل عثما * ن ولا تسفك الدما بالدماء
فراى غير ما رآه ابن هند * ليس والقول في الهوى بسواء
أسواء مهاجر وطليق * ليس في الدين بيعة الطلقاء
قال ودنا القوم بعضهم من بعض، وتقدم عمرو بن العاص فجعل يطعن في
الخيل وهو يقول:

أبعد طلحة والزبير تأتلف * وبعد عثمان فما لي من خلف
شدوا عليهم أبدا لا ينكشف (١) * يوم لهمدان ويوم للصدف (٢)
وفي قريش (٣) نخوة لا تنحرف * إذا مشيت مشية العود القطف (١)
أضربها بالسيف حتى ينصرف * ووائل في غمرة الموت القذف
والمرء يغشاه من الموت الأنف * ما أشبه اليوم بيوم قد سلف
قال: ثم جعل عمرو يقاتل وعك تحميه وتقاتل بين يديه، قال: فإذا الأشر قد
خرج إليه في قريب من ثلاثمائة فارس من فرسان مذحج، فجعل رجل من عك
يقول:

ويل لأم مذحج من عك * لتتركن أمكم تبكي (٥)
نقتلهم بالطعن طعن الصك (٦) * فلا رجال كرجال عك
سيعلم الله من المذكى * بكل قطاع حسام الشك
قال: واشتبك القتال بين الفريقين، وجعل الأشر يرتجز ويقول (٧):

-
- (١) في وقعة صفين ص ٤٠٦: شدوا علي شكتي لا تنكشف.
(٢) الصدف: النسبة إليه صدفى محرقة، والصدف لقب لعمرو بن مالك بن أشرس بن عفير... بن
زيد بن كهلان (نهاية الإرب).
(٣) وقعة صفين: وفي تميم.
(٤) وقعة صفين: الصلف.
(٥) في وقعة صفين ص ٢٢٧: وأمهم قائمة تبكي. وفي الطبري ٦ / ١٢: هاتيك أم مذحج تبكي.
(٦) وقعة صفين: نصكهم بالسيف أي صك.
(٧) الأرجاز في وقعة صفين ص ٢٤٥ ونسبت لعبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي.

لم يبق إلا الصبر والتوكل * والأخذ للترس وسيف مصقل (١)
ثم التمشي في الرعيل الأول * مشي الجمال في حياض المنهل
قال: وجعل الأشتر يلاحظ عمرو بن العاص وقد ظهر بين يدي أصحابه ويحب
أن يراه في ذلك الحرب الشديد، فيينا هو كذلك إذا بعمر بن العاص وقد ظهر من
بين أصحابه وهو يقول (٢):

إني إذا ما الحرب نفرت كبر * وأسفرت أخزر من غير خزر
أقحم والخطى في النقع كسر * كالحية الصماء في أصل الحجر
قال: فقصده الأشتر وهو يقول:

إني أنا الأشتر معروف الشتر (٣) * إني أنا الأفعى العراقي الذكر
لست من الحيبي ربيعه ومضر * لكنني من مذحج الحي الغرر
قال: ثم حمل الأشتر في خيل مذحج على عمرو بن العاص وأصحابه حملة،
فألحقهم بسرادق، معاوية، وقد قتل منهم يومئذ على ثمانين رجلا وأفلت الباقون
مجروحين لما بهم، وجرح عمرو جراحة منكرة ودهش معاوية لذلك دهشا شديدا.
قال: وارتفع العجاج وجعلت أم سنان المذحجية تحرض قومها على قتال
معاوية وتشتم أهل الشام وتذكرهم بكل قبيح، ومعاوية يسمع ذلك كله إلى أن جاء
الليل فحجز بين الفريقين، فبات معاوية ليلته وليس عليه شيء أشد من تحريض أم
سنان في ذلك اليوم.

حديث أم سنان المذحجية مع معاوية

قال: فلما كان بعد ذلك بأعوام وقد صار الأمر إلى معاوية أقبلت أم سنان من
المدينة إلى الشام واستأذنت على معاوية بالدخول، فأذن لها، فلما دخلت وجلست

(١) كذا بالأصل، يقال: سيف فاصل ومقصل وقصال أي قطاع. فالصواب: " وسيف مقصل "

(٢) الأرجاز - باختلاف - في وقعة صفين ص ٣٧٠.

(٣) الشتر، انقلاب جفن العين من أعلى وأسفل وتشنجه، وقد مر السبب لما لقب مالك بن الحارث
بالأشتر.

قال لها معاوية: يا بنت خيثمة (١)! ما الذي أقدمك من المدينة إلى ما قبلنا وعهدي بك وأنت تشتمينا وتحرضين علينا عدونا؟ فقالت أم سنان: إذا أخبرك يا معاوية؟ إن لبني عبد مناف أخلاقا طاهرة وأحسابا وافرة (٢)، فهم لا يجهلون بعد حلم ولا يكافون (٣) بعد

عفو، وإن أولى الناس بسنن آبائه لأنت يا معاوية، فقال معاوية: صدقت نحن كذلك، ولكن ألسنت القائلة يوم صفين هذه الأبيات:
عذب (٤) الرقاد فمقلتي لا ترقد * والليل يصدر بالهموم ويورد
يا آل مذحج لا مقام فشمروا * إن العدو لآل أحمد يقصد
هذا علي كالهلال تحفه (٥) * وسط السماء من الكواكب أسعد (٦)
خير الخلائق وابن عم محمد * وكفاه فخرا في الأنام محمد (٧)
ما زال مذ عرف الحروب مظفرا * والنصر فوق لوائه قد يعقد (٨)
فقالت أم سنان: قد كان ذلك يا معاوية، ولو كان علي حيا لما رأيناك وإنما
لنكون لك من علي خلفا. فقال رجل من جلساء معاوية:
يا أخت بني مذحج! أو لست القائلة هذه الأبيات (٩).
أما هلكت أبا الحسين فلم تنزل * بالحق تعرف هاديا مهديا
فاذهب عليك صلاة ربك ما دعت * فوق الغصون حمامة قمريا
قد كنت بعد محمد خلفا لنا * أوصى إليك بنا وكنتم وفيا
فاليوم لا خلف نؤمل بعده * هيهات نمدح بعده إنسيا

(١) في صبح الأعشى ١ / ٢٥٨ سنان بنت جشمية بن خرشة المذحجية. وفي العقد الفريد ١ / ٣٣٩ بنت جشمية.

(٢) العقد الفريد. " وأحلاما وافرة " وفي صبح الأعشى: وأعلاما ظاهرة.

(٣) العقد الفريد: " ولا ينتقمون بعد عفو " وفي الصبح: ولا يشتمون بعد عفو.

(٤) العقد والصبح: عذب.

(٥) عن العقد والصبح، وبالأصل: بحقه.

(٦) سعود النجوم عشرة: أربعة منها من منازل القمر، وست ليست من منازلها.

(٧) في العقد والصبح: إن يهدكم بالنور منه تهتدوا.

(٨) في العقد والصبح: ما يفقد.

(٩) الأبيات في العقد ١ / ٣٤٠ وصبح الأعشى ١ / ٢٥٨.

فقال أم سنان: صدقت (١)، يا معاوية! أنا القائلة هذه الأبيات ولكنه لسان نطق وقول صدق، ولئن تحقق لنا فيك ما نؤمل فحظك الأوفر، ووالله يا معاوية! ما أورد بك الشنأة (٢) في قلوب المسلمين إلا مثل هذا وأصحابه، فافرض أقاويلهم وادحض أباطيلهم، فإن كنت (٣) فعلت ذلك ازددت من الله قربا ومن المؤمنين حبا، فقال معاوية: وإنك لتقولين ذلك يا أم سنان؟ فقالت أم سنان: سبحان الله العظيم! يا معاوية! ما مثلي من احتج بالباطل ولا اعتذر بالكذب، وإنك لتعلم ذلك من رأينا وضمير قلوبنا، وإن عليا كان أحب إلينا منك إذ كان حيا، وأنت والله أحب إلينا من غيرك إذ كنت باقيا. فقال معاوية: أنا أحب ممن؟ فقالت: من مروان بن الحكم ومن سعيد بن العاص، فقال معاوية: وبما استحققت ذلك عندكم؟ فقالت: بحسن عملك (٤) وكرم عفوك، فقال معاوية: لقد قاربت من القول يا أم سنان! ولست أذكر منك ما كان من تحريضك علي يوم الأشر وعمر بن العاص، ولكن ألك حاجة فتقضى؟ فقالت: نعم، إن مروان بن الحكم قد تبك (٥) بالمدينة وتبك من لا يريد البراح عنها، وهو مع ذلك لا يريد أن يحكم بعدل ولا يقضي بسنة، ويتبع عثرات المسلمين ويكشف عورات المؤمنين، وذلك أنه حبس قرابة لي، فجثته وكلمته فيه فقال كيت وكيت، فوالله ما قمت من بين يديه حتى ألقمته أحشن من الحجر وألحقته أمر من الصبر، ثم رجعت على نفسي باللائمة وجثتك لتكون لي ناصرا، وفي أمري ناظرا، وعليه معتديا، وبأهل الحق مقتديا، قال: فضحك معاوية من حسن كلامها ثم قال: يا أم سنان! فإننا لا نسألك عن ذنب محبوسك ولا القيام بحجته ولكننا نطلقه لك وإن رغم مروان.

ثم قال معاوية: اكتبوا لها بإطلاق محبوسها حتى ترجع إلى منزلها، فقالت: وأنى بالرجعة (٦) وقد نفدت نفقتي وكلت راحلتي! فقال معاوية: هيئوا لها راحلة وادفعوا إليها ألف درهم، فقالت: أنت أكرم من أن تعطي ألف درهم، قال:

-
- (١) بالأصل: صدق.
(٢) في العقد والصبح: والله ما ورثك الشنان.
(٣) بالأصل: كان.
(٤) العقد والصبح: بسعة حلمك.
(٥) تبك: أقام.
(٦) العقد والصبح: وقد نفذ زادي.

فضحك معاوية وأمر لها براحلة بوطائها وزودها وأمر لها بعشرة آلاف درهم (١)، فانصرفت أم سنان غانمة.

ثم رجعنا إلى الخبر من صفين

قال: وعزل علي الأشعث بن قيس عن الرئاسة لشيء بلغه عنه ودفع رايته إلى حسان بن مخلد الجاهلي، فغضب لذلك سادات كندة حتى كاد أن يقع بين كندة وربيعة شيء من حرب، فقالت (٢) ربيعة لكندة: يا هؤلاء! لا عليكم إن كان صاحبكم الأشعث بن قيس ملكا في الجاهلية وسيدا في الإسلام فإن صاحبنا ليس بدونه وهو أهل لهذه الرئاسة. ثم وثب حسان بن مخلد إلى الأشعث فقال له: يا أخي! إن كان أمير المؤمنين عزلك عن الرئاسة فهذه راية قومي لك ولي راية قومك، فقال الأشعث: معاذ الله أن أفعل ذلك! ما كان لي فهو لك وما كان لك فهو لي. قال: وبلغ ذلك معاوية أن عليا قد عزل الأشعث عن الرئاسة، فدعا بشاعره كعب بن جعيل (٣) وقال: أحب أن يلقي إلى الأشعث بن قيس شيئا من الشعر يهيجه علي، فلعله أن يفارقه ويصير إلينا، فكتب إليه كعب بن جعيل (٣):

من يصبح اليوم مثلوجا بأسرته * فالله يعلم أنني غير مثلوج
زالت عن الأشعث الكندي رئاسته * واستجمع الأمر حسان بن مخلد
يا للرجال لعار ليس يغسله * ماء الفرات وكرب غير مفروج
إن ترض كندة حسانا بصاحبها * ترضى الدناة وما قحطان بالهوج
هذا لعمرك نقص ليس ينكره * أهل العراق وعار غير ممزوج
كان ابن قيس هماما في أرومته * بدرا ينوء بملك غير مبعوج (٤)
ثم استقل بعار في ذوي يمن * والقوم أعداد (٥) يأجوج ومأجوج
إن الذين تولوا بالعراق لهم * لا يستطيعون طرا ذبح فروج
قال: فلما انتهى هذا الشعر إلى أهل اليمن وثب شريح بن هانئ المذحجي

(١) العقد وصبح الأعشى: خمسة آلاف.

(٢) في وقعة صفين ص ١٣٨ فتكلم حريث بن جابر.

(٣) بالأصل: جعل، خطأ.

(٤) في وقعة صفين في ص ١٣٩: ضخما ينوء بملك غير مفلوج.

(٥) وقعة صفين: أعداء.

وقال: يا معشر اليمن! إن معاوية يريد أن يفرق بينكم وبين إخوانكم، وربيعة لم يزلوا حلفاءكم في الجاهلية وإخوانكم في الإسلام، فلا تلتفتوا إلى تحريض معاوية وهجائه فإنه عدو الله وعدو رسوله، ثم إنه أنشأ وجعل يقول:
قد كمل الله للحيين نعمته * إذ قام بالأمر حسان بن مخلدوج
من كان يطمع فينا أن يفرقنا * بعد الإخاء وود غير مخلدوج
فالنجم أقرب منه في تناوله (١) * فيما أراد فلا يولع بتبهيح
أمست ربيعة أولى بالذي حدثت * من كل حي بحق غير مخلدوج
وكندة الخير ما زالت لنا ولهم * حتى يرى فتح يأجوج ومأجوج
قال: فلما سمع معاوية شعره أيس من الأشعث بن قيس، ثم أمر أصحابه بالخروج إلى الحرب، فجعل الناس يعدون إلى مواقفهم.
قال: وافتقد معاوية راية قضاة فلم يرها فقال لغلام واقف على رأسه: اذهب إلى النعمان بن جبلة القضاة فقل له: ما يجلسك عن الخروج إلى العدو وقد زحفت الرايات؟ والله لقد هممت أن أولي أمر قضاة من هو أنصح منك حبا وأقل منك عيبا، قال: فانطلق الغلام إلى النعمان بهذه الرسالة، فلم يك (٢) بأسرع من أن خرجت كراديس قضاة يقدم بعضهم بعضا حتى وقفوا في مواقفهم، وأقبل النعمان بن جبلة إلى معاوية، فلما رآه معاوية عرف الغضب في وجهه، فقال:
اللهم! إني أعوذ بك من شر سنان هذا المقبل. قال: ثم دنا النعمان بن جبلة من معاوية فنزل عن فرسه وجلس مطرقا ساعة لا يتكلم وقد احتبى بحمائل سيفه، فقال له معاوية: أبا المنذر! ما الذي أجلسك اليوم عن العدو وقد زحفت الرايات وعدت القبائل إلى مواقفها؟ وأنتم تعلمون يا معشر قضاة! أنكم أعيان عسكري هذا وثقاتي في نفسي، فقال له النعمان: يا معاوية! إننا لو كنا نعدو إلى جيش مصنوع وإناء موضوع لكان في ذلك بعض الأناة، فكيف وإنما نعدو إلى سيوف قاطعة ورماح شارعة وقوم ذوي بصائر نافعة، فلا بد لنا من أن نأخذ لذلك أهبة، وبعد يا معاوية!

(١) وكان حسان بن مخلدوج قد مشى إلى الأشعث بن قيس برايته حتى ركزها في داره. وعرض أيضا علي بن أبي طالب (رض) علي الأشعث أن يعيدها عليه فأبى وقال: معاذ الله أن يغيرني ذلك لكم، فولاه علي ميمنته وهي ميمنة أهل العراق (وقعة صفين ص ١٤٠).
(٢) الأصل: فلم يكن.

أنا أسرع من معك إلى الحرب نكوبا، وأنصحهم لذلك جيوبا وأقلهم عند الحقائق تكذيبا، وزعمت أنك تولي أمر قضاة من هو أنصح مني جيوبا وأقل مني عيبا، أما والله يا معاوية! لقد نصحتك عن نفسي، وآثرت ملكك على ديني، وقتلت فيك عشيرتي، وتركت لهواك رشدي وأنا أعرفه، وحدثت عن الحق وأنا أبصره، فقال معاوية: أبا المنذر! إني لم أرد بك هذا كله، ولكن أي رشد أرشد وأي حق أحق من طلبك دم الخليفة المظلوم وذبحك عن الحريم؟ فقال النعمان: لا والله يا معاوية! ما وقفت لرشادي إذ أقاتل عن ملكك ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو أول مؤمن وأول

مهاجر معه، ولو أعطيناه من أنفسنا مثل الذي أعطيناك لكان أرأف بالرعية وأجزل للعطية وأنفذ في القضية وأقسم بالسوية وأبعد من الدنية والعصبية، ولكننا بذلنا لك أمرا لا بد لنا من إتمامه غيا كان أم رشدا. قال: فسكت معاوية ولم يقل شيئا ووثب عمرو بن مرة الجهني والحارث بن نمر الجرمي وقالوا (١): أقسمنا عليك أبا المنذر إلا سكت، فقد بلغت من الكلام ما أردت، قال: فسكت النعمان ونهض إلى موقفه. قال: وإذا بكردوسين عظيمين من أصحاب علي قد خرجا (٢) وكان وميض بيضها وميض الكواكب، أحد الكردوسين قبائل مذحج وفيهم الأشر، والآخر همذان وفيهم سعيد بن قيس الهمداني. قال: فنكى هذان الكردوسان في أهل الشام نكاية شديدة حتى كاد (٣) أهل الشام يضعضون، فأرسل معاوية إلى النعمان: لله أنت أبا المنذر! ألا ترى إلى ما صنعت بنا هذان الكردوسان في هذا اليوم؟ أنت لهم لله درك. قال: فأرسل إليه النعمان أن ادع لهذين الكردوسين من هو أفصح مني جيوبا. وأقل مني عيبا. فقال معاوية لعمرو بن مرة الجهني والحارث بن نمر الجرمي: قوما (٤) إلي ابن عمكما فاطلبا (٥) إليه واسألاه (٦) أن يلقي هذين الكردوسين بقومه وعشيرته وبأسه وشدته فليس لهم سواه، فقال عمرو بن مرة الجهني: والله يا معاوية! إنك لتقصر بنا في الخلاء وتضع بنا في الملاء، وتميل علينا في الأهواء، وتدعوننا لكل

(١) بالأصل: قالوا.

(٢) بالأصل: خرجوا.

(٣) بالأصل: كاد.

(٤) بالأصل: قوموا.

(٥) بالأصل: ابن عمكم فاطلبوا.

(٦) بالأصل: اسألوه.

كتيبة خشناء، قال معاوية: ليس هذا خبر شاف إنه أخذت السيوف هام الرجال والأسنة كلاها، فقوموا (١) إلى ابن عمكما (٢). قال: فقاما إليه فكلماه وسألاه أن يخرج بأصحابه إلى الكردوسين، فقال النعمان: أفعل ذلك ولا أردكم. قال: وعلى النعمان يومئذ درع سابغ، وعلى رأسه مفغر وعمامة سوداء، وتحتة فرس له أشقر، فضرب بيده إلى راية قومه ثم قال: إننا سنقاتل عن الغوطة وعنيها وزيتونها إذ قد حرمتنا الجنة ونعيمها وحرور عينها. ثم تقدم أمام قومه وهو يقول:

قد علم الجرمي ذو الشنان * أن لن نرد الجيش من همدان
ومذحج إذ كلف الجمعان * ألا لجيش مثله يمانى
ذوي بناء وذوي أركان * من ذري كلب ومن غسان
ومن تنوخ أيما فرسان * بيض مراجح لدى الطعان
بكل عسال من الخرصان * لا من تميم لا ولا غيلان
ولا من الأذنان من عدنان * هذا لعمرى أئين الخسران
يقتل فيك ابن أبي سفيان * رجال قحطان ذرى قحطان

قال: ثم حمل النعمان هذا على قضاة، وحمل الأشتر وسعيد بن قيس في قومهما (٣) من مذحج وهمدان، فتجالدوا من وقتهم ذلك إلى الليل، فقتل النعمان وقتل معه جماعة أصحابه، ثم تحاجز (٤) الفريقان وقد فاتتهم الصلوات.

قال: وبلغ معاوية قتل النعمان فاسترجع وابدى جزعا شديدا، وقد كان يحب أن يقتل لما كان من قوله وميله إلى علي رضي الله عنه.

ذكر ما جرى من المناظرة بين أبي نوح
وذي الكلاع الحميري
قال: فأصبح (٥) القوم، فدنا بعضهم من بعض، ومع علي بن أبي طالب

-
- (١) بالأصل: فقوموا.
(٢) الأصل: ابن عمكم.
(٣) بالأصل: قومهم.
(٤) بالأصل: تحاجزوا.
(٥) بالأصل: فأصبحوا.

رضي الله عنه يومئذ رجل من حمير يكنى بأبي نوح، وكان مفوها متكلمًا وكان له فضل وقدر وطاعة في الناس، فقال لعلي: يا أمير المؤمنين! أتأذن لي في كلام ذي الكلاع؟ فإنه رجل من قومي وهو سيد عند أهل الشام، فلعلي أشككه فيما هو فيه! فقال له علي: يا أبا نوح! إن رد مثل ذي الكلاع شديد عند أهل الشام، فإن أحببت لقاءه فאלقه بالجميل، وإياك والكتب.

قال: فبعث أبو نوح إلى ذي الكلاع أني أريد لقاءك فأخرج إلي أكلمك، قال: فجاء ذو الكلاع إلى معاوية فقال: إن أبا نوح يريد كلامي ولست مكلمه إلا بإذنك، فما ترى في كلامه أكلمه أم لا؟ فقال معاوية: وما تريد إلى كلامه؟ فوالله ما نشك في هداك ولا في ضلالتك، ولا في حقك ولا في باطله، فقال ذو الكلاع: على ذلك أئذن لي في كلامه! فقال معاوية: ذاك إليك، وفشا أمر أبي نوح (١) وذي الكلاع في الناس، فأنشأ رجل من أصحاب علي يقول:
اذكر أبا كلع أمرا سيعقبه * شكًا وشيكا فبادره أبا نوح
حتى نشككه في دين صاحبه * والشك منه قريب شبه تصريح
أما الرجوع فإني لست آمله * إلا وبعض دماء القوم مسفوح
من يحصب ورعين أو ذوي كلع * وأصبح الشمر ذي الرأي المراجيح
كم ساعد قد أبان السيف مرفقها * ورأس أشوس وسط القوم مطروح
قال ابن هند له قولاً فأطمعه * إن المطاعم باب غير مفتوح
بادره من قبل أن ينشب أظافره * من ابن هند بتشبيع وتجليح
وامنحه نصحك إما كنت ناصحه * ما كان نصح أبي نوح بمشروح
إن خالف اليوم أهل الشام ذو كلع * لا يمس بالشام قرن غير منطوح
قال: وأقبل (أبو) نوح حتى وقف بين الجمعين، وخرج ذو الكلاع حتى وقف قبالتك، فقال أبو نوح: يا ذا الكلاع! إنه ليس في هذين الجمعين أحد أولى بنصيحتك مني، إن معاوية بن أبي سفيان أخطأ وأخطأت معه في خصال كثيرة، لخطأة واحدة أنه من الطلقاء الذين لا تحل لهم الخلافة، فأخطأ بادعائه إياها وأخطأت باتباعه، وأخطأ في الطلب بدم عثمان وأخطأت معه، لأن غيره أولى بطلب دم عثمان منه، وأخطأ أنه رمى علياً بدم عثمان وأخطأت بتصديقكم إياه ونصركم له،

(١) بالأصل: أبا نوح.

وهذا الأمر قد شهدناه وغبتم عنه، فاتق الله ويحك يا ذا الكلاع! فإن عثمان بن عفان أبيع له قوم فقتلوه بدعوى ادعوا عليه، والله الحاكم في ذلك يوم القيامة، وقد بايعت الناس علياً برضاء منه ومنهم، لأنه لم يك (١) للناس بد من إمام يقوم بأمرهم، وليس لأهل الشام مع المهاجرين والأنصار أمر، فإن قلت أن علياً ليس بخير من معاوية ولا بأحق منه بهذا الأمر فهات رجلاً (٢) من قريش ممن ترضى دينه حتى يعدل بينهم في شيء من الدين والشرف والسابقة في الإسلام! فقال له ذو الكلاع: إنني قد سمعت كلامك أبا نوح! ولم يخف علي منه شيء ولكن هل فيكم عمار بن ياسر؟ فقال أبو نوح: نعم هو فينا، قال (٣): فهل يتهاى لك أن تجمع بينه وبين عمرو بن العاص فيتكلمان وأنا أسمع؟ فقال أبو نوح: نعم.

ثم ولي إلى عسكره فصار إلى عمار وطلب إليه وسأله أن يلقي (٤) عمرو بن العاص. قال: فخرج عمار في ثلاثين رجلاً من المهاجرين والأنصار، ليس فيهم رجل إلا وقد شهد بدرًا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غير رجلين عمرو بن الحمق الخزاعي

ومالك بن الحارث الأشتر، قال: وقام الصباح الحميري إلى معاوية فقال له: إنني أرى لك إن تأذن لذي الكلاع أن يلقي أبا نوح فإنه قد طمع فيه، وأخاف أن يشككه في دينه، فقال معاوية: إنني قد نهيته فلم ينته عن ذلك، وهو رجل من سادات حمير وأنا أرجو أن لا يخدع، قال: فأنشأ رجل من أصحاب معاوية في ذلك يقول:

إنني رأيت أبا نوح لم طمع* في ذي الكلاع فلا يقرب أبا نوح
إنني أخاف عليه من بواده* كيد العراق وقرنا غير منطوح
إن يرجع اليوم للعقبين ذو كلع* يرجع له الشام من شك وتصريح
ما قول عمرو وشر القول أكذبه* إلا هشيم ذراه عاصف الريح
لا بارك الله في عمرو وخطبته* إن التي رامها فجر وتجليح

(١) بالأصل: لم يكن.

(٢) بالأصل: رجل خطأ.

(٣) في وقعة صفين ص ٣٣٣ قال ذو الكلاع لأبي نوح دعوتك لأحدثك حديثاً حدثناه عمرو بن العاص... قال: إن رسول الله (ص) قال: يلتقي أهل الشام وأهل العراق وفي إحدى الكتيبيتين الحق وإمام الهدى ومعه عمار بن ياسر.

(٤) بالأصل: يلق خطأ.

لو شاء قال له قولاً يشككه * حتى يظن سحوق النخل كالشيخ
قال: فأقبل ذو الكلاع إلى عمرو بن العاص وإذا هو واقف يحرض الناس على
القتال، فقال له: أبا عبد الله! هل لك في رجل ناصح صادق لبيب شفيق يخبرك
عن عمار بن ياسر بالحق؟ فقال له عمرو: ومن هذا معك؟ فقال: هذا ابن عم لي
من أهل العراق، غير أنه جاء معي بالعهد والميثاق على أنه لا يؤذى ولا يهاج حتى
يرجع إلى عسكره، فقال عمرو: إنا لنرى (١) عليه سيماء أبي تراب، فقال أبو نوح:
بل سيماء محمد وأصحابه علي، وعليك سيماء جهل ابن أبي جهل وسيماء فرعون
ذي الأوتاد. قال: فوثب أبو الأعور السلمي فسل سيفه ثم قال: أرى هذا الكذاب
الأثيم يشاتمنا وهو بين أظهرنا وعليه سيماء أبي تراب، فقال ذو الكلاع: مهلاً يا أبا
الأعور! لأقسم بالله لو بسطت يدك إليه لأخطمن أنفك بالسيف، ابن عمي وجاري قد
عقدت له ذمتي، وجئت به إليكم ليخبركم عما تماريتم فيه، فتسل عليه السيف!
قال: فسكت أبو الأعور وتكلم عمرو بن العاص فقال: أأستأبأ نوح؟ فقال:
بلى، أنا أبو نوح، قال عمرو: فأنا أذكرك الله أبا نوح إلا صدقتنا ولم تكذبنا، أفيكم
عمار بن ياسر؟ فقال أبو نوح: ما أنا بمخبرك حتى تخبرني لم تسألني عنه: فإن معنا
من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلهم جاد في قتالكم، فقال عمرو: لأني
سمعت

رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول لعمار: تقتلك الفئة الباغية (٢)! وإنه ليس
ينبغي لعمار بن

ياسر أن يفارق الحق، ولا تأكل النار منه شيئاً، فقال أبو نوح: لا إله إلا الله والله
أكبر! إن عماراً معنا (٣) وإنه لجاد في قتالكم، فقال، عمرو: إنه والله لجاد على
قتالنا؟ فقال أبو نوح: والله! لقد حدثني يوم الجمل إننا سنظهر عليهم، فكان كما
قال، ولقد حدثني بالأمس أن لو هزمتونا (٤) حتى تبلغونا إلى سعفات هجر (٥)
لعلمنا

بالأصل: لا نرى خطأ.

(٢) الحديث روي من طرق مختلفة الطبري ٦ / ٢٢ - ٢٣ دلائل البيهقي ٢ / ٥٥٢ وبعضه أخرجه مسلم

في
الفتن ٤ / ٢٣٣ والبخاري في الصلاة فتح الباري ١ / ٥٤١ والإمام أحمد في مسنده ٣ / ٥ و ٦ / ٢٨٩
و ٤ / ٣١٩. ونقل ابن كثير في البداية والنهاية ٧ / ٢٩٩ وما بعدها الحديث بأسانيد مختلفة ومن طرق
متعددة.

(٣) في وقعة صفين ص ٣٣٥: والله إنه لفينا.

(٤) وقعة صفين: ضربتمونا.

(٥) خص هجر للمباعدة في المسافة، ولأنها موصوفة بكثرة النخيل (الحديث في اللسان).

بأننا على حق وأنكم على باطل، وأن قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار، فقال عمرو: فهل تستطيع أن تجمع بيني وبينه؟ قال أبو نوح: نعم وها هو واقف في ثلاثين رجلا من أصحاب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب.

فأقبل عمرو بن العاص حتى وقف قريبا من أصحاب علي ومعه نفر من أصحاب معاوية (١). قال: ونظر إليهم عمار فأرسل إليهم برجل من عبد القيس يقال له عوف بن بشر، فأقبل حتى إذا كان قريبا منهم نادى بأعلى صوته: أين عمرو بن العاص؟ فقال عمرو: ها أنا فهات ما عندك! فقال: هذا عمار قد حضر، فإن شئت فتقدم إليه! قال عمرو: فسر إلينا حتى نكلمك، فقال: أنا أخاف غدراتك، قال عمرو: فما الذي جراك وأنت على هذه الحالة؟ فقال له عوف بن بشر: الله جرأني عليك وبصرني فيك وفي أصحابك، فأن شئت نابذتك وإن شئت التقيت أنت وخصماؤك، فقال له عمرو: من أنت يا أخي؟ قال: أنا عوف بن بشر الشني رجل من عبد القيس، قال عمرو: فهل لك أن أبعث لك بفارس يواقفك؟ فقال له عوف: ما أنا بمستوحش من ذلك فابعث إلى أشقى أصحابك، فقال عمرو لأصحابه: أيكم يخرج إليه فيكلمه؟ فقال أبو الأعور: أنا إليه أسير، ثم أقبل إليه أبو الأعور حتى واقفه، فقال له عوف (٢): إني لأرى رجلا لا أشك أنه من أهل النار إن كان مصرا على ما أرى، فقال له أبو الأعور: لقد أعطيت لسانا حديدا أنكبك (٣) الله في نار جهنم، فقال عوف: كلا والله! إني لا أتكلم إلا بالحق، ولا أنطق إلا بالصدق، وإني أدعو إلى الهدى، وأقاتل أهل الضلال، وأفر من النار، وأنت رجل تشتري العقاب بالمغفرة والضلالة بالهدى، فانظر إلى وجوهنا ووجوهكم وسيماننا وسيمانكم، واسمع إلى دعوانا ودعواكم، فليس منا أحد إلا وهو أولى بمحمد صلى الله عليه وسلم وأقرب إليه

منكم، فقال أبو الأعور: أكثرت الكلام وذهب النهار، فاذهب فادع أصحابك وأدعو أصحابي، وأنا جار لك حتى تأتي موقفك هذا الذي أنت فيه، ولست أبدأك بغدر حتى تأتي أنت وأصحابك.

(١) وكان معه: ابنه عبد الله ومحمد، وعتبة بن أبي سفيان وذو الكلاع وأبو الأعور السلمي وحوشب، والوليد بن عقبة بن أبي معيط (وقعة صفين ص ٣٣٥).

(٢) في وقعة صفين ص ٣٣٦: إني لأعرف الجسد وأنكر القلب، إني لا أراك مؤمنا، وإنك لمن أهل النار.

(٣) كذا بالأصل، وفي وقعة صفين: يكبك الله به على وجهك في نار جهنم.

قال: فرجع عوف بن بشر إلى عمار بن ياسر ومن معه، فأخبرهم بذلك، وأقبل عمار ومعه الاجلاء (١) من أهل عسكره، وتقدم عمرو بن العاص في اجلاء عسكره، حتى اختلفت أعناق الخيل فنزلوا هؤلاء وهؤلاء عن خيولهم واحتبوا بحمائل سيوفهم، وذهب عمرو الشديد (٢) فقال عمار: اسكت وقد تركتها (٣) في حياة محمد صلى الله عليه وسلم وبعد موته ونحن أحق بها منك، فاخطب بخطبة الجاهلية، وقل قول من

كان في الاسلام دنيا ذليلا وفي الضلال رأسا محاربا، فإنك ممن قاتل النبي صلى الله عليه وسلم في حياته وبعد موته وفتن أمته من بعده، وأنت الأبر ابن الأثير شانيء محمد صلى الله عليه وسلم وشانيء

أهل بيته، قال: فغضب عمرو ثم قال: أما! إن فيك لهناة ولو شئت أن أقول لقلت، فقال عمار: وما عسى أن تقول ابن عمي! إني كنت ضالا فهداني الله، ووضيعا فرفعني الله، وذليلا فأعزني الله (٤)، فإن كنت تزعم هذا فقد صدقت، وإن أنت تزعم أنني خنت الله ورسوله يوما واحدا أو تولينا غير الله يوما واحدا فقد كذبت، ولكن

هلم إلى ما نحن فيه الآن، فإن شئت كانت خصومة فيدفع حقنا باطلك، وإن شئت كانت خطب فنحن أعلم بفصل الخطاب منك، وإن شئت أخبرتك بكلمة تفصل بيننا وبينك ونكفرك قبل القيام من مجلسك وتشهد بها على نفسك ولا تستطيع أن تكذبني، هل تعلم أن عثمان بن عفان كان عليه الناس بين خاذل له ومحرض عليه، وما فيهم من نصره بيده ولا نهى عنه بلسانه، وقد حصر أربعين يوما في جوب داره ليس له جمعة ولا جماعة، وتظن ما كان فيه قبل أن يقتل ما كان من طلحة والزبير، وعائشة بنت أبي بكر حين منعها أرزاقها فقالت فيه ما قالت وحرضت على قتله، فلما قتل خرجت فطلبت بدمه بغير حق ولا حكم من الله تعالى في يدها، ثم إن صاحبك هذا معاوية قد طلب إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أن يترك له ما في يده، فأبى علي ذلك، فانظر في هذا ثم سلط الحق على نفسك فاحكم لك وعليك. قال: فقال عمرو: صدقت أبا اليقظان! قد كان ذلك كما ذكرت في أمر عائشة وطلحة والزبير، وأما معاوية فله أن يطلب بدم عثمان لأنه رجل من بني أمية وعثمان

(١) سار عمار في اثني عشر رجلا. وعمرو في عشرة.

(٢) كذا بالأصل، ولا معنى لكلمة الشديد هنا، وفي وقعة صفين: "فتشهد عمرو" وهو ما يقتضيه معنى الكلام اللاحق.

(٣) عن وقعة صفين: وبالأصل: تركتهم.

(٤) زيد في وقعة صفين: وفقيرا فأغواني الله.

من بني أمية، وليس لهذا جئت (١)، إذا رسل هذا الامر الذي قد شجر بيننا وبينكم
لأنني رأيتك أطوع هذا العسكر فأذكر الله إلا كفت سلاحهم وحقنت دماءهم
وحرضت

على ذلك، ويحك أبا اليقظان! على ماذا تقاتلنا؟ ألسنا نعبد الله واحداً؟ ألسنا
نصلي إلى قبلكم وندعو بدعوتكم ونقرأ كتابكم ونؤمن بنبيكم؟ فقال عمار:
الحمد لله الذي أخرجها من فيك، القبلة والله لي ولأصحابي، ولنا الدين والقرآن
وعبادة الرحمن، ولنا النبي والكتاب من دونك ودون أصحابك، وإن الله تبارك
وتعالى قد جعلك ضالاً مضلاً، وأنت لا تعلم أهدأ أنت أم ضال؟ ولقد أمرني
رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أقاتل الناكثين فقد فعلت، وأمرني أن أقاتل القاسطين
فأنتم هم،

وأما المارقون فلا أدري أدركهم أم لا، أيها الأبترا! ألسنت تعلم أن النبي صلى الله عليه
وسلم قال:

من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم! وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره
واخذل من خذله (٢)؟ فأنا مولى لله ولرسوله وعلي مولاي من بعده وأنت فلا مولى
لك، فقال عمرو بن العاص: ويحك أبا اليقظان! لم تشتمني ولست أشتمك؟ فقال
عمرو: فما ترى في قتل عثمان؟ فقال عمار: قد أخبرتك كيف قتل عثمان، فقال
عمرو: فعلي قتله، فقال عمار: بل الله قتله، قال عمرو: فهل كنت فيمن قتله؟
قال عمار: أنا مع من قتله وأنا اليوم أقاتل لمن قتله، لأنه أراد أن يقتل الدين فقتل.
فقال عمرو: يا أهل الشام! إنه قد اعترف بقتل عثمان أمامكم، فقال عمار: قد
قالها فرعون لقومه (ألا تسمعون) (٣) أخبرني يا بن النابغة! هل أقررت أنني الذي
قتلت عثمان حتى تشهد علي أهل الشام، فقال عمرو، يا هذا! إنه كان من أمر
عثمان ما كان، وأنتم الذين وضعتم سيوفكم على عواتقكم وتحربتم علينا مثل لهب
النيران، حتى ظننا أن صاحبكم لا بقية عنده، فإن تنصفونا من أنفسكم فادفعوا إلينا
قتلة صاحبنا، وارجعوا من حيث جئتم ودعوا لنا ما في أيدينا، وإن أبيت ذلك فإن
دون ما تطلبون منا والله خرط القتاد (٤). قال: ثم تبسم عمار ثم قال، ليس أول

(١) عن وقعة صفين ص ٣٣٨ وبالأصل: حيث تحريف.

(٢) أخرجه الامام أحمد في مسنده بمختلف أسانيده وطرقه ١ / ١١٩، ١٥٢ و ٤ / ٢٨١، و ٣٦٨، ٣٧٢،
٥ / ٣٤٧، ٣٦٦، ٤١٩ ونقله ابن كثير أيضاً من طرق عدة. (البداية ٧ / ٣٨٣ حديث غدیر خم).

(٣) كذا بالأصل، وصحة القول (ألا تسمعون) من الآية ٢٥ سورة الشعراء.

(٤) إشارة إلى المثل: " من دونه خرط القتاد " اللسان. ويضرب للامر الشاق (المستقصى
للزمخشري).

كلامك هذا يا بن النابغة! يا دعي يا بن الدعي! يا بن حرار قريش! يا من ضرب عى خمسه بسهامهم، كل يدعيك حتى قاربك شرهم! أفي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب تغتمز؟ أما والله! لقد علمت قريش قاطبة أن عليا لا يجلس له على، ولا يقع له بالشنان (١)، ولا يغمز غمز التين.

قال: فقام أهل الشام فركبوا خيولهم ولهم زجل، فصاروا إلى معاوية، فقال لهم معاوية: ما وراءكم؟ فقالوا: وراءنا والله! إننا قد سمعنا من عمار بن ياسر كلاما يقطر الدم، ووالله لقد أحس عمرو بن العاص حتى ما قدر له على الجواب، فقال معاوية: هلكت العرب بعد هذا ورب الكعبة.

قال: ورجع عمار في أصحابه إلى علي بن أبي طالب فأخبره بالذي دار بينه وبين عمرو بن العاص، فأنشأ رجل من أصحاب علي يقول (٢):

ما زلت يا عمرو قبل اليوم مبتدرا (٣) * تبغي الخصومة جهرا غير سرار

حتى رأيت (٤) أبا اليقظان منتصبا * لله در أبي اليقظان عمار

ما زال يقرع منك العظم منتقبا * مخ العظام بحق (٥) غير إنكار

حتى رمى بك في بحر له لجج * يرمي بك الموج في لجج من النار

قال: وقد كان مع معاوية رجل من حمير يقال له الحصين بن مالك وكان

يكاتب علي بن أبي طالب رضي الله عنه ويدله على عورات معاوية، وكان له صديق من أصحاب معاوية يقال له الحارث بن عوف السكسكي، فلما كان ذلك اليوم قال

الحصين بن مالك للحارث بن عوف: يا حارث! إنه قد آتاك الله ما أردت، هذا

عمرو وعمار وأبو نوح وذو الكلاع قد التقوا، فهل لك أن تسمع من كلامهم؟ فقال

الحارث بن عوف: إنما هو حق وباطل وفي يدي من الله هدى فسر بنا يا حصين.

قال: فجاء الحصين والحارث حتى سمعا كلام عمرو وعمار، فلما سمع

(١) مر المثل.

(٢) في وقعة صفين ص ٣٤٤: وقال الجرشي. وذكر الأبيات.

(٣) وقعة صفين: مبتدئا تبغي الخصوم جهارا غير إسرار.

(٤) وقعة صفين: لقيت.

(٥) وقعة صفين: بنزع غير مكثار.

الحارث بن عوف كلام عمار وتظاهر الحجة على عمرو بقي متحيراً، فقال له الحصين: ما عندك الآن يا حارث؟ فقال الحارث: ما عندي وقعة والله بين العار والنار، والله لا أقاتل من معاوية بعد هذا اليوم أبداً! فقال له: ولا أنا أقاتل عليا بعد هذه اليوم أبداً.

قال: ثم هربا من عسكر معاوية جميعا فصار أحدهم إلى حصم وأظهر التوبة، وصار الحارث بن عوف إلى مصر تائباً من قتال علي رضي الله عنه وأنشأ يقول:

قال الحصين ولم أعلم بنيته * يا حار هل لك في عمرو وعمار
يا حاز هل لك في أمر له نبأ * فيه شر كان من عوف وإنكار
فأسمع وتسمع ما يأتي العيان به * إن العيان شفاء النفس يا حار
لما رأيت لجاج الامر قلت له * قولاً ضعيفاً نعم والكراهة إضماري
سرنا إلى ذلك المرءين مع نفر * شم كرام وجدنا زندهم واري
لما تشهد عمرو قال صاحبه (١): اسكت فإنك من ثوب الهدى عاري
فارتد عمرو على عقبه منكسراً * كالهـر يرقب ختلاء عازم الفار
ما زال يرميه عمار بحجته * حتى أقر له من غير إكثار
قال الحصين لما أبصرت حجته * غراء مثل بياض الصبح للـساري
ما بعد هذين من عيب لمنتظر * فاختر فدى لك بين العار والنار
قلت الحياة فراق القوم معترفاً * بالذنب حقاً وليس العار كالعار
قال، وأقبل نفر من أصحاب معاوية إلى عمرو بن العاص قال له بعضهم: أبا
عبد الله! ألسنت الذي رويت لنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " يدور الحق مع
عمار حيث ما

درا؟ " فقال عمرو: بلى، قد رويت ذلك، ولكنه يصير إلينا ويكون معنا، فقال له
ذو الكلاع: هذا والله محال من الكلام! والله لقد أفحمتك عمار حيث بقيت وأنت لا
تقدر على إجابته! قال عمرو: صدقت، وربما كان كلام ليس له جواب، قال:
فأنشأ رجل من بني قيس (٢) يقول في ذلك:

(١) يريد عمار بن ياسر، انظر ما سبق من مناقشة بينهما.

(٢) في وقعة صفين ص ٣٤٤: وقال العنسي.

والراقصات بركب عامدين له * إن الذي كان في (١) عمرو لمأثور
قد كنت أسمع والأنباء شائعة * هذا الحديث فقلت الكذب والزور
حتى تلقينه عن أهل محنته (٢) * فاليوم أرجع والمغرور مغرور
واليوم أبرء من عمرو وشيعته * ومن معاوية المحذو به العير
لا لا أقاتل عمارا على طمع * بعد الرواية حتى ينفخ الصور
تركت عمرا وأشياعا له نكرا * إني بتركهم يا صاح معذور
يا ذا الكلاع فدع لي معشرا كفروا * أو لا فديتك دين فيه تعزير
ما في مقال رسول الله في رجل * شك ولا في مقال الرسل تحيير
قال: ثم هرب صاحب هذا الشعر حتى لحق بعلي بن أبي طالب فصار معه.
قال: فدعا معاوية عمرو بن العاص فقال: يا هذا! إنك أفسدت أهل الشام
علي، أكل ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم تقوله وترويه؟ ما أكثر ما
سمعنا منه فلم

نزوه، فقال عمرو: يا هذا! والله لقد رويت هذا الحديث وأنا لا أظن أن صفيين
تكون ولست أعلم الغيب (٣)، ولقد رويت أنت أيضا في عمار مثل الذي رويت أنا فما
ذنبني؟ قال: ثم أنشأ عمرو يقول:

أعاتبني (٤) إن قلت شيئا سمعته * وقد قلت لو أنصفتني مثله قبلي
وفعلك فيما قلت فعل بنية * وتزلق بي في مثل ما قلته فعلي (٥)
وهل كان لي علم بصفيين أنها

تكون وعمار يحث على قتلي
فلو كان لي بالغيب علم كتمته * وكابرت أقواما مراجلهم تغلي
أبي الله إلا أن صدرك واغر * علي بلا ذنب جنيت ولا ذحل
سوى أنني والراقصات عشية * بنصرك مدخول الهوى ذاهل العقل
فلا وضعت عندي حصان قناعها * ولا حلمت وجناء عرمسة (٦) رحلي

(١) في وقعة صفين: جاء من.

والراقصات: الإبل التي ترقص، أي تحب بركبانها.

(٢) وقعة صفين: عيينة.

(٣) قلتها وعمار يومئذ لك ولي (زيادة عن وقعة صفين ص ٣٤٥).

(٤) وقعة صفين: تعاتبني.

(٥) وقعة صفين: أنعلك... نعل ثبينة... نعلي.

(٦) وقعة صفين: ذعلبة رحلي.

ولا زلت أدعى في لؤي بن غالب * قليلا غناي لا أمر ولا أحلي
إن الله أرخى من خناقك مرة * ونلت الذي أرجوه إن لم أرد أهلي
وأترك لك الشام الذي ضاق رحبها * عليك ولم يهنك بك بالعيش من أجلي
قال: فأجابه معاوية وأنشأ يقول (١):

أالآن لما ألفت الحرب بركها * وقام بنا الامر الجليل على رجل
غمزت قناتي بعد سبعين (٢) حجة * شفاها كأني لا أمر ولا أحلي
أبيت بأمر فيه للشام فتنة * وفي دون ما أظهرته زلة النعل
فقلت لك القول الذي ليس ضائرا * ولو ضر لم يضررك حملك لي ثقلي
تعاتبني في كل يوم وليلة * كأن الذي أبليت ليس كما أبلي
فما قبح الله العتاب وأهله * ألم تر ما أصبحت فيه من الشغل
فدع ذا ولكن هل لك اليوم حيلة * ترد بها قوما مراجلهم تغلي
دعاهم علي فاستجابوا لدعوة * أحب إليهم من بقا المال والاهل
إذا قال خوضوا غمرة الموت أرقلوا * إلى الموت إرقال الملوك (٣) إلى
الفحل

قال: فلما انتهى هذا الشعر إلى عمرو جاء إلى معاوية فأعتهبه ورضي كل واحد
منهم من صاحبه.

ذكر ما كان بعد ذلك من القتال

قال: ودنا (٤) القوم بعضهم من بعض وذلك في وقت الصبح، وبرز رجل من
أصحاب معاوية يقال له همام بن قبيصة النميري (٥) وكان ممن يشتم عليا ويقول فيه
القبيح، فجعل يرتجز ويقول:
قد علمت حوراء كالتمثال * إنني إذا ما طلبوا نزال

(١) الأبيات في وقعة صفين ص ٣٤٦.

(٢) كذا، ولعل الصواب " ستين " فقد كان معاوية حين وقعة صفين ابن ٥٧ سنة أو ٥٨، وقد كانت وفاته
سنة ٦٠ وله ثمانون سنة.

(٣) وقعة صفين: الهلوك.

(٤) الأصل: دنوا.

(٥) وكان معه لواء هوازن.

أقدم إقدام الهزبر العالي * أهل العراق أنتم (١) من بالي
أبذل طريفي وتلاد مالي (٢) * حتى أنال فيكم المعالي
إن يلقي الموت وتلك حالي (٣) * في نصر عثمان فما أبالي
قال: فخرج إليه عدي بن حاتم وهو يقول:
يا صاحب الصوت الرفيع العالي * إن كنت تبغي في الوغا نزالي
فادن فإني كاشف عن حالي * تفدي عليا ولدي (٤) ومالي
وأسرتي تتبعها عيالي
قال: فشمتم النميري عليا، فطعنه عدي بن حاتم طعنة في لبتة فجدله قتيلا،
ثم رجع عدي إلى موقفه وأنشأ وجعل يقول (٥):
أهمام لا تذكر مدى الدهر فارسا * وعض على ما جئته بالأباهم
سما لك في نقع العجالة فارس * شجاع مساع (٦) ذو شجا وغماغم
فوليته لما سمعت نداءه * إليك حذاها من عدي بن حاتم
فأصبح مطروحا لذي حومة الوغى (٧) * وأعظم من هذا شتيمة شاتم
قال: فاغتم معاوية لمقتل همام بن قبيصة وقال: ويلى على الأعور (٨) لئن
أمكنني الله منه لأفعلن ولا صنعن.
حديث عدي بن حاتم الطائي مع معاوية
قال: فلما كان بعد مقتل علي رضي الله عنه أقبل عدي بن حاتم فدخل على
معاوية وعنده عمرو بن العاص ورجل من بني الوحيد، فسلم عدي فردوا عليه

-
- (١) وقعة صفين ص ٢٩٧: انكم.
(٢) وقعة صفين: كل تلادي وطرف مالي.
(٣) وقعة صفين: أو أطعم الموت وتلكم حالي.
(٤) وقعة صفين ص ٣٩٨: مهجتي.
(٥) الأبيات في وقعة صفين ص ٣٩٨ ونسبها إلى ابن حطان.
(٦) في وقعة صفين: شديد القفيز.
(٧) وقعة صفين: أصبحت مسلوب اللواء مذذبا.
(٨) يريد بالأعور عدي بن حاتم.

السلام، فقال له معاوية: أبا طريف! ما الذي أبقى لك الدهر من ذكر علي بن أبي طالب؟ فقال عدي: وهل يتركني الدهر أن لا أذكره! قال: فما الذي بقي في قلبك من حبه؟ قال عدي: كله وإذا ذكر ازداد، فقال معاوية: ما أريد بذلك إلا اخلاق ذكره، فقال عدي: قلوبنا ليست بيدك يا معاوية! فضحك معاوية ثم قال: يا معشر طيء! إنكم ما زلتم تشرفون الحاج ولا تعظمون الحرم، فقال عدي: إنا كنا نفعل ذلك ونحن لا نعرف حلالا ولا ننكر حراما، فلما جاء الله عز وجل بالاسلام غلبناك وأباك على الحلال والحرام، وكنا للبيت أشد تعظيما منكم له، فقال معاوية: عهدي بكم يا معشر طيء! وإن أفضل طعامكم الميتة، فقال عمرو بن العاص والرجل الذي عنده من بني الوحيد: كف عنه يا أمير المؤمنين! فإنه بعد صنفين ذليل، فقال عدي: صدقتم. ثم خرج عدي من عند معاوية وأنشأ يقول:

يحاولني معاوية بن حرب * وليس إلى الذي يرجو سبيل
يذكرني أبا حسن عليا * وحظي في أبي حسن جليل
يكاشرنى ويعلم أن طرفي * على تلك التي أخفي دليل
ويعلم أننا قوم جفأة * حراديون ليس لنا عقول
وكان جوابه عندي عتيدا * ويكفي مثله مني القليل
وقال ابن الوحيد وقال عمرو * عدي بعد صنفين ذليل
وقال ابن الوحيد وقال عمرو * عدي بعد صنفين ذليل
فقلت صدقتما قد كان ركني * وفارقني الذي بهم أصول
ولكني على ما كان مني * أبلبل صاحبي بما أقول
وإن أحاكم في كل يوم * من الأيام محمله ثقيل
قال: فأرسل إليه معاوية بجائزة سنوية وترضاه.

ثم رجعنا إلى الخبر
قال: وبرز رجل من أصحاب معاوية يقال له حجل بن أثال بن عامر العبسي حتى وقف بين الجمعين ثم نادى: يا أهل العراق! من يبارز؟ فما لبث أن خرج إليه ابنه (١)، وكان الابن مع علي رضي الله عنه، والأب مع معاوية، والابن يقال له

(١) في الاخبار الطوال ص ١٧٣ خرج رجل من أهل العراقي يسمى حجل بن أثال وكان من فرسان العرب... فخرج إليه أبوه أثال. وكان من معدوي فرسان أهل الشام. (انظر وقعة صنفين ص ٤٤٣).

أثال (١)، قال: فخرج اليه وهو لم يعرفه، فتطاعنا (٢) بالرماح، فطعنه ابنه طعنة أرداه عن فرسه (٣)، قال: وسقطت البيضة عن رأس الشيخ، فنظر إليه الفتى فعرفه أنه أبوه فرمى بنفسه عن فرسه وأكب عليه وقال: يا أبتى! أظن أنه قد أهنتك طعنتي! فقال: نعم يا بني! وليس علي منها بأس إن شاء الله، ولكن يا بني! هلم إلى الشام والأموال الكثيرة مع معاوية، فقال له الابن: هلم إلى الآخرة وجنة الخلد مع علي بن أبي طالب، فقال الشيخ: يا بني! هذا ما لا يكون من أبيك أبدا، قال الفتى: يا أبتى! هذا ما لا يكون من ابنك أبدا، فارجع إلى صاحبك فإني راجع إلى صاحبي. قال: فرجع كل منهما (٤) إلى صاحبه، وعجب (٥) أهل العسكرين منهما جميعا وضربوا في الأمثال بعد ذلك، فأنشأ الشيخ يقول:

إن حجل بن عامر وأثالا * أصبحتا يضربان في الأمثال
أقبل الفارس المذحج في النق * - ع أثال يجري يريد نزال
دون أهل العراق (٦) إذ عظم النق * - ع على ظهر هيكل ذيال
فدعاني له ابن هند وما زا * ل قليلا في صحبه أمثالي
فتناولته ببادرة الرم * - ح فأهوى بأسمر عسال
فأطعنا وذاك من عجب الده * - ر عجيب بحادثات الليالي (٧)

شاجرا بالقناة صدر أبيه * وعزيز علي طعن أثال
لا أبالي إذا طعنت أثالا * وأثال كذاك ليس بيالي
فافترقنا على السلامة والنق * س تقيتها مؤخر الأجال
لا يراني على الهدى وأراه * من هداي على سبيل الضلال
وكلانا يرجو الثواب إلى الل * ه يقينا بغير قيل وقال

(١) انظر الحاشية السابقة.

(٢) بالأصل: فتطاعنوا. وفي الاخبار الطوال: فطعن كان واحد منهما صاحبه.

(٣) الاخبار الطوال: فحمل الأب على الابن، فاحتضنه حتى أشاله عن سرجه فسقط وسقط الأب عليه.

(٤) الأصل: منهم، خطأ.

(٥) الأصل: وعجبوا، خطأ.

(٦) في وقعة صفين ص ٤٤٣: العراق يخطر كالفحل.

(٧) وقعة صفين:

فأطعنا وذاك من حدث الده * - ر عظيم، فتى لشيخ بجال

قال: فلما انتهى شعر الشيخ بأهل العراق أنشأ ابنه يقول:
إن طعني وسط العجاجة حجلا* لم أرد بالذي فعلت عقوقا
كنت أرجو به الثواب من الل* - ه وكوني مع النبي رفيقا
لم أزل أنصر العراق من الشا* م أراني يفعل ذاك حقيقا
قال أهل العراق إذ عظ الخط* - ب ونق المبارزون نقيقا
من فتى يأخذ الطريق إلى الل* - ه وكنت الذي أخذت الطريقا
حاسر الرأس لا أريد سوى المو* ت أرى كل ما يكون (١) دقيقا
فإذا فارس تقحم في النق* - ع بيوتا (٢) تخاله أم عنيقا
فسبقني حجل ينافذة (٣) الطع* - ن وما كنت قبلها مسبوqa
وتلاقيته بطعنة صدق (٤)* وكلانا يبارز العيوقا
أحمد الله ذا الجلال القد* رة (٥) حمدا يزيدني توفيقا
إنني لم أزل بنافذة الطع* - ن سواء ولم يك تعويقا
قلت للشيخ لست أكفرك الده* - ر لطيف الغذاء والتنفيقا
غير أنني أخاف من لهب النا* ر بتركي الهدى (٦) فكن لي رفيقا
فأبى الشيخ أن يكون سعيدا* ولقد كنت ناصحا وشفيقا
قال: وجاء الليل فحجز بنى الفريقين، فباتوا ليلتهم تلك، فلما أصبحوا وأذن
مؤذن علي وذلك عند طلوع الفجر قال علي رضي الله عنه: مرحبا بالقائلين عدلا
وبالصلاة مرحبا وأهلا.

فلما صلى الفجر وثب فعبي أصحابه كما كان يعبيهم كل يوم، وعبي معاوية
أصحابه، وزحف الفريقان بعضهم إلى بعض. فإذا بصفوف أربعة (٧) قد قيدوا
أنفسهم بالعمائم عازمين على الموت، وأبو الأعور السلمي أمام الصفوف يحرض

-
- (١) وقعة صفين ص ٤٤٤: ما يرون.
(٢) وقعة صفين: خديبا مثل السحوق عتيقا.
(٣) وقعة صفين: فبداني حجل ببادرة.
(٤) وقعة صفين: فتلاقيته بعاليه الرمح.
(٥) كذا والوزن غير مستقيم: وفي وقعة صفين: أحمد الله ذا الجلالة والقدرة...
(٦) وقعة صفين: غير أنني أخاف أن تدخل النا* ر فلا تعصني وكن...
(٧) في وقعة صفين ص ٣٢٩: خمسة صفوف.

على القتال وهو يقول: يا أهل الشام! إياكم والفرار، فإنه سبة وعار، قدموا على أهل العراق، فإنهم أهل فتنة ونفاق، ثم جعل يقول:
إذا ما فررنا كان أسوأ فرارنا * صدود حدود وازوار المناكب
صدود الحدود والقنا متراكب * ولا يخرج العماء غير التضارب (١)
قال: فصاح (٢) أصحاب الصفوف الذين قيدوا أنفسهم بالعمائم: والله لا برحنا هذه العرصة أو يرضى معاوية. فتقدم سعيد بن قيس الهمداني في همدان، وتقدم عدي بن حاتم في طيء، وتقدم الأشتر في مذحج، وتقدم الأشعث في كندة، وجعل كل رئيس من رؤساء العراق يقدم قومه، حتى اجتمع منهم خلق كثير، ثم كبروا وحملوا على تلك الصفوف الأربعة، فقتلوا منها على زيادة ثلاثة آلاف فارس (٣) في بقعة واحدة، ثم حملوا على جمهور أصحاب معاوية حتى علوهم فألجؤوهم إلى تل فصعدوا عليه، وصعدت همدان في إثرهم خاصة فحذروهم من التل وأخذت السيوف هام الرجال.

قال: وجعل معاوية يمد أصحابه وعلي يمد أصحابه، فصار عمار بن ياسر يقول: صبرا عباد الله صبرا! فإن الجنة تحت ظلال السيوف والأسنة. قال: فجعلت كندة تقاتل لكندة، وطىء لطفى، ومذحج لمذحج، والأزد للأزد، وبجيلة لبجيلة، وهمدان لهمدان، وتميم لتميم، وكل قوم يقاتلون عشائريهم، فلم يزالوا على ذلك من وقت اعتدال الشمس إلى أن حانت المغرب، ما كانت الصلاة إلا بالتكبير.
قال: جعل هاشم المرقال يقول: ليعملن أمير المؤمنين بأني سألف اليوم من جماجم القوم لألفنهم لف رجل ينوي الآخرة إن شاء الله! وجعل يقاتل قتالا لم ير الناس مثله.

قال: وجعلت الزرقاء بنت عدي بن قيس (٤) الهمدانية تحرض قومها على

(١) البيتان لقيس بن الخطيم من قصيدة له في ديوانه ص ١٠. ورواية البيت في ديوانه:

صدود الحدود والقنا متشاجر * ولا تبرح الأقدام عند التضارب

(٢) بالأصل: فصاحوا.

(٣) وكانوا من الأزد وبجيلة.

(٤) عن العقد الفريد ١ / ٣٣٧ وبالأصل " بشر ". (صبح الأعشى ١ / ٢٥٢).

الحرب وهي تقول: أيها الناس! ارعوا وراجعوا (١) فإنكم قد أصبحتم في فتنة غشيتكم كجلابيب الظلم وجارت بكم عن قصد المحجة، فيا لها من فتنة عمياء صماء لا تسمع لراعيها (٢) ولا تنساق لقائدها، أيها الناس! إن المصباح لا يضيء في الشمس، والكوكب لا ينير مع القمر، والبغل لا يسبق الفرس، والزف لا يوزن بالحجر، ولا يقطع الحديد إلا بالحديد، ألا! فصبوا صبوا يا معاشر المهاجرين والأنصار وصبوا يا معاشر العرب على هذا الممضض (٣)! وإياكم والفرض! فكان قد اندمل شعب الشتات والتأمت كلمة الحق (٤) ودفع الحق بالباطل، ولا يجهلن أحد فيقول: كيف وأي؟ ليقضي الله أمرا كان مفعولا.

قال: فجعلت الزرقاء بنت عدي تقول مثل هذا إلى أن اختلط الظلام وجاء الليل فحجز بين الفريقين.

حديث الزرقاء بنت عدي الهمدانية مع معاوية

قال: فبينما معاوية بعد ذلك في مجلسه ذات يوم وقد صارت إليه الخلافة وعنده يومئذ عمرو بن العاص وسعيد بن العاص ومروان بن الحكم والوليد بن عقبة وعتبة بن أبي سفيان وغيرهم من بني أمية إذ ذكر الزرقاء بنت عدي الهمدانية وتحريضها عليه بصفين، فقال: أيكم يحفظ كلامها؟ فقال (٥) القوم: فينا من يحفظه يا أمير المؤمنين! قال: فأشيروا علي في أمرها ما الذي أصنع بها، فقال مروان: أما أنا فأشير عليك بقتلها، فإنها أهل لذلك، فقال معاوية: بئس الرأي أنت يا مروان! أيحسن بمثلي أن يتحدث عنه الناس أني قتلت امرأة! لا ولكني أبعث إليها فأدعوها وأسمع من كلامها الآن.

ثم كتب معاوية إلى عامله بالكوفة أن أوفد إلى الزرقاء بنت عدي الهمدانية مع ثقة من محرمها وعدة من فرسان قومها وامهد لها وطاء لينا واسترها بستر كثيف (٦)

(١) في العقد الفريد وصبح الأعشى: وراجعوا.

(٢) العقد والصبح: لناعقها.

(٣) العقد والصبح: الغصص.

(٤) صبح الأعشى: التقوى.

(٥) بالأصل: فقالوا.

(٦) العقد الفريد وصبح الأعشى: بستر خصيف. وكلاهما بمعنى غليظ.

ووسع لها في النفقة - والسلام - .
قال: فأرسل إليها عامل الكوفة فأقرأها الكتاب وأمرها بالرحيل، فقالت
الزرقاء: إن كان أمير المؤمنين قد جعل الخيار إلى فأنا (١) لا أحب المصير إليه، وإن
كان أمرا حتما فالطاعة أولى.

قال: فحملها عامل الكوفة في هودج من عصب اليمين مبطنا بالبياض، وفرش
لها اللين، وضم إليها جماعة من بني عمها وأمرهم بالمسير بها إلى الشام، ودخلت
على معاوية فقال: مرحبا مرحبا ورحبا وقربا! قدمت خير مقدم قدمة وافدا! كيف أنت
يا خالة؟ فقالت: بخير يا أمير المؤمنين! أدام الله لك النعمة. قال: فكيف كنت؟
قالت (٢): كنت كأني ربيت في بيت ممهد، فقال معاوية: بذلك أمرناهم، أتدرين
فيما ذا بعثت إليك؟ قالت الزرقاء: وأنى لي بعلم الغيب! فقال معاوية: أأست
الراكبة الجمل الأحمر الموافقة بين الصفيين في يوم كذا وكذا تحرضين (٣) على الحرب
وتقولين كيت وكيت؟ قالت: بلى، قد كان ذلك، قال معاوية، فما الذي حملك
على ذلك؟ قالت: حسبك يا أمير المؤمنين! فقد مات الرأس وبقي (٤) الذنب ولن
يعود ما ذهب، والدهور عجب ولا يعتب من عتب، ومن تفكر أبصر والزمان (٥) ذو
غير، والامر يحدث بعده الامر، فقال معاوية: لله أنت يا زرقاء فهل تحفظين كلامك
بصفيين؟ فقالت: لا والله ما أحفظه، وإنما كان ذلك تحريضا نطق به اللسان، فقال
معاوية: لكنني والله أحفظه عليك حتى ما يشذ على منه شيء، والله يا زرقاء! لقد
شاركت عليا في كل دم سفكه بصفيين، فقالت الزرقاء: أحسن الله بشارتك وأدام
سلامتك فمثلك بشر بخير، فقال معاوية: أو يسرك ذلك يا زرقاء؟ فقالت: نعم
والله لقد سرنني وأني لي بتصديق ذلك! ثم قال: والله يا زرقاء! إن وفاءكم لعلي بعد
موته لا عجب من محبتكم له في حياته، وقد جئنا بك يا زرقاء وجشمناك السفر
البعيد، ولكن اذكري حاجتك، فقالت الزرقاء: هيهات! إني لا أسأل رجلا عتب
علي شيئا أبدا، ومثلك أعطى من غير مسألة وجاد من غير طلب، قال معاوية:

-
- (١) العقد: فإني لا آتبه.
(٢) الصبح: قالت: ربيبة بيت أو طفلا ممهدا.
(٣) العقد والصبح: تحضين.
(٤) العقد والصبح: وبت.
(٥) العقد والصبح: والدهر.

صدقت يا زرقاء! وأنا عند ما ذكرت. ثم أمر لها معاوية ولمن معها بجوائز حسنة ومال كثير ورودها إلى الكوفة. ثم رجعنا إلى الخبر
قال: فلما أصبح (١) القوم وثب معاوية فعبى أصحابه ثم عقد الرايات، فكان يحض بها قريشا (٢) دون غيرهم، مثل عمرو بن العاص، وعبيد الله (٣) بن عمر بن الخطاب، وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد، وعتبة بن أبي سفيان، ومروان بن الحكم، وبسر بن (أبي) أرطاة، والضحاك بن قيس وأشباههم من الناس. قال: فغضبت اليمن من ذلك (٤)، ثم وثب رجل من كندة يقال له عبد الله بن الحارث حتى وقف بين يدي معاوية ثم قال: إني قد قلت أبياتا فاسمعها، فقال معاوية: هاتها يا أخوا السكون! فأنشأ الرجل يقول:

معاوي أحييت فيها الإحن * وأحدثت في الشام ما لم يكن
عقدت لعمرو وأشباهه (٥) * وما الناس حولك إلا اليمن
فلا تخلطن بنا غيرنا * كما شيب بالماء محض اللبن
وإلا فدعنا على حالنا * فإنا وآباءنا لم نهن (٦)
ستعلم إن جاش بحر العراق * وأبدى النواجذ منه إذن (٧)
ونادى علي بأصحابه * ونفسك إذ ذاك عند الذقن
بأنا شعارك دون الدثار * وأنا الرماح وأنا الجنن
أنتك الرجال من إمدادنا * تجود إليك الفلا من عدن
ومن سرو حمير قد أقبلوا * ومن حضرموت ومن ذي يزن
فدبوا إليك ديب الجراد * على صعبها والذلول المحن
فأمسوا بأرضك ما يطلبون * إليك الغداة سوى مرتهن

(١) بالأصل: أصبحوا. خطأ.

(٢) في وقعة صفين ص ٤٢٤: "مضر".

(٣) بالأصل: عبد الله خطأ.

(٤) زيد في وقعة صفين: وأرادوا يتأمر عليهم أحد إلا منهم.

(٥) وقعة صفين: ص ٤٢٥: عقدت لبسر وأصحابه.

(٦) وقعة صفين: وأنا وأنا إذا لم نهن.

(٧) وقعة صفين: في الفتن.

قال: فقال معاوية: والله يا معشر اليمن! ما خلطت بكم إلا ثقاتي، والذي لكم فهو لي. فرضيت اليمن بذلك وسكتوا.

وبلغ ذلك أهل العراق، فوثب المنذرين بن الجارود (١) العبدى إلى علي رضي الله عنه فقال: يا أمير المؤمنين! إننا لا نقول كما قال صاحب أهل الشام لمعاوية، ولكننا نقول زاد الله في هداك وسرورك، ووالله ما نظرت إلينا ساعة قط إلا بنور الله، قدمت رجالا وأخرت رجالا، فعليك أن تقول وعلينا أن نفعل، نت الأب ونحن البنون، فإن تهلك فهذان الحسن والحسين أئمتنا من بعدك حتى الممات - والسلام - . قال ثم أنشأ يقول:

أبا حسن أنت شمس النهار * وهذان في الداجيات (٢) القمر

وأنت وهذان حتى الممات * بمنزلة السمع بعد البصر

وأنتم أناس لكم سورة * بقصر عنها أكف البشر

يخبر بالناس عن فضلكم * وفضلكم اليوم فوق الخبر

عقدت لقوم ذوي نجدة * من أهل الحياء وأهل الخطر

مساميح في الحرب عند الوغاء * كرام وإخواننا من مضر (٣)

ومن حي ذي يمن عصابة (٤) يقيمون في الحادثات الصعر

فكل يسرك في قومه * فمن قال لا لا بفيه الحجر

ونحن الفوارس يوم الزبير * وطلحة إذ قيل أودى غدر

ضربناهم قبل نصف النهار * إلى الليل حتى أبدنا الوطر (٥)

فلم يأخذ الضرب إلا الرؤوس * ولم يأخذ الطعن إلا الثغر

فنحن أولئك في أمسنا * وكنا كذلك فيمن غبر

قال: فلم يبق أحد في ربيعة إلا أتحف صاحب هذا الشعر وأهدى إليه على قدر ما أمكنه.

(١) عن الإصابة، وبالأصل: " جابود " تحريف. وفي وقعة صفين ص ٤٢٥ قام الأعور الشني.

(٢) وقعى صفين: الحادثات.

(٣) البيت في وقعة صفين:

مساميح بالموت عند اللقاء * منا وإخواننا من مضر

(٤) وقعة صفين: جلة.

(٥) وقعة صفين: قضينا الوتر.

قال: ودنا القوم بعضهم من بعض، وخرج بسر بن (أبي) أرطاة الفهري وفي يده راية سوداء لمعاوية وهو يرتجز ويقول (١):
أكرم بنجد طيب الايمان * جاؤوا يكونوا ولي الرحمن
إني أتاني خبر أشجاني * إن عليا قتل ابن عثمان
خليفة الله على المثاني

قال: فخرج إليه سعد بن قيس الهمداني وهو يقول:
بؤسا لجند ضائعي الايمان * مستوسقين كاتساق الضان
تهوى إلى راعي لها وسان * أسلمهم بشر إلى الهوان
إلى سيوف لبني همذان

قال: والتقى بطعنتين طعنه الهمداني في صدره أثخنه منها، فولى بسر منهزما وولت خيله متطيرين، وخرج رجل من أصحاب معاوية أيضا يقال له الأدهم بن لام القضاعي وهو يقول شعرا، فخرج إليه حجر بن عدي الكندي (٢) وهو يرتجز ويقول شعرا يجاوبه، ثم حمل عليه حجر بن عدي فقتله، ثم نادى: هل من مبارز؟ فخرج إليه الحكم بن أزهد (٣) بن فهد وهو يقول شعرا، فخرج إليه حجر بن عدي وهو يجاوبه على شعره (٤)، قال: ثم حمل عليه حجر بن عدي فضربه ضربة فقتله، قال: فخرج إليه من بعده ابن عم له يقال له مالك بن مسهر القضاعي وهو يقول شعرا، قال: فخرج إليه حجر بن عدي وهو يجاوبه على شعره، ثم حمل عليه حجر بن عدي فقتله.

(١) الارجاز في وقعة صفين ص ٢٢٨ ونسبت إلى عمرو بن العاص. باختلاف يسير.
(٢) هو حجر بن عدي بن معاوية بن جبلة بن عدي بن ربيعة بن معاوية الأكرمين الكندي. وفد على النبي فأسلم، قتل سنة ٥١ أو ٥٣ (الإصابة)
(٣) الاخبار الطوال ص ١٧٥: أزهر:
(٤) ومما قاله:

أنا الغلام اليمني الكندي * قد لبس الديباج والافرندي
أنا الشريف الأريحي المهدي * يا حكم بن أزهر بن فهد
لقد أصبت غارتي وحدي * وكرتي وشدتي وجدي
أثبت أقاتلك الغداة وحدي

ثم خرج من بعده فارس من فرسان الشام يقال له عامر بن نوزة العامري على
فرس له حتى وقف بين الجمعين ما يبين منه شيء لكثرة ما عليه من السلاح وهو
يقول:

من ذا يبارز عامري الصابر * الماجد الطيب ثم الطاهر
في الذروة العليا رهط عامر * ليس بكذاب ولا بفاجر
في الذروة العليا رهط عامر * ليس بكذاب ولا بفاجر
قال: فهم حجر بن عدي بالخروج إليه فسبقه الأشتر وهو يقول:
وإفاك من طالبت يا عامر * فاثبت فأنت الفاجر الخاسر
وأنت لا شك من الكوافر * وجاحد أنت برب قادر

قال: فحمل عليه عامر والتقيا (١) للطعان، فطعنه الأشتر طعنة فتق بها درعه
ووصل السنان إلى خاصرته فجذله قتيلا. قال وخرج آخر من أهل الشام فما نطق
بحرف حتى شد عليه الأشتر فقتله، وخرج إليه آخر فقتله، حتى قتل جماعة.
قال: واشتد ذلك على معاوية، فأقبل على مروان بن الحكم فقال: ويحك يا
مروان! إن الأشتر قد غمني (٢) وأبلغ مني فأخرج إليه في هذه الخيل التي بين يديك
فقاتله، فقال مروان بن الحكم. ادع لها عمرو بن العاص فإنه شعارك ودثارك، فقال
معاوية وأنت (٣) روجي دون جسدي، فقال: لو كنت عندك كذلك لألحقتني به في
العتاء وألحقته بي في الحرمان، فقال: يا هذا! قنعني (٤) الله عنك، فقال مروان:
أما إلى اليوم فلا.

ثم أقبل معاوية على عمرو فقال: يا أبا عبد الله! أحب أن تخرج إلى الأشتر
في خيلك هذه التي معك، فقد غمني أمره في هذه اليوم، وقد قتل جماعة من فرسان
الشام، فقال عمرو: إذا أخرج إليه ولا أقول كما قال مروان، فقال معاوية: وكيف
تقول ذلك وقد قدمتك وأخرته وأدخلتك وأخرجته وأعطيتك وأحرمته! فقال عمرو:
ولا عليك يا معاوية! فوالله قدمتي كافيا وأدخلتني ناصرا (٥).

(١) بالأصل: التقوا خطأ.

(٢) عن وقعة صفين ص ٤٣٩ وبالأصل: "أغمني".

(٣) وقعة صفين: وأنت نفسي دون وريدي.

(٤) وقعة صفين: يغني الله عنك.

(٥) وقعة صفين: ناصحا.

قال: ثم خرج عمرو نحو الأشر في زهاء أربعمائة رجل من أبطال أهل الشام، قال: ونظرت مذحج إلى عمرو وقد خرج إلى الأشر في هذه الخيل، فصار إلى الأشر زهاء مائتي رجل من النخع وقبائل مذحج، وتقدم عمرو بن العاص أمام الخيل وهو يرتجز ويقول:

يا ليت شعري كيف لي بمالك * كم حالك قد حيه وحالك (١)

وفاتك قد قدته (٢٠) وفاتك * ونابل فتكته وباتك

وفارس طاح (٣) بوجه حالك * هذا وهذا عرضة المهالك

قال: فقصده الأشر وهو يقول:

يا ليت شعري كيف لي بعمرو * ذاك الذي أوجبت فيه نذري

ذاك الذي أطلبه بوتري * ذاك الذي فيه شفاء صدري

ذاك الذي إن ألقه لعمري * تغلي به عند اللقاء قدري

قال: وحملت الخيلان بعضها على بعض، وأفضى الأشر إلى عمرو ليطعنه،

فراوغه عمرو فلم تغن المراوغة شيئاً، فطعنه الأشر طعنة أراد بها بطنه ف وقعت الطعنة

في السرج، فكسر القربوص وانقطع الحزام واللبب، وانكسر الرمح في يد الأشر

وسقط عمرو على وجهه، فانهشم أنفه واندقت رباعيته، وجالت الخيل بين الأشر

وبين عمرو، فانفلت عمرو لما به. فقال له مروان: أبا عبد الله! ما شأنك؟ فقال

عمرو: قد ترى ما أنا فيه، فقال: لا عليك فإنك قد أخذت مصر بهذا وأشباهه.

قال: فغضب لعمرو غلام من حمير (٤)، ثم خرج نحو الأشر وهو يقول:

إن كان (٥) عمرو قد علاه الأشر * فذاك والله لعمري مفخر

يا عمرو يكفيك الطعان حمير * واليحصي بالطعان أمهر

دون اللواء اليوم موت أحمر * وأسمر فيه سنان أزهر

(١) وقعة صفين ص ٤٤٠: كم كاهل جتبه وحارك.

(٢) وقعة صفين: وفارس قتلته.

(٣) وقعة صفين: ومقدم آب.

(٤) في وقعة صفين: غلام من يحصب.

(٥) وقعة صفين: إن بك.

قال: فنظر إليه الأشتر فإذا هو غلام حدث، فاستحى أن يقدم عليه وتنحى وأقبل على ابنه إبراهيم وقال: يا بني! اخرج إلى هذا الفتى فإنه من أقرانك! قال: فخرج إليه إبراهيم بن الأشتر وهو يقول:

يا أيها السائل عني لا ترع * أثبت فإني من عرانيين النخع
لكي (١) ترى وطعن العراقي الجذع * أو أن تراني في الوغى كيف أقع (٢)
قال: وتطاردا جميعا، وشد عليه إبراهيم بن الأشتر فطعنه طعنة دق منها ظهره. واختلط الفريقان فاقتتلوا قتلا شديدا وكثر القتل في أهل الشام، واستحيوا أن يولوا الادبار، فلم يزل يصابر بعضهم بعضا إلى أن جاء الليل فحجز بين الفريقين. وانصرف (٣) أهل الشام يومهم ذلك حتى إذا أصبح (٤) القوم وثبوا فعبوا صفوفهم.

قال: فدعا معاوية برجل من سادات أهل الشام من بني عيس يقال له عقيل بن مالك، وكان من نساك أهل الشام، فقال معاوية: خبرني عنك، ما الذي يمنعك من قتال علي وأصحابه وأنت فارس أهل الشام؟ فقال: يمنعني والله من ذلك شك قد خامر قلبي يوم التقى عمرو بن العاص وعمار بن ياسر وذو الكلاع وأبو نوح، ثم أنشأ يقول:

أه بطعن القوم ثم يكفني * عن القوم جزل في الفؤاد دخيل
أخاف التي فيها الهلاك وإنني * عن الترك للحرب العوان ثقيل
أطعن عليا بالصواب مو كلا * وذاك الذي يقنى إليه يؤول
وليس بأهل للخطاء وإنني * لتلك التي تسمو بها لبخيل
وقلت لنفسي إذ خلوت ببثها * لك الخير قولني في البلا وأقول
فجاءت بما لا ينبغي فرددتها * وردي عليها ما علمت طويل
وقلت لها هاتي من الناس مثله * فجاشت وقالت إنهم لقليل

(١) وقعة صفين ص ٤٤١: كيف.

(٢) وقعة صفين: أظير في يوم الوغى ولا أقع.

(٣) بالأصل: انصرفوا.

(٤) الأصل: أصبحوا.

فقلت له هذا ومن علمت له * مطايا لها بالرقمتين ذميل
أعطى عليا ما يريد نبيه * وليس إلى هذا الجواب سبيل
وقالوا علي قد تناول حزمه * لها في صدور السامعين غليل
فقلت ألا لله در أبيكم * وللناس إلا سائل وسؤول
ألا أخبرونا والحوادث جمّة * أما كان للقوم الشهود عقول
أيرضي عليا أهل بدر وأنه * عليهم حراما إن ذا لجيل
فيا ليت شعري ما الذي أنا صائر * إليه إذا ما قيل مات عقيل
قال: ولم يلبث الرجل إلا قليلا حتى مات، فقال أهل الشام: إن معاوية قد
قتله.

قال: ودنا بعضهم من بعض وقد تعالي النهار، وكان أول من تقدم إلى الحرب
الأصبغ بن نباتة (١) وكان من خيار أصحاب علي رضي الله عنه، فتقدم وفي يده راية
صفراء وهو يقول:

حتى متى ترجو البقا يا أصبغ * إن الرجاء بالقنوط يدمغ
أما ترى أحداث دهر تنبغ * وهامة تحت العجاج تبلغ
فادبغ هواك والأديم يدبغ * والرفق فيما قد (٢) علمت أبلغ
اليوم شغل وغدا لا يفرغ * إن ساغ هذا فلذاك أسوغ
قال: ثم حمل فلم يزل يقاتل خضب الراية من دماء أهل الشام، وأزال
معاوية عن مكانة، ثم رجع إلى موقفه.

برز رجل من أصحاب معاوية يقال له عوف بن مجزأة المرادي حتى وقف بين
الجمعين وهو يرتجز ويقول:

بالشام عمرو ليس فيه خوف (٣) بالشام عدل ليس فيه حيف
بالشام جود ليس فيه سوف * أنا المرادي ورهطي رؤوف (٤)

(١) كان الأصبغ بن نباتة شيخا ناسكا عابدا، وكان من ذخائر علي وممن قد بايعه على الموت، وكان من
فرسان أهل العراق، وكان علي (رض) يرضن به على الحرب والقتال.

(٢) في وقعة صفين ص ٤٤٣: قد تريد أبلغ.

(٣) وقعة صفين ص ٤٥٠: بالشام عمرو ليس فيه خوف.

(٤) كذا ولعله " زوف " أبو قبيلة وهو زوف بن زاهر بن عامر بن عوثان.

أنا ابن مجزاء واسمي عوف * هل من عراقي عصاه سيف
قال: فخرج إليه رجل من أهل الكوفة يقال له الكعبر (١) بن جدير الأسدي وهو
يقول:

الشام محل والعراق تمطر * الشام فيها أموري مغور
إمام سوء وطلیق معذر * أنا العراقي واسمي كعبر (١)
ابن جدير وأبوه المنذر

قال: ثم حمل كعبر (١) على الشامي فقتله، والتفت فإذا هو بمعاوية على تل
عظيم قد وقف في نفر من أصحابه (٢)، ففنع كعبر (٣) فرسه وحمل نحو معاوية،
فقال

معاوية: هذا رجل مستأمن إلينا، لا شك في ذلك، حتى صار كعبر قريبا من معاوية،
حمل على خيله فجعل يطعن في أعراضها، ثم يحمل على معاوية لا يريد غيره،
وقام أهل الشام في وجهه بالسيوف والرماح فلم يقدر عليه، فقال كعبر: يا بن هند!
أنا الغلام الأسدي، ثم قنع فرسه ورجع إلى عسكره. فقال له علي: ويحك يا
كعبر! ما الذي أردت أن تصنع؟ فقال: رجوت والله يا أمير المؤمنين أن أظعن معاوية
طعنة أريح البلاد والعباد منه. قال: فتبسم علي رضي الله عنه ثم قال: لله درك يا
كعبر. قال: ثم أنشأ كعبر يقول في ذلك:

قتلت المرادي الذي جاء باغيا * ينادي وقد ثار العجاج نزال
يقول أنا عوف بن مجزأة الذي (٤) * لقي ابن مجزأة لضيغم أشبال
فقلت له لما علا القوم صوته * منيت بمشبووح الذراع طوال
فأوجرته في معظم النفع صعدة * ملأت بها رعبا قلوب رجال
وغادرته يكبو صريعا لوجهه * ينادي مرادي في مكر مجال
وقنعت مهري آخذًا جهد حربه * أضربه في حومة بشمالي (٥)
أريد به التل الذي فوق رأسه * معاوية الجاني لكل خبال

(١) في وقعة صفين: العبكر. و

(٢) انظر ما مر.

(٣) وقعة صفين: في أناس من قريش.

(٤) وقعة صفين ص ٤٥٢: والمعنى * لقاء ابن مجزأة بيوم فقال.

(٥) وقعة صفين: فقدمت... حد جريه * فأضربه.

مجددا ومهري يعرف الجري جامحا * بفارسه أو تاركا لضلال (١)
فلما رأوني أصدق الطعن فيهم * جلا عنهم رجم الغيوم (٢) فعالي
وقام رجال دونه بسيوفهم * وقام رجال دونه بعوالي
فلو نلته نلت التي ليس بعدها * من الامر شيء غير قيل وقال
ولو مت في نيل له ألف ميتة * لما قلت قد نالت ولست أبالي
قال: وأقبل عبد الرحمن بن خالد بن الوليد وفي يده رمح له في رأسه عذبة
سوداء وهو يرتجز ويوقل:
أنا ابن سيف الله ذاكم خالد * أضرب بكل (٣) مفصل وساعد
بالجهد لا بل فوق جهد الجاهد * ولست (٤) فيما نابني بالراقد
قال: فقصده جارية بن قدامة السعدي وهو يقول:
أثبت لصدر الرمح يا بن خالد * أتاك ليث مخدر كالجارد (٥)
من أسد خفان طويل الساعد * بنصر خير راعع وساجد
من حقه عندي كحق الوالد * ذاك علي كاشف الأوابد
ثم طعنه طعنة خرق درعه ووصل السنان إلى جسمه، فرجع إلى معاوية
مجروحا.
وخرج أبو الأعور السلمي نحو أصحاب علي وهو يرتجز ويقول:
اليوم يوم قبله ما قبله * إنني لحاذي كل حاذ بغله
باسط قبل الحذار رحله * ألا ولا أعدو قبولا فعله
قال: فقصيدة زياد بن كعب بن مرحب الهمداني وهو يقول:
يا أيها الشامسي رويدا إنني * أنصر شيخا غير ذي تلون
ليس ابن هند ما حييت معتني * إنني من الذين عن تيقن

(١) وقعة صفين: بفارسه قد بان كل ضلال.

(٢) وقعة صفين: الغيوب.

(٣) وقعة صفين ص ٣٩٥: كل قدم.

(٤) وقعة صفين: ما أنا.

(٥) وقعة صفين ص ٣٩٥: أثبت لليث ذي فلول حارد.

قال: ثم طعنه الهمذاني طعنة رده إلى معاوية جريحا.
قال: فصاح معاوية: يا أهل الشام! لا تقصدوا بحربكم غير همذان، فإنهم أعداء عثمان بن عفان. قال: فسمع ذلك سعيد بن قيس الهمذاني، فجمع بني عمه من همذان وحلفاءهم ومواليهم ثم حمل وحملوا معه على جمهور أصحاب معاوية، فقتلوا منهم مقتلة عظيمة، فأنشأ زياد بن كعب الهمذاني (١) يقول في ذلك. ألا يا بن هند قرت العين إذ رأيت * فوارس من همذان زيد بن مالك (٢) على صافنات (٣) للقاء عوابس * طوال الهوادي مشرفات الحوارك موقرة في الطعن في نقراتها * يجلن ويجلبن القنا بالسنايك (٤) رماك علي يا بن هند بجحفل (٥) * فلو لم يفته كنت أول هالك فكانت له في يومه عند ظنه * وفي كل يوم أسود (٦) اللون حالك وكانت بحمد الله في كل كربة * حصونا وعزا للرجال الصعالك ونحن خصبنا البيض من حي حمير (٣) * وكندة والحي الخفاف السكاسك وعك ولخم سائلين سياطهم * حذار العوالي كالإماء العوارك (٨) فقلنا حماة الشام لا در درهم * بسمر العوالي والسيوف البواتك يما تون قد ذاقوا الحمام وقد مضوا * على شر دين في جحيم المهالك قال: وجاء الليل فحجز بين الفريقين، فجعل أبو سماك الأسدي يجول في التقلى ومعه إداوة من ماء وشفرة قد وضعها في حجزته، فإذا وجد الرجل الجريح وبه رمق يقعه ويقول: من أمير المؤمنين؟ فإن قال: علي بن أبي طالب غسل عنه الدم وسقاه من مائه، وإن سكت وجأه بالشفرة أبدا حتى يموت.

(١) في وقعة صفين ص ٤٣٨ "حجر بن قحطان الوداعي" والوداعي نسبة إلى وادعة بطن من همذان (الاشتقاق ص ٢٥٣).

(٢) في وقعة صفين: ألا يا بن قيس... فوارس همذان بن زيد بن مالك.

(٣) وقعة صفين: علي عارفات.

(٤) وقعة صفين: يجلن ويحطن الحصى بالسنايك.

والموقرة: المصلية الممرنة.

(٥) وقعة صفين ص ٤٣٨: عباها علي لابن هند وخيله.

(٦) وقعة صفين: كاسف الشمس حالك.

(٧) وقعة صفين: ونحن حططنا السمر في حي حمير.

(٨) العوالي: أعالي الرماح. والعوارك: الحوائض.

قال: وأصبح (١) القوم وتعبوا للحرب، وكان علي رضي الله عنه لا يعدل بريعة أحدا من شدة محبته لهم، فشق ذلك على مضر، فأظهروا الفسح لمعاوية وأبدوا ما في أنفسهم لمعاوية، فأنشأ الحضيض بن المنذر الربيعي يقول في ذلك. رأت مضر صارت ربيعة دونها * شعار أمير المؤمنين وذا الفضل وأبدوا إلينا ما تجن صدورهم * علينا من البغضاء هذا له أصل فقلت لهم لما رأيتم رجالهم * عيونهم خزر كأن بهم ثقل (٢) إليكم إليكم لا أبا لأبيكم * فنحن لنا شكل وأنتم لكم شكل (٣) ونحن أناس خصنا الله بالتي * وأنا لها أهلا وأنتم لها أهل فأبلوا بلانا أو أقرؤا بفضلنا * ولن تلحقونا الدهر ما حنت الإبل

قال: فغضب مضر من قول الحضيض بن المنذر، فقام أبو الطفيل عامر بن وائلة الكناني (٤) في وجوه بني كنانة فسكنهم، وقام عمير بن عطار بن حاجب في وجوه بني تميم، وقام قبيصة بن جابر في وجوه بني أسد، وقام عبد الله بن الطفيل العامري في وجوه هوازن، فسكن كل رئيس من هؤلاء الرؤساء قومه أن لا يغضبوا فيكون بين ربيعة ومضر ما لا يحسن إذ كانوا إخوة وبني أعمام.

ثم تكلم أبو الطفيل الكناني فقل: يا أمير المؤمنين! إننا والله ما نحسد قوما خصهم الله بالخيرات إن أخذوه (٥) وشكروه، وإن هذا الحي من ربيعة قد ظنوا أنهم أولى بك منا وأنت لهم دوننا، فأعفهم من القتال أياما، واجعل لكل امرئ منا يوما نقاتل فيه، فإننا إذا اجتمعنا في الحرب اشتبه عليك بلاؤنا في القتال (٦).

قال: فتقدم أبو الطفيل عامر بن وائلة في قومه من بني كنانة، فقاتلوا وطاعنوا فأحسنوا الطعان والضراب، وجعل أبو الطفيل يرتجز ويقول:

(١) بالأصل: وأصبحوا.

(٢) في وقعة صفين ص ٣٠٩: بدت بهم قطو كأن بهم ثقل.

(٣) وقعة صفين: فإن لكم شكلا وإن لنا شكلا.

(٤) هو عامر بن وائلة بن عبد الله بن عمرو بن جحش الليثي، رأى الرسول (ص) وكان مولده يوم أحد، وعمر إلى أن مات سنة عشر ومائة، وهو آخر من مات من الصحابة. (الإصابة).

(٥) وقعة صفين ص ٣٠٩: أحمدوه.

(٦) زيد في وقعة صفين ص ٣٠٩: فقال علي: ما طلبتم يوم الأربعاء، وأمر ربيعة أن تكف عن القتال، وكانت بإزاء اليمن من صفوف أهل الشام.

قد صابرت في حربها كنانه * والله يجزيها بها جنانه
من أفرغ الصبر عليه زانه * أو غلب الشر (٢) عليه شانه
أو كفر الله فقد أهانه * غدا يعرض من ندم بنانه

قال: فقاتلوا قتالا شديدا حتى أنكوا في أهل الشام يومهم ذاك إلى الليل، إلى
أن أقبل أبو الطفي إلى لي رحمة الله عليه فقال: يا أمير المؤمنين! إنك قد أخبرتنا
من قومنا، فقتلنا شهيد وحقنا (٣) تأثر، فاطلب بمن بقي بثأر من مضى، فإننا وإن كنا
قد ذهب صفونا وبقي كدرنا فإن لنا دينا لا يميل به الهوى، قال: وأثنى عليه خيرا
وجزاه وقومه خيرا.

فلما كان من الغد تقدم عمير بن عطار التميمي في قومه من بني تميم وجعل
يقول: يا بني تميم! إنني أتبع في آثار أبي الطفيل فاتبعوا أنتم آثار بني كنانة! ثم
تقدم برأيته وجعل يرتجز ويقول:

قد صابرت في حربها تميم * إن تميما حقها (٤) عظيم
لها حديث ولها قديم * إن الكريم نسله كريم
ثم حمل مع قومه فطعن برأيته حتى خضبها، وقاتل أصحابه قتالا شديدا حتى
أمسوا.

وأقبل عمير إلى علي فقال: يا أمير المؤمنين! إنه قد كان ظني بقومي حسنا وقد
رأيت منهم فوق ظني بهم، قاتلوا على كل جهة وبلغوا الجهد في عدوهم، فقال له
علي رضي الله عنه: صدقت قد كان ذلك، ثم أثنى عليه وعلى قومه خيرا.
فلما كان من الغد قبضة بن جابر في قومه من بني أسد، ثم قال: يا بني
أسد! أما أنا فلا أقصر عن فعل صاحبي، وأما أنتم فذلك إليكم، ثم تقدم برأيته
فخضبها من دم أهل الشام وجعل يرتجز ويقول:

-
- (١) وقعة صفين: الجبن.
(٢) وقعة صفين: أشرف.
(٣) وقعة صفين: وحيناً.
(٤) وقعة صفين ص ٣١٠: خطبها.

قد حافظت في حربها بنو أسد * ما مثلها تحت العجاج من أحد
أقرب من يمن وأنأى من نكد * كيما يبارز لي ثبيراً واحد (١)
لسنا بأنكاس ولا بيض البلد (٢) * لكننا أمجد من حي معد (٣)
كنت ترانا في العجاج كالأسد * يا ليت روعي قد أبانت (٤) عن جسد
قال: فقاتل القوم قتالاً شديداً حتى أمسوا.

ثم أقبل قبصة إلى علي رضي الله عنه فقال: يا أمير المؤمنين! إن استهانة
النفوس في الحرب أبقى لها في الدنيا، والقتل خير لها في الآخرة. فلما كان من
الغد خرج عبد الله بن الطفيل العامري في قومه من هوازن، فقاتلوا قتالاً حسناً حتى
ضج أهل الشام من طعانهم وضرابهم، وجعل عبد الله بن الطفيل يرتجز ويقول:
قد صابرت (٥) في حربها هوازن * أولاك قوم لهم محاسن
قوم لهم صبر (٦) وجاش ساكن * طعن مداريك وضرب واهن
هذا وهذا كل يوم كائن
قال: واشتد القتال بينهم إلى الليل.

ثم أقبل عبد الله بن الطفيل إلى علي فقال: كيف رأيت فعلنا في عدونا يا أمير
المؤمنين! والله! لقد استكروهوني على الانصراف فاستكروهم على الرجعة، قال:
فأعجب علياً ذلك منه وأثنى عليه وعلى قومه خيراً، فأنشأ أبو الطفيل يقول:
تحامت كنانة في حربها * وحامت تميم وحامت أسد
وحامت هوازن من بعدها * فما حام منا ومنهم أحد
لقينا الفوارس يوم الخمي * - س والعيد والسبت قبل الاحد
وأمدادهم خلف أذناهم * وليس لنا من سوانا مدد

(١) وقعة صفين ص ٣١١: كأننا ركنا ثبيراً أو أحد.

(٢) وقعة صفين: "لسنا بأوباش" وبيضة البلد مثل في الذلة والقلّة، وهي بيضة النعام التي يتركها.

(٣) وقعة صفين: لكننا المحّة من ولد معد.

(٤) وقعة صفين: نأى.

(٥) وقعة صفين ص ٣١٢: قد ضابرت.

(٦) وقعة صفين: حبي لهم حزم.

لقينا قبائل أنسابهم * إلى حضرموت وأهل الجند (١)
فلما تنادوا بأبائهم * دعونا معدا ونعم المعد
فظلنا نفلق هاماتهم * ولم نك فيها ببيض البلد
ونعم الفوارس يوم الوغى (٢) * فقل من عديد وقل في عدد
وقل في طعان كفرغ الدلاء * وضرب عظيم كنار الوقود
ولكن عصفتنا بهم عصفة * وفي الحرب (٣) بشر وفيها نكد
طحنا الفوارس يوم العجاج * وسقنا الأراذل (٤) سوق النقد
وقلنا علي لنا والد * ونحن له في ولاية الولد
قال: فاشتد هذا الشعر على معاوية وغمه شديدا، ثم إنه جلس ذات يوم
وذلك بعد صفين وعنده يومئذ عمرو بن العاص وسعيد بن العاص ومروان بن الحكم
فذكروا هذه القصيدة، فم منهم أحدا إلا وشم أبا الطفيل أقبح الشتيمة، وبلغ ذلك
أبا الطفيل فأنشأ يقول:

أيشتمني عمرو ومروان ضلة * لرأي (٥) ابن هند والشقي سعيد
وحول ابن هند شائعون كأنهم * إذا ما استقاموا في الحديث قرو
يعضون من غيظ علي أكفهم * وذلك غم لا أحب شديد
وما سبني إلا ابن هند وإنني * بتلك التي يشجى بها لرصود
كما بلغت أيام صفين نفسه * تراقبه والشامتون شهود
فلم يمنعوه والرماح تنوشه * وطاعتهم رحب البنان عنود
وطارت لعمرو في الفجاج (٦) شظية * ومروان من وقع السيوف بعيد
وما لسعيد همة غير نفسه * وكل التي يخشونها ستعود
فتخطوهم والحرب خطأ كأنهم * حمام وبازي في الهوى وصيود

(١) الجند: بالتحريك، قسم من أقسام اليمن، وهي من أرض السكاسك بينها وبين صنعاء ثمانية وخمسون فرسخا.

(٢) وقعة صفين ص ٣١٢: يوم اللقاء.

(٣) وقعة صفين: اليمن.

(٤) وقعة صفين: الزعانف.

(٥) وقعة صفين لابن مزاحم: بحكم.

(٦) عن وقعة صفين ص ٣١٣، وبالأصل: العجاجة.

ثم رجعنا إلى الخبر
قال: فلما كان من غد وثب معاوية ليعبي أصحابه كما كان يعيبيهم من قبل،
فرأى فيهم ثقلا عن الحرب لما قد عضهم من السلاح، فقال: يا أهل الشام! إنه
قد قربكم لقاء القوم من الفتح ولا عليكم، فإنكم إنما لقيتكم كتائب أهل العراق وقد
قتل منكم ومنهم، وما لكم علي من حجة عتقت نفسي لصاحبهم فلا تعجلوا،
قال: ثم أنشأ يقول:

لعمري لقد أنصفت والنصف عادة * وعاین طعنا في العجاج المعائن
ولولا رجائي أن تبوءوا بنهزة * وأن تغسلوا عارا وعته الكنائن
لناديت في الهيجا رجالا سواكم * ولكننا تحمي الملوك البطائن
أتدرون من لا قيم قل جيشكم * ويفصل ما بين الرجال التباين (١)
لقيتم صناديد العراق ومن بهم * إذا ضاعت الاطعان يحمي الطعائن (٢)
وما منكم من فارس دون فارس * ولكنه ما قدر الله كائن
قال: فقال (٣) القوم: لقد صدق معاوية، والله لقد لقينا أسودا وأفاعي! قال:
ثم خفوا للحرب.

وعبي علي أصحابه كما كان يعيبيهم في كل يوم، ثم خرج منقطعا من أصحابه
حتى وقف على تل هناك وجعل يرتجز ويقول:
أنا علي فاسألوا بي تخبروا * ثم ابرزوا لي في الوغى وادبروا
سيفي حسان وسناني يزهر * منا النبي الطاهر المطهر
وحمزة الخير ومنا جعفر (٤) * له جناح في الجنان أخضر
وفاطم عرسي وفيها مفخر * هذا لهذا وابن هند محجر
مذبذب مطرد مؤخر
قال: فسمع معاوية كلام علي رضي الله عنه فقال: والله! لقد دعاني إلى

(١) وقعة صفين ص ٤٣٣: لقيتم جيوشا أصحرتها العرائن.

(٢) وقعة صفين ص ٤٣٣: إذا جاشت الهيجاء تحمي الطعائن.

(٣) الأصل: فقالوا: خطأ.

(٤) يريد جعفر بن أبي طالب، أخو علي وكان أسن منه بعشر سنين، قتل يوم مؤتة سنة ٨ هـ (الإصابة).

النزال حتى لقد استحيت من قريش (١)، قال: فقال له أخوه عتبة: اله عن كلام علي حتى كأنك لم تسمعه، فإنك تعلم أنه قد قتل غلامك حريثا وفضح عمرو بن العاص وليس أحد من العرب يقدم على مبارزة علي رضي الله عنه إلا وهو من نفسه آيس، فإياك ومبارزته! فإنه والله لئن برزت إليه لا شممت رائحة الحياة بعدها أبدا. قال: وجعل (٢) أهل الشام يهون معاوية عن مبارزة علي، فقام أبرهة بن الصباح الحميري فقال: يا هؤلاء! أظن أن الله تبارك وتعالى قد أذن في هلاككم، ويحكم! خلوا بين الرجلين فليقتلا، فأيهما (٣) قتل صاحبه ملنا معه جمعيا. فبلغ قوله عليا رضي الله عنه فقال: صدق أبرهة، والله ما سمعت بخطبة مذ وردت الشام أنا بها أشد سرورا مني بهذه الخطبة! قال: فقال معاوية لأصحابه: نحو هذا واجعلوه في آخر الصفوف، فإني أظنه مصابا في عقله، فقالت أهل الشام: لا والله يا معاوية! ما أبرهة بالمصاب في عقله وإنه لأكملنا عقلا ورأيا ودينا وفهما، ولكنك كاره في مبارزة علي. قال: فجعل معاوية وعمرو بن العاص ومروان بن الحكم يشتمون أبرهة بن الصباح ويلومونه على ما قال، فأنشأ أبرهة في ذلك يقول:

وقال أبرهة الصباح قولاً * فخالفه معاوية بن حرب
لأن الحق أوضح من غرور * وأن الحق يدفع كل حرب (٤)
فكم بين المنادى من بعيد * ومن يغشى الحروب بكل غضب
ومن يبغي اللقاء ومن يلاقي * باسماح الطعان ولفح ضرب (٥)
أيشتمني معاوية بن حرب * وما شتمي له سخط بربي
وعمرو إن يفارقه بقول * لأن ذراعه بالعدر رحب
وإني إن أفارقهم بديني * لفي سعة إلى شرق وغرب
قال: فأرسل معاوية إلى أبرهة بن الصباح فترضاه ببر بعثه إليه، فرضي.

- (١) زيد في وقعة صفين: وإني والله لا أبرز إليه، ما جعل العسكر بين يدي الرئيس إلا وقايه له.
(٢) بالأصل: وجعلوا خطأ.
(٣) عن وقعة صفين ص ٤٥٧ وبالأصل: فليقتلوا، فأيهم.
(٤) في وقعة صفين ص ٤٥٧.
لأن الحق أوضح من غرور * ملبسة غرائضه بحقب
فخلوا عنهما ليثي عراق * فإن الحق يدفع كل كذب
(٥) في وقعة صفين: ومن يرد البقاء... * ... وصفح ضرب.

قال: وأقبل بسر بن (أبي) أرطاة على غلام له يقال له لاحق فقال له: ويحك يا لاحق! إني أرى معاوية قد كاع عن مبارزة علي وقد عزمت أنا على مبارزته فلعلي أقتله فأذهب بشهرته في العرب إلى آخر الدهر، فما الذي عندك من الرأي؟ فقال له لاحق: عندي من الرأي أنك إن كنت واثقا بنفسك وإلا فلا تبرز إليه، فإنه والله لأسد الأسود الشجاع المطرق، ثم أنشأ الغلام يقول (١):

فأنت له يا بسر إن كنت مثله * وإلا فإن الليث للضبع أكل
فإنك يا بسر بن أرطاة جاهل * بآثاره في الحرب أو متجاهل
معاوية الوالي وعقبة بعده * وسيف أبي سفيان للقرن نأكل
أولئك أولى منك يا بسر إنه * علي فلا تقربه أمك هائل
متى تلقه فالموت في رأس رمحه * وفي نفسه شغل لنفسك شاغل
وما بعده في آخر الليل عاطف (٢) * ولا قبله في أول الخيل حامل
قال: فقال بسر لغلامه: ويحكم يا لاحق! وهل هو إلا الموت، والله لا بد من لقاء الله على أي الأحوال كان ذلك في موت أو قتل.

قال: ثم خرج بسر بن أرطاة إلى علي وهو ساكت لا ينطق بشيء خوفًا من أن عرفه علي إذ هو تكلم. قال: ونظر إليه علي، فحمل عليه فسقط بسر على قفاه ورفع رجليه فانكشفت عورته، وصرف علي وجهه عنه، ووثب بسر قائمًا وسقطت البيضة عن رأسه، فصاحت أصحابه: يا أمير المؤمنين! انه بسر بن (أبي) أرطاة، فقال علي رضي الله عنه: دعوه فقد كان معاوية أولى بهذا الامر من بسر.

قال: فضحك معاوية من بسر ثم قال: لا عليك يا بسر! ارفع طرفك ولا تستحي، فقد نزل بعمره مثل الذي نزل بك. قال: فصاح رجل من أهل الكوفة: ويلكم يا أهل الشام! أما تستحون؟ لقد علمكم عمرو بن العاص في الحروب كشف السوءات، ثم إنه أنشأ وجعل يقول (٣):

في وقعة صفين ص ٤٦٠ الغلام هو ابن عم لبسر جاء من الحجاز يخطب ابنته، ويفهم من رواية ابن مزاحم أن هذا الغلام حاول اقناع بسر بعدم مبارزة علي (رض). وذكر الأبيات باختلاف في بعض الالفاظ.

(٢) عاطف: أراد به الذي يحمي المنهزمين (راجع اللسان مادة عطف).

(٣) نسبت الأبيات عند ابن مزاحم إلى النضر بن الحارث.

أفي كل يوم فارس ذو كريهة (١) * له عورة وسط العجالة باديه
يكف لها عنه علي سنانه * ويضحك منها في الخلاء معاوية
بدت أمس من عمرو فنكس رأسه * وعورة بسر مثلها حذور حاذيه
فقولاً لعمرو وابن أرطاة أبصرا * سبيلكما لا تلقيا الليث ثانيه
فلا تحمدا إلا الخنا وخصاكما * هما كانتا والله للنفس واقيه
فلولاهما لم تنجوا م سنانه * وتلك بما فيها من العود ناهيه
قال، فكان بسر بن (أبي) أرطاة مرة يضحك من عمرو، ثم صار عمرو
يضحك منه. وكان بسر بعد ذلك إذا لقي الخيل التي فيها علي تنحى ناحية.
قال: وتحامى أهل الشام علياً وخافوه خوفاً شديداً، ونظر لاحق غلام بسر إلى
ما نزل ببسر، فكأنه أحب أن يكون له ذكر في أهل الشام، فخرج على فرس له
وجعل يجول في ميدان الحرب وهو يقول:
قل لعلي قوله ونافره * أرديت شيخاً غاب عنه ناصره
أرديت بسراً والغلام ثأره * وكلما أتى فليس ياسره
قال: فحمل عليه الأشتر وهو يقول:
في كل يوم رجل شيخ بادرة * وعورة وسط العجاج ظاهره
أبرزها طعنة كف آثره * عمرو وبسر رميا بالفاقره (٢)
قال: ثم طعنه الأشتر طعنة كسر منها صلبه، فسقط عن فرسه واضطرب ساعة
ومات.

وحمل الأشتر والأشعث بن قيس وعدي بن حاتم وسعيد بن قيس وعمرو بن
الحمق وسليمان بن سرد وجارية بن قدامة (٣) في قريب من ألف رجل من أهل
الحجاز والعراق على أهل الشام، فقلعوهم عن مواضعهم حتى ألحقوهم بسوادهم،
وقتل منهم بشر كثير، ثم انصرفوا عنهم وقد أمسوا، فحجز الليل بين الفريقين.
قال: وأرسل معاوية إلى كل قرشي في عسكره فدعاهم في جوف الليل ثم

(١) في وقعة صفين: تندبونه.

(٢) الفاقرة: الداوية تكسر فقار الظهر.

(٣) بالأصل: حارثة بن مقدم، خطأ، وقد مر.

قال: العجب منكم يا معشر قريش! إنه ليس لاحد منكم في هذه الحروب مقال (١) يطول به لسانه غدا على الناس فيقول: فعلت في يوم صفين كذا وكذا. قال فقال الوليد بن عقبة: ولا أنا يا معاوية؟ فقال: ولا أنت والله يا وليد ولا غيرك من قريش الشام! وما رأيت أحدا منكم خرج إلى حرب القوم إلا رجع مفضوحا، فشوها لي ولكم! أبهذا يؤخذ الامر من مثل علي وأصحابه؟ والله لقد وقوا عليا بأنفسهم ووقاهم علي بنفسه (٢).

قال: فقال له مروان: إنك قد تكلمت فاسمع الجواب، قال معاوية: هات حتى أسمع! فقال مروان: إننا إن فآخرناهم فالفخر فيهم التقوى، وإن كان في الجاهلية فالملك لليمن، وإن كانت لقريش فإن العرب قد أقرت بالفخر لبني عبد المطلب وعلي من بني عبد المطلب، فيما ذا تفاخره؟ فقال معاوية: إنني لم أمركم بمفاخرته وإنني أمرتكم بمثاقفته، قال: فسكت مروان. فتكلم عتبة بن أبي سفيان فقال: أما أنا فإنني أخرج إلى جعدة بن هبيرة (٣)، فقال مروان: بخ بخ! جعدة رجل من بني مخزوم، أبو ه هبيرة بن أبي وهب المخزومي وأمه هانئ بنت أبي طالب، ولكن خبرني عنك إذا أنت لقيت جعدة بن هبيرة فماذا أنت صانع؟ فقال عتبة: ألقاه بالكلام وأقاتله بالحسام، قال: فسكت مروان.

وأصبح (٤) الناس، فأرسل عتبة إلى جعدة فدعاه حتى واقفه، واجتمع الناس لكلامهما (٥)، فقال عتبة: يا جعدة! إنني قد علمت أنه ما أخرجك علينا إلا حب علي بن أبي طالب، وإننا والله ما نزع من أن معاوية أحق بالخلافة من علي لولا أمره في عثمان، ولكن معاوية أحق بالشام لرضا أهلها به، فاسأل خالك أن يعفو لنا عنها، فوالله ما بالشام رجل به طرف (٦) إلا وهو أجد في حربكم من معاوية ولا بالعراق والحجاز من له مثل جد علي، وما أقبح بعلي أن يكون ملك نفسه وهو أولى الناس

(١) في وقعة صفين ص ٤٦٢: فعال.

(٢) العبارة في وقعة صفين: فقال الوليد: كلا بل وقاهم علي بنفسه.

(٣) وهو ابن أخت علي (رض)، أمه أم هانئ بنت أبي طالب، وأبوه هبيرة بن أبي وهب المخزومي. وكان لجعدة في قريش شرف عظيم، وكان له لسان، وكان من أحب الناس إلى علي.

(٤) بالأصل: وأصبحوا خطأ.

(٥) بالأصل: واجتمعوا الناس لكلامهم خطأ.

(٦) كذا بالأصل، والصواب بالقاف. وطرق: بالكسر القوة.

بالناس. حتى إذا أصاب سلطانا أفنى العرب.
قال: فقال جعدة: أما حبي لخالي فوالله إنه لو كان كل (١) خال مثله لنسيت أباك، وأما فضل علي علي معاوية، فهذا شيء لا يختلف فيه مؤمن، وأما رضاكم اليوم بالشام، فقد رضيتم بها أمس (ولم نقبل)، وأما جد أهل الشام في حربنا وجد أهل الحجاز والعراق مع علي، فإن عليا مضى به يقينه وقصر معاوية شكه، وقصد أهل الحق خير من جد أهل الباطل، وأما قولكم إن عليا أطوع لنا من معاوية لكم، فوالله ما نسأله إن سكت ولا نرد عليه إن قال! لأنه ليس في عسكرنا أحد إلا وعلي أفضل منه، وفي عسكركم من هو أفضل من معاوية، وأما قتل العرب فإن الله تعالى قد كتب القتل والقتال، فمن قتله الحق فإلى الله والجنة، ومن قتله الباطل فإلى النار.

قال: فغضب عتبة بن أبي سفيان وعبس علي جعدة وشتمه، ثم صاح بأهل الشام، وصاح جعدة بأهل العراق، وحمل (٢) الفريقان بعضهم على بعض فاقتتلوا قتالا شديدا، وأسلم عتبة خيله وانهزم هزيمة قبيحة والسيوف في قفاه، وتبعه أصحابه حتى صاروا إلى معاوية. فقال معاوية: يا عتبة! إننا لا نغسل من هذه الفضيحة رؤوسنا أبدا، كلمت جعدة فأربنى عليك في الكلام، وقاتلته فقاتلك وفضحك، فقال عتبة: صدقت، ولست أعود إلى مثلها أبدا، فوالله لقد قاتلت وأعدرت وما كان لي على أصحابي في الحرب من عتب، ولكن أبي الله إلا ما أراد. قال: فحظي جعدة عند علي بذلك، وأنشأ النجاشي يقول:

إن شتم الكريم يا عتب خطب (٣) * فاعلمنه من الخطوب عظيم
أمه أم هانئ وأبوه * من لؤي بن غالب فالصميم (٤)
ذاك منها هبيرة بن أبي وه * - ب أقرت بفضله مخزوم
كان في حربكم يعد بألف * حين تلقى بها القروم القروم
وابنه جعدة الخليفة منه * هكذا يخلف الفروع الأروم

(١) في وقعة صفين ص ٤٦٤: لك.

(٢) بالأصل: وحملوا.

(٣) يشير إلى شتم عتبة لجعدة قبل القتال، وفحشه في ذلك.

(٤) في وقعة صفين ص ٤٦٥: من معد ومن لؤي صميم.

كل شيء تريده فهو فيه * حسب ثاقب ودين قويم
 وخطيب إذا تمعرت الاوج * - ه يشجى به الألد الخصيم
 وشكيم الحروب قد علم النا * س إذا حام (٢) في الحروب الشكيم
 وصحيح الأديم (٣) من كل عيب * (و) إذا كان لا يصح الأديم
 خاطب للعظيم في طلب اللحم * - د إذا أعظم الصغير اللئيم
 كل هذا بحمد ربك فيه * وسوى ذاك ساد (٤) وهو فطيم
 قال: وشمت مروان بن الحكم بعتبة بن أبي سفيان، وكذلك الوليد بن عقبة
 وغيرهم من قريش الشام وعيروه بهزيمته وفضيحته حتى قيل فيه هذه الأبيات (٥):
 ما زلت تنظر في عطفك من جهل * لا يرفع الطرف منك التيه والترف (٦)
 لا تحسب الناس إلا فقع قرقرة * وقد علاك بها التكثار والصلف (٧)
 حتى لقيت بلا شك جحاجة * حاموا على الدين والدنيا فما وقفوا
 أشجاك جعدة خيلا غير راجعة * إلا وسمر العوالي منكم جيف
 قد عاهدوا الله لن يثنوا أعتتها * عند الطعان ولا في قولهم خلف
 لما رأيتهم صباحا حسبتهم * أسد العرين حمى أشبالها الغرف (٨)
 ناديت خيلك إذ غض الثقاف بهم (٩): * خيلي إلي فما عاجوا ولا عطفوا
 هلا عطفت على قتلى مصرعة * منها السكون ومنها الأزد والصدف

-
- (١) وقعة صفين: الحبي.
 (٢) في وقعة صفين: حل.
 (٣) وقعة صفين: من نغل العيب.
 (٤) وقعة صفين: كان.
 (٥) في وقعة صفين ص ٤٦٥ وقال الشني في ذلك لعتبة: وذكرت الأبيات.
 (٦) وقعة صفين: والصلف.
 (٧) وقعة صفين: لا تحسب الناس... * أو شحمة بزها شاو لها نطف.
 والايات الثلاثة التالية باختلاف انظر وقعة صفين ص ٤٦٦.
 (٨) بالأصل: العرف تحريف. والغرف جمع غريف، وهو الشجر الملتف.
 (٩) بالأصل: النقاب تحريف. والثقاف خشبة تسوى بها الرماح والقسي بها خرق يتسع لهما، ثم يغمز
 منهما حيث ينبغي أن يغمز وهما مدهونان مملونان أو مصهوبان على النار. والمراد هنا بعض الثقاف
 بهم: أي دخولهم في مأزق الحرب.

قد كنت في منظر عن ذا ومستمع * يا عتب لولا سفاه الرأي والسرف
فاليوم يقرع منك السن من ندم * ما للمبارز إلا العجز والكسف
قال: وأصبح (١) القوم فعبى علي أصحابه وتقدمت الأنصار بين يديه براياتها
وأعلامها، فقال معاوية: من هؤلاء الذين خرجوا في هذه التعبئة؟ فقيل له: هؤلاء
الأنصار. قال فدعا معاوية بالنعمان بن بشير ومسلمة بن مخلد - ولم يكن معه من
الأنصار غيرهما (٢) - فقال لهما: يا هذان! ماذا لقيت من قومكما الأوس والخزرج قد
وضعوا سيوفهم على عواتقهم وأقبلوا يدعون الناس إلى البراز! حتى إني والله ما أسأل
عن فارس من فرسان الشام إلا قيل: قتله فلان الأنصاري، ألا ترجعون إلى أكل
التمر والطفيشل (٣) ويتركون الحروب لأهلها. قال: فغضب النعمان بن بشير من
ذلك ثم قال: يا معاوية! لا تلم الأنصار على إسرعهم إلى الحرب، فإنهم هكذا
كانوا في الجاهلية، وأما دعاؤهم الناس إلى النزال، فقد رأيتهم مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم

ورأيت بلاءهم بين يديه، وأما التمر فإنه كان لنا، فلما ذقتموه غلبتمونا عليه
وشاركتمونا فيه، وأما الطفيشل فإنه كان لليهود، فلما ذقناه غلبناهم عليه.
قال: وبلغ ذلك قيس بن سعد بن عبادة، فقال: يا معشر الأنصار! إن ابن
أكلة الأكباد قال كذا وكذا، وقد أجاب عنكم صاحبكم النعمان بن بشير، ولعمري
لئن وترتموه في الاسلام فقد وترتموه في الجاهلية، وأنتم اليوم مع ذلك اللواء الذي
كان جبريل عليه السلام عن يمينه وميكائيل عن يساره، اليوم تقاتلون مع لواء أبي
جهل بن هشام ولواء الأحزاب.

قال: فقالت الأنصار: يا بن سيد الخزرج! مرنا بأمرك فما نحن بين يديك.
قال: وكتب قيس بن سعد إلى معاوية.

يا بن هند دع التوثب في الحر * ب إذا نحن في الحروب ثونا (٤)
نحن منك الغداة أقرب من أمس * س وقد قرب القنا عسكرينا

(١) بالأصل: وأصبحوا

(٢) بالأصل: غيرهم، فقال لهم: خطأ.

(٣) الطفيشل ويقال طفيشل فارسي معرب ضرب من اللحم يعالج بالبيض والجرز والعسل، وفي
القاموس: نوع من المرق.

(٤) وقعة صفين ص ٤٤٧ إذا نحن في البلاد نأينا.

نحن من قد رأيت فادن إذا شئ * - ت بمن شئت في الحروب (١) إلينا
 إن برزنا في الجمع نلقتك في الجم * - ع وندعو في حربنا أبوينا (٢)
 أي هذين شئته فخذنه * ليس منا وليس منك الهويينا
 ثم لا تبرح العجاجة حتى * ينجلي حربنا لنا أم علينا
 ليت ما تطلب الغداة أتانا * أنعم الله بالشهادة عينا
 إننا إننا الذين لك بالفت * - ح شهدنا وخيبرنا وحنينا
 بعد بدر وتلك قاصمة الظه * - ر وأحد وبالنضير ثينا
 يوم كان (٣) الأحزاب قد علم لنا * س شفيينا من قبلكم واشتفيينا
 قال: فلما انتهى هذا الشعر إلى معاوية أرسل إلى وجوه الأنصار الذين هم مع
 علي بن أبي طالب فشكا إليهم من قيس بن سعد. قال: فمشت الأنصار إلى قيس
 منهم البراء بن عازب وزيد بن أرقم وعبد الرحمن بن أبي ليلى وخزيمة بن ثابت
 والحجاج بن (عمرو) غزية وجماعة من الأنصار (٤)، فقالوا: يا هذا! إن معاوية
 وإن كان عدوا لنا فإنه لا يريد شتمنا فكف عنه ولا تذكره! فقال ليس (٥): كلا! إني
 لا أمسك عن شتمه أبدا حتى ألقى الله.

وتحركت الخيل من نحو معاوية، فظن قيس بن سعد أن معاوية فيها، فاستوى
 على فرسه وحمل على خيل معاوية حتى خالطها، ثم حمل على رجل منهم فقنعه
 بالسيف وهو يظن أنه معاوية، فإذا هو غير معاوية، ثم قنع آخر فقتله، وقنع ثالثا
 فقتله. قال: فتحاماه الناس وصاح معاوية: ويحكم يا أهل الشام! إذا رأيتم هذا
 الرجل في الحرب فاحترسوا منه، فإنه والله الأسد الضرغام، قال: ورجع قيس بن
 سعد إلى موقفه. وخرج رجل من أصحاب معاوية يقال له: المخارق بن عبد الرحمن
 وكان فارسا بطلا حتى وقف بين الجمعين، ثم سأل النزال، فخرج إليه المؤمن بن

(١) في وقعة صفين: العجاج.

(٢) في وقعة صفين:

إن برزنا بالجمع نلقتك في الجمع وإن شئت محضة أسرينا
 فالقنا في اللقيف نلقتك في الخز * رج ندعو في حربنا أبوينا

(٣) زياد لاستقامة الوزن.

(٤) زيد في وقعة صفين ص ٤٤٨: عقبة بن عمرو، وأبو مسعود، وعمرو بن عمير.

(٥) في وقعة صفين: فقال: إن مثلي لا يشتم، ولكني لا أكف عن حربته حتى ألقى الله.

عبيد المرادي، فقتله الشامي ثم نزل إليه فاحتز رأسه وحك وجهه الأرض وكب الرأس على وجهه، ثم دنا منه فكشف عورته ونادى: هل من مبارز؟ فخرج إليه مسلم بن عبد ربه الأزدي، فقتله الشامي ثم فعل به كما فعل بالأول، ثم نادى: هل من مبارز؟ فلم يزل كذلك حتى قتل أربعة نفر واحتز رؤوسهم وكشف عوراتهم. قال: فتحاماه (١) الناس خوفاً منه، قال: ونظر إليه على رضي الله عنه وقد فعل ما فعل، فخرج إليه متنكراً وحمل عليه الشامي وهو لم يعرفه، فبدره علي بضربة على حبل عاتقه فرمى بشقه، ثم نزل إليه فاحتز رأسه وقلب وجهه إلى السماء ولم يكشف عورته، ثم نادى: هل من مبارز؟ فخرج إلى آخر فقتله علي رضي الله عنه وفعل به كما فعل بالأول، فلم يزل كذلك حتى قتل منهم سبعة أم ثمانية وهو يفعل بهم كما يفعل بالأول ولا يكشف عوراتهم. فأحجم الناس عنه وتحامته الأبطال من أصحاب معاوية وردّها عن معاوية عبد له يقال له حرب فكان فارساً لا يصطلي بناره، فقال له معاوية: ويحك يا حرب! اخرج إلى هذا الفارس فاكفني أمره، فإنه قد قتل من أصحابي من قد علمت، قال: فقال حرب: جعلت فداك؟ إني والله أرى مقام فارس بطل! لو برز (٢) إليه أهل عسكرك لافناهم من آخرهم، فإن شئت برزت إليه وأنا أعلم أنه قاتلي، وإن شئت فابقني لغيره، فقال معاوية: لا والله ما أحب أن تقتل! فقف مكانك حتى يخرج إليه غيرك. قال: وجعل يناديهم ولا يخرج إليه واحد منهم، فرفع المغفر عن رأسه ثم قال: أنا أبو الحسن! ثم رجع إلى عسكره. فقال حرب لمعاوية: جعلت فداك! ألم أقل لك إني أعرف مقام فارس البطل.

قال: ثم خرج فارس من فرسان أهل الشام يقال له كريب بن الصباح (٣) حتى وقف بين الجمعين ثم سأل البراز، فخرج إليه المبرقع (٤) بن الوضاح (٥) الخولاني فقتله الشامي، ثم سأل البراز فخرج إليه شرحبيل بن طارق البكري فقتله الشامي، ثم سأل البراز فخرج إليه الحارث بن الجلاح الحكمي فقتله الشامي، فخرج إليه

(١) بالأصل: فتحاموه خطأ.

(٢) بالأصل: برزوا خطأ.

(٣) بالأصل: "صباح" وهو رجل من حمير من آل ذي يزن.

(٤) في وقعة صفين ص ٣١٥ المرتفع.

(٥) عن وقعة صفين، وبالأصل: الوضاحي. وعند ابن مزاحم: الزبيدي بدل الخولاني.

عباس (١) بن مسروق الهمداني فقتله الشامي، ثم رمى جثتهم بعضها فوق بعض. قال: فنظر علي رضي الله عنه إلى مقام فارس بطل، فخرج إليه بنفسه حتى وقف قبالة فقال له: من أنت؟ فقال: أنا كريب بن الصباح الحميري: فقال له علي رضي الله عنه: ويلك يا كريب! إني أحذرك الله في نفسك وأدعوك إلى كتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، فقال: ومن أنت؟ قال: أنا علي بن أبي طالب، فإله الله في

نفسك! فإن أراك فارسا بطلا، لك من لنا عليك ما علينا، فقال: ما أكثر ما سمعنا منك هذا وأشباهه، فدن مني! فقال له علي: ويحك يا كريب! ليدخلنك معاوية إلى نار جهن، فقال كريب: ادن مني إذا شئت، ثم جعل يلوح بسيفه وهو يقول: من يشتري سيفي وهذا أثره؟ أضربه ضربا ولا أنتظره

قال: فمشى إليه علي رضي الله عنه والتقى (٢) بضربتين، ضربه علي ضربة قتله، ثم وقف ونادى: من يبارز؟ فخرج إليه الحارث بن وداع (٣) الحميري، فحلم عليه علي فقتله، فخرج إليه المطاع بن المطلب القيني فحمل عليه علي فقتله، فلم يزل كذلك حتى قتل أربعة من فرسان الشام، ثم نزل إليهم فرمى بأجسادهم بعضهم على بعض، وهو يقول: * (الشهر الحرام) (بالشهر الحرام) والحرمت قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعملوا أن الله مع المتقين) * (٤).

قال: ثم صاح علي رضي الله عنه: يا معاوية! هلم إلى مبارزتي ولا تفنين العرب بيننا (٥)، فقال معاوية: لا حاجة لي في مبارزتك، إنك قد قتلت أربعة من سباع العرب فحسبك.

قال: فصاح به رجل من أصحاب معاوية يقال له عروة بن داود الدمشقي فقال له: يا بن أبي طالب! إن كان معاوية قد كره مبارزتك فهلم إلى مبارزتي! فذهب علي ليبرز إليه، فقال له أصحابه: نحن نكفيك هذا الكلب ولا تخرج إليه فما هو لك

(١) في وقعة صفين ص ٣١٥: عائد.

(٢) بالأصل: التقوا.

(٣) وقعة صفين ص ٣١٦: وداعة.

(٤) سورة البقرة، الآية ١٩٤.

(٥) وقعة صفين: ولا يقتلن الناس فيما بيننا.

بخصهم (١)، فقال علي! لا يبرز إليه غيري إذ قد سألني ذلك. ثم حمل عليه علي رضي الله عنه فالتقي الضراب، فضربه عروة بن داود فلم يصنع شيئاً، وضربه علي فجدله قتيلاً، ثم قال: انطلق الآن فأخبر قومك بالذي عاينت، فوالذي بعث محمداً بالهدى ودين الحق لقد عاينت النار ولقد أصبحت من النادمين. قال فأنشأ ابن عم له يرثيه ويقول (٢):

فقدت عروة الأرامل والايث * تام يوم الكريهة الشغباء
كان لا يشتم المجلس ولا ين * كل يوم العظيمة النكباء (٣)
أمكن الله من علي سريعاً * رب موسى وزمزم والصفاء
يا لعين إلا بكيت (على) (٤) * وة يوم العجاج والترباء
فليبيكه نسوة من بني عا * مر من يثرب وأهل قباء
رحم الله عروة الخير ذا النج * دة وابن القماقم النجباء
أرهفته المنون في قاع صفي * ن صريعاً مرماً بدماء (٥)
غادرته سيوف بدر واحد * (و) (٦) من التابعين والنقباء
تركوه بقاع صفين مصر و * عا سلوا (ذا) (٦) الجواد بالحبوباء
قال: فجعل (٧) أهل الشام يقول بعضهم لبعض: قبح الله البقاء والعيش بعد
عروة بن داود، فما له بأرض الشام من خلف. وأنشأ عبد الله بن عبد الرحمن
الأنصاري في ذلك يقول (٢):

عرو يا عرو قد لقيت حماما * إذ تقحمت في حمى اللهوات
أعليا لك الهوان تنادي * ضيغما في أباطل الحومات
ليس لله فارس كأبي الشب * لين ما أن نهاب (٨) كر الكماة

-
- (١) أي ليس في مثل قدرك وقيمتك المعنوية والقتالية.
(٢) الأبيات في وقعة صفين ص ٤٥٨.
(٣) ينكل: نكل نكولاه: نكص وجبن.
(٤) زدناها لاستقامة الوزن. والترباء إحدى لغات التراب.
(٥) في وقعة صفين: صريعاً قد غاب في الحرباء
(٦) بالأصل: فجعلوا خطأ.
(٧) الأبيات في وقعة صفين ص ٤٥٩.
(٨) وقعة صفين: إن يهوله المتلفات.

عالما بالقضاء محتسبا بال * خير يرجو الثواب بالبينات (١)
ليس يخشى كراهة في لقاء * لا ولا ما يكون في الآفات
فلقد ذقت في الجحيم نكالا * وضراب المقامع المحميات
يا بن داود قد وقيت ابن هند * أن يكون القتل بالمقفرات
قال: وجاء الليل فحجز بين الفريقين.

وقد كان رجل من أهل الشام يقال له الأصبع بن ضرار (٢) (الأزدي) يخرج
بالليل من عسكر معاوية فيكون حارسا وطليلة لمعاوية، قال: فندب له علي
رضي الله عنه الأشتر وقال: إن قدرت عليه فخذة ولا تقتله وجيء به!
قال: فاحتال عليه الأشتر فأخذه أسيرا من غير أن يقاتل، ثم جاء به إلى رحله
ليلا فشد وثاقه ينتظر به الصباح، قال: وأيقن الرجل بالقتل وكان مفوها شاعرا،
فأنشأ يقول (٣):

ألا ليت هذا الليل أطبق سرمدا * على الناس لا يأتيهم بنهار
يكون كذا حتى القيامة إنني * أحاذر في الاصبح ضرمة نار
فيا ليل طبق إن فيك لراحة (٤) * وفي الصبح قتلى أو فكاك إساري
ولو كنت تحت الأرض تسعين واديا * لما رد عني ما أخاف حذاري
فيا نفس مهلا إن للنفس غاية * فصبرا على ما فات (٥) يا بن ضرار
أأخشى ولي في القوم رحم قريية * من الامر ما أخشى والأشتر جاري (٦)
ولو أنه كان الأسير ببلدة * أطاع بها شمرت ذيل إزاري
ولو كنت جار الاشعث الخير وكني * وفر من الامر المخوف فراري
وجاري المرادي العظيم وهانيء * وزحر بن قيس ما كرهت نهاري

(١) وقعة صفين: بالسابقات.

(٢) عن وقعة صفين ص ٤٦٦ وبالأصل: الإصبع بن ضراب.

(٣) الأبيات في وقعة صفين ص ٤٦٧.

(٤) في وقعة صفين: فيا ليل طبق إن في الليل راحة.

(٥) وقعة صفين: ... إن للموت غاية.

(٦) كذا بالأصل والوزن غير مستقيم، والمصراع في وقعة صفين:

أبي الله أن أخشى والأشتر جاري

فالا بعثني في الصباح بنعمة * يفك بها عني فقبري داري
قال: فلما سمع الأشتر هذه الأبيات كأنها حركته، ثم غدا به الأشتر إلى علي
رضي الله عنه فقال: يا أمير المؤمنين! هذا رجل أخذته البارحة أسيراً بلا قتال،
ووالله لو علمت أن قتله أحب إليك لقتلته، وقد بات البارحة عندي وحرمني بأبيات
قالها، فإن أحببت قتله فاقتله، وإن (١) كنت فيه بالخيار فهبه لي! فقال: هو لك يا
مالك! وإذا أصبت (منهم) أسيراً فلا تقتله، فإن أسير أهل القبلة لا يفادى ولا
يقتل. فرده الأشتر إلى رحلة فأحسن إليه ورد عليه ما كان أخذ منه وأطلقه.
قال: وعزم (٢) الفريقان على الحرب، وأقبل معاوية على هؤلاء الأربعة
الرهط: مروان بن الحكم، والوليد بن عقبة بن أبي معيط، وعبد الله بن عامر بن
كريب، وطلحة الطلحات (٣)، فقال: إن أمرنا وأمر علي لعجيب ليس منا إلا موتور،
أما أنا فإنه قتل أخي وخالي يوما وشارك في قتل جدي، وأما أنت يا وليد فإنه قتل أبك
بيده صبوا يوم بدر، وأما أنت يا طلحة، فإنه قتل أخاك يوم أحد وقتل أبك يوم الجمل
وأيتهم أحوالك، وأما أنت يا عبد الله بن عامر فإنه أسر أبك وأخذ مالك، وأما أنت يا
مروان، فإنه قتل ابن عمك عثمان بن عفان، ثم إنني أراكم قعودا عنه ما فيكم أحد
يغير ولا يأخذه بثأره. فقال مروان: فما الذي تحب أن نصنع يا معاوية؟ فقال: أريد
والله منكم أن تشجروه بالرماح فتريحوا العباد والبلاد منه، فقال مروان: الآن والله قد
ثقلنا عليك يا معاوية إذ كنت تأمرنا بالخروج إلى حية الوادي والأسد العادي (٥).
قال: ثم نهض مروان مغضبا، وأنشأ الوليد بن عقبة في ذلك يقول:
يقول لنا معاوية بن حرب * أما فيكم لو اترككم طليب
يشد على أبي حسن علي * بأسمر لا يهجنه الكعوب
فيهتك مجمع اللبات منه * ونقع الموت (٦) مطرد يثوب

(١) في وقعة صفين ص ٤٦٧: وإن ساغ لك العفو عنه فهبه لنا.

(٢) بالأصل: وعزموا تحريف.

(٣) هو بن عبد الله بن خلف الخزاعي، وقد قتل أبوه يوم الجمل مع عائشة (رض).

(٤) الخبر في وقعة صفين باختلاف ص ٤١٧.

(٥) الأبيات في كتاب وقعة صفين ص ٤١٧.

(٦) وقعة صفين: ونقع اليوم.

فقلت له أتلعب يا بن حرب * كأنك بيننا (١) رجل غريب
 أتأمرنا بحية بطن واد * إذا نهشت فليس لها طيب
 وما ضبع يدب ببطن واد * أتيح له به أسد مهيب
 بأضعف حيلة منا إذا ما * لقيناه وذا منا عجيب
 دعا في الحرب للهيجا رجالا (٢) * تكاد قلوبهم منه تذوب
 كأن القوم لما عاينوه * خلال النقع ليس لهم قلوب
 لعمر أبي معاوية بن صخر * وما ظني بملحقه العيوب
 لقد ناداه في الهيجا علي * فأسمعه ولكن لا يجيب
 سوى عمرو وقته خصيته * نجا ولقلبه منها وجيب
 وبسر مثله لاقى جهارا * فأخطأ نفسه الاجل القريب (٣)
 قال: فضغب عمرو من قول الوليد ثم قال: والله ما ظننت أن أحدا من الناس
 يعيرني بفراري من علي وطعنته إياي، ثم أقبل على الوليد بن عقبة فقال: إن كنت
 صادقا فأخرج إلى علي وقف له في موضع يسمع كلامك حتى ترى ما الذي ينزل بك
 من صولته، ثم أنشأ عمرو وجعل يقول (٤):
 يذكرني الوليد لقا علي * وصدر المرء محلاه الوعيد (٥)
 متى يذكر مشاهدة قريش * يطر من خوفه القلب الشديد
 فأما في اللقاء فأين منه * معاوية بن صخر والوليد
 وعيرني الوليد لقاء ليث * إذا ما زار هابته الأسود
 لقيت ولست أرهبه (٦) عليا * وقد بلت من العلق اللبود (٧)
 فأطلبه ويطعنني خلاسا * فماذا بعد طعنته أريد
 فرمها منه يا بن أبي معيط * فأنت الفارس البطل النجيد

(١) وقصة صفين: يا بن هند. كأنك وسطنا.

(٢) وقعة صفين: دعا للقاء في الهيحاء لاق.

(٣) هذا العجز، في وقعة صفين ص ٤١٨ للبيت الثامن.

(٤) الأبيات في وقعة صفين ص ٤١٨.

(٥) وقعة صفين: وبطن المرء يملؤه الوعيد.

(٦) وقعة صفين: أجهله.

(٧) صفين: الكبود.

فأقسم لو سمعت ندا علي * لطار القلب وانتفخ الوريد
ولو لاقيته شقت جيوب * عليك ولطمت فيها حدود
قال: ودنا القوم بعضهم من بعض، ودعا علي رضي الله عنه بهاشم بن
عتبة بن أبي وقاص فأعطاه الراية وقال: تقدم إلى أعداء القرآن وحزب الشيطان!
فأخذ هاشم الراية بيده وتقدم، وكان هاشم أعور وذلك أنه أصيب بعينه يوم اليرموك
في جيش عمر بن الخطاب.

قال: فتقدم هاشم وعليه درع له سابغ وعلى رأسه قلنسوة ديباج وهو يرتجز
ويقول:

أعور يبغي أهله خلاصا * مثل القسي (١) لابسا دلاصا
يريد قوما رذلا انكاصا * لا جنة يرجو (٢) ولا قصاصا
كل امرئ وإن كبا وحاصا (٣) * إقدامه في معمعة قماصا
ليس له من يومه مناصا (٤)

قال: فخرج إليه رجل من أصحاب معاوية (٥) وجعل يشتم عليا ويقول القبيح،
فقال له هاشم: يا هذا! إن لهذا الكلام بعده الخصام، فاتق الله ولا تشتم فإنك
راجع إلى ربك وإنه (٦) مسائك عن هذا الموضوع وعن هذا الكلام، فقال الشامي:
وكيف لا أشتكم ولا ألعنكم وقد بلغني عن صاحبكم أنه لا يصلي وأنكم لا تصلون!
فقال له هاشم: يا هذا الرجل! أما قولك إننا ما نصلي فوالله ما فينا أحد يؤخر الصلاة
عن وقتها طرفة عين، وأما قولك عن صاحبنا أنه لا يصلي فوالله إنه لأول ذكر صلى من

(١) في وقعة صفين ص ٣٤٧: الفنيق.

(٢) وقعة صفين: لا دية بخشي.

(٣) كبا: انكب على وجهه. حاص: هرب.

(٤) في وقعة صفين: ليس يرى من موته مناصا.

(٥) وكان فتى شاب، وجعل يرتجز ويقول:

أنا ابن أرباب الملوك غسان * والدائن اليوم بدين غسان

أنبأنا أقوامنا بما كان * أن عليا قتل ابن عفان

راجع وقعة صفين ص ٣٥٤. الطبري ٦ / ٢٤ ابن الأثير ٢ / ٣٨٤.

(٦) في الطبري: فسائك عن هذا الموقف وما أردت به.

هذه الأمة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإنه لأفقه خلق الله في دين الله وأولادهم برسول الله صلى الله عليه وسلم، وليس معه أحد إلا وهو قارىء لكتاب الله عالم بحدود الله، ولا

يغرنك هؤلاء الأشقياء المغرورون. فقال الشامي: يا هذا! ما أظنك والله إلا وقد نصحتني في ديني، ولكن هل من توبة؟ قال: نعم، إن تبت تاب الله عليك فإنه هو الذي يقبل التوبة عن عبادة ويعفو عن السيئات، قال: ففنع الشامي فرسه وركض، فصار إلى علي رضي الله عنه فكان معه.

قال: وتقدم هاشم بالراية نحو القوم وهو يقول:

يا لك يوماً مثل يوم اليرموك * يا لك من طحن رحا دموك

يا لك منها من دم مسفوك * بالسيد الضخم وبالصعلوك

أمشي وسيفي مشبه الفلوك * حتى أحل منزل الملوك

إن الملوك ترحم المملوك

ثم حمل على صفوف أهل الشام فجرح منهم خلق كثير وقتل منهم جماعة، ثم وقف ساعة ليستريح وهو في ذلك يقول شعراً، فحمل عليه رجل من أصحاب معاوية يقال له حمزة بن مالك الهمداني وهو يقول شعراً يمدح فيه نفسه، فحمل عليه هاشم بن عتبة فطعنه طعنة فقتله، وحملت (١) جماعة من أهل الشام فأحاطوا به فلم يزل يطاعن (٢) بالراية حتى استشهد (٣) - رحمه الله - .

قال: وحمل رجل من أصحاب علي رضي الله عنه يقال له شقيق بن ثور العبدي علي أهل الشام، فكشفهم عن هاشم بن عتبة لكيلا يسلبوه، ثم أخذ الراية فرفعها وجعل يرتجز ويقول:

لا بأس قد قام بها شقيق * إن شقيقاً في اللقا خليق

و (٤) درعه فإنه فتيق * بالطعن في يوم الوغى حقيق

ثم حمل فقاتل حتى قتل.

(١) بالأصل: حملوا خطأ.

(٢) فقتل يومئذ تسعة أو عشرة.

(٣) حمل عليه الحارث بن المنذر التنوخي فطعنه فسقط.

(٤) كذا بالأصل، ولم نجد الرجز.

قال: وتقدم عتبة (١) بن هاشم المقتول فرفع الراية وجعل يقول (٢):

يا هاشم بن عتبة بن مالك * أعزز بشيخ من قریش هالك
تخبطه الخيلان (٣) بالسنايك * في أسود من نفعهن حالك
أبشر بحور العين في الأرائك * والروح والريحان عند ذلك
قال: ثم حمل فقاتل حتى قتل - رحمه الله - .

قال: وتقدم أبو الطفيل عامر بن وائلة الكناني وهو يقول (٤):

يا هاشم الخير دخلت الجنة * قاتلت في الله عدو السنة
وتارك الحق وأهل الظنه * أعظم ما نلت به من منه
صيرني الدهر كأني شنه * يا ليت أهلي قد علوني رنه (٥)
من ابنة وزوجة وكنه (٦)

قال: ثم حمل وقاتل قتالا شديدا وجرح جراحة منكرا فرجع القهقري إلى
ورائه. وتقدم عبد الله بن بديل (٧) بن ورقاء الخزاعي كالليث المغضب، فجعل
يحمل على ميمنة معاوية مرة وعلى ميسرته مرة أخرى، وليس يظهر له أحد إلا قتله
وهو يقول (٨):

أضربكم (٩) ولا أرى معاوية * الأبرج (١٠) العين العظيم الحاوية

(١) كذا بالأصل، وفي مروج الذهب ٢ / ٤٢٥ " تناول ابن المرقال اللواء حين قتل أبوه وكر في العجاج
وهو

يقول: " وفي الاخبار الطوال ص ١٨٤ " دفع الراية إلى ابنه عبد الله بن هاشم بن عتبة " وانظر وقعة
صفين ص ٣٥٦ وفيه أن عبد الله بن هاشم أخذ الراية. وذكر الارجاز ص ٣٤٨ ونسبها إلى ابن هاشم
ولم يسميه. نقول: وليس في ولد هاشم من اسمه عتبة.

(٢) الارجاز في مروج الذهب ٢ / ٤٢٥ ووقعة ووقعة صفين ص ٣٥٦.

(٣) مروج صفين ص ٣٥٩.

(٤) وقعة صفين ص ٣٥٩.

(٥) الرنة: صيحة النياحة.

(٦) في وقعة صفين: من حوبة وعمة وكنه.

(٧) بالأصل: يزيد خطأ، وقد مر تكرارا.

(٨) الشطران الأول والثاني في الطبري ٦ / ٢٣ ومروج الذهب ٢ / ٤٢٨ ونسبت إلى علي (رض). وذكرت

الارجاز في كتاب صفين ص ٤٠٤ ونسبت إلى علي (رض). وفي ص ٣٩٩ ونسبت إلى الأشتر.

وقال المسعودي: وقيل إن هذا الشعر لبديل بن ورقاء قاله في ذلك اليوم.

(٩) الطبري ووقعة صفين ص ٤٠٤: أضربهم.

(١٠) الطبري: " الجاحظ " ووقعة صفين: " الأخرز " .

هوت به في النار أم هاوية * جاوره فيها كلاب عاوية
قال: فصاح معاوية: ويلكم يا أهل الشام! هذا أسد من أسود خزاعة فاقصدوه
بحربكم. قال فأحاط به أهل الشام من كل ناحية فلم يزل يقاتلهم حتى قتل منهم
جماعة وقتل - رحمه الله - . فقال معاوية: لله دره ودر أبيه! أما والله لو استطاعت
نساء خزاعة أن تقاتلنا فضلا عن رجالها لفعلت.

قال: وتقدم عمرو بن الحمق الخزاعي حتى وقف في ميدان الحرب وهو
يقول (١):

جزى الله خيرا عصابة (٢) أي عصابة * حسان وجوه صرعت نحو هاشم
شقيق وعبد الله فيهم ومعبد * ونبهان وابنا هاشم والمكارم (٣)
وعروة لا تبعد فقد كان فارسا * إذا الحرب هاجت بالقنا والصوارم (٤)
إذا اختلف الأبطال واشتبك القنا * وكان حديث القوم ضرب الجماجم
ثم حمل فقاتل أشد القتال ورجع إلى موقفه.

قال: وحميت أهل الشام وعزموا على الموت، وتقدم سيد من ساداتهم يقال
له حوشب ذو الظليم وهو يقول:

أهل العراق ناسبوا وانتسبوا * نحن اليمانيون منا حوشب
أنا الظليم أين أين (٥) المهرب * فينا الصفيح والقنا المقلب (٦)
والخيل أمثال الوشيح شذب (٧) * إن العراق خيلها مذذب
قي قتل عثمان وكل مذنب * هذا علي فيكم محبب

(١) الأبيات في مروج الذهب ٢ / ٤٢٥ وكتاب صفين ص ٣٥٦ ونسبت إلى علي (رضي).

(٢) مروج الذهب: عصابة أسلمية * صباح الوجوه صرعوا حول هاشم.

(٣) في مروج الذهب:

يزيد وعبد الله بشر بن معبد * وسفيان وابنا هاشم ذي المكارم

(٤) مروج الذهب:

وعروة لا ينفذ ثناه وذكره * إذا اخترطت يوما خفاف الصوارم

(٥) وقعة صفين ص ٤٠٠: منا.

(٦) كذا بالأصل "المقلب" والأوضح "المعبل" من علب السيف والرمح فهو معلوب وعلبه تعليبا أي

حزم

مقبضه بعلباء البعير، وهي عصب العنق.

(٧) الوشيح: الرماح. وشذب لا معنى لها والصواب "شذب" جمع شازب أي الضوامر "

قال: فخرج إليه سليمان بن صرد الخزاعي وهو يقول:
يا لك يومًا كاسفا عصبصبا (١) * يا لك يومًا لا يوارى كوكبا (٢)
يا أيها الحي الذي تذبذبا * لسنا نخاف ذا الظليم حوشبا
لان فينا بطلا مجرب * ابن بديل كالهزبر مغضبا
أمسى علي عندنا محببا * نفديه بالام ولا نبقي أبا
قال: ثم حمل عليه سليمان بن صرد فطعنه في بطنه طعنة أنفذ السنان من
ظهره، فسقط حوشب قتيلا. قال: ودخل على معاوية من قتل حوشب مصيبة
عظيمة.

قال: واشتد القتال بين الفريقين، قال: وحملت خيل الأنصار على أهل
الشام فهزموهم حتى ألحقوهم بحريم معاوية وقتلوا منهم بشرا كثيرا، وقتل ذو الكلاع
الحميري فيمن قتل (٣)، واغتم (٤) أهل الشام علي ذي الكلاع أشد من غمهم علي
حوشب وحملت أهل العراق على القلب وفيه معاوية وسادات قریش فكشفوهم عن
مواضعهم، وعثرت بمعاوية فرس كانت تحته فسقط إلى الأرض، وهم (٥) به أهل
العراق فحملة أهل الشام فأقلت سليب القلب لم يملك عقله، فأنشأ رجل من
الأنصار يقول (٦):

معاوي ما أفلت إلا بجرعة * من الموت (٧) حتى تحسب الشمس كوكبا
نجوت فقد أدميت بالسوط حية (٨) * أزوما على فأس اللجام مشدبا

-
- (١) الكاسف: العبوس.
 - (٢) أي كأن نجومه ظاهرة لشدة ظلامه واحتجاب شمس، لما ثار من الغبار.
 - (٣) قتله رجل من بكر بن وائل يسمى خندف، ضربه بالسيف على عاتقه فقد الدرع وفرى عاتقه فخر ميتا
(الاجبار الطوال ص ١٧٩).
 - (٤) بالأصل: واغتموا تحريف.
 - (٥) بالأصل: وهموا. تحريف.
 - (٦) في كتاب صفين ص ٤٠١ وقال جريش السكوني.
 - (٧) وقعة صفين: من الموت رعبا تحسب الشمس كولبا.
 - (٨) وقعة صفين: بطنه.
- والأزوم: الشديد العض، وفي اللسان: أزم الفرس على فأس اللجام: قبض. والمشذب: الفرس
الطويل ليس بكثير اللحم.

فلا تكفرنه واعلمن أن مثلها * إلى مثلها عالي بك الجري أو كبا
فإن تفخروا بابني بديل وهاشم * فنحن قتلنا ذا الكلاع وحوشيا (١)
ولما رأيت الأمر قد جد جدته * وقد كان يوما يترك الطفيل أشيبا
صبرنا لكم تحت العجاج نفوسنا * وكان خلاف الصبر جدعا موعبا
ولم تلف فيها خاشعين أذلة * ولم تك منا في الوغاء مذذببا
كسرنا القنا حتى إذا فني القنا * صبرنا وقلبنا الصفيح المجربا
ولم يسر في الجمعين صارف وجهه * ولا ثانيا في رهبة الموت منكبا
ولم تر إلا قحف رأس وساعد * وساقا ظنينا أو ذراعا مخضبا
كأنا وأهل الشام أسد مشيحة * لخفان لا يبين نابا ومخلبا
قال: وانصرفت الفريقان يومئذ وقد نال أهل العراق من أهل الشام منالا
قبيحا، فأنشأ أبو حية الأنصاري (٢) عاقر الجمل (٣) يوم البصرة يقول في ذلك.
سائل حبيبة معبد عن بعلمها (٤) وحليلة اللخمي وابن كلاع
واسأل عدو الله عن أرماحنا * لما ثوى متجدلا بالقاع
واسأل معاوية المولي هاربا * والخيل تعدو وهي جد سراع
ماذا بخبرك المنخبر صادقا * عنا وعنهم عند كل دفاع
إن يصدقوك يخبروك بأننا * أهل الندى مستسمعو للداعي (٥)
ندعو إلى التقوى ونرعى أهلها * برعاية المأمون لا المضياح
ونسن للأعداء كل مثقف * لدن وكل مهند (٦) قطاع
قال: وجعل معاوية يسأل عن رجل بعد رجل من فرسان أهل الشام فليس يسأل
عن أحد إلا قيل قتل، حتى سأل عن الحارث بن المؤمل - وكان الحارث سيذا في
أهل الشام - فقيل له قتل، قال: ومن قتله؟ فقيل له عبد الله بن هاشم (٧). فقال

البيت في الطبري ٦ / ٢٤ وابن الأثير ٢ / ٣٨٤ من أبيات نسبت إلى الحجاج (بن عمرو) بن غزية.
(٢) اسمه عمرو، وهو عمرو بن غزية (بفتح الزاي وتشديد الياء) بن عمرو بن ثعلبة الأنصاري، أبو حية
(الإصابة).
(٣) انظر فيمن عرقب الجمل (يوم الجمل، وقد وقعة الجمل، وقد أشرنا إلى ذلك هناك).
(٤) وقعة صفين ص ٣٧٩: سائل حليلة معبد عن فعلنا.
(٥) في وقعة صفين: أهل الندى قدما مجيبو الداعي.
(٦) وقعة صفين: مشطب.
(٧) وهو عبد الله بن هاشم بن عتبة بن أبي وقاص، وكان قد أخذ الراية بعد مقتل أبيه (مر ذلك قريبا).

معاوية: أليس قد جرح عبد الله جراحات كثيرة؟ قالوا: بلى! ولكنه قاتل على ما به من الجراحات هو الذي قتل الحارث بن المؤمل، فقال معاوية: لئن أمكنني الله من عبد الله بن هاشم لأفعلن به ولأصنعن.

حديث عبد الله بن هاشم مع معاوية
قال: فلما كان بعد ذلك وأفضى الأمر إلى معاوية سأل عن عبد الله بن هاشم، فقيل: إنه بالبصرة في بني ناجية عند عجوز تداويه من جراحاته، فكتب إلى عامله بالبصرة أن اطلب عبد الله بن هاشم في بني ناجية، فإذا قدرت عليه فاحمله إلى في أسرع ما تقدر عليه. فلما ورد الكتاب على عامل البصرة بعث إلى بني ناجية فطلب عبد الله بن هاشم حتى ظفر به، فحمله إلى معاوية وسلم، فرد عليه السلام ونظر إليه، فإذا هو عليل مدنف سقيم قد تغير عن حالته التي كان عليها، فأمره بالجلوس، فجلس. قال: ونظر عمرو فقال: يا أمير المؤمنين! هذا المحتال بن المرقال، قال معاوية: نعم هذا المحتال بن المرقال، فهات ما الذي ترى فيه! فقال: دونك الضب المضني (١) والنجف المعني، والعصا من العصية، وجزاء السيئة السيئة، ولن تلد الحية إلا الحية. قال: فالتفت إليه عبد الله بن هاشم فقال: ما أنا بأول رجل خذله (٢) قومه وأدركه يومه. قال عمرو: أمكني منه يا أمير المؤمنين حتى أشخب أوداجه على أثباجه (٣)، فلبئس ما فعل هذا بنا وأبوه وأخوه بصفين، فقال له عبد الله: فهل (٤) لا قلت ذا يا بن العاص بصفين وأنا أدعوك إلى البراز، وقد (٥) أتتك هام الرجال من نقع الجريال، وتضايقت بك المسالك، وأشرفت فيها علي المهالك! وأيم الله لولا أن مكانك مني للبت (٦) لك حافة أرميك منها بأحر من وقع الأسل، فإنك لا تزال (٧) تكسر ركبك وتخبط في كرسيك خبط العشواء في الليلة الظلماء.

في وقعة صفين ص ٣٤٨: "المضب" والضب المضب الذي يلزم الشيء لا يفارقه. وأصل الضب: اللصوق بالأرض.

(٢) بالأصل: خذلوه تحريف.

(٣) أثباجه: جمع ثبج: الوسط وما بين الكاهل إلى الظهر.

(٤) وقعة صفين: فهلا كانت هذه الشجاعة منك يا بن العاص.

(٥) وقعة صفين: وقد ابتلت أقدام الرجال، من نفيح الجريال.

(٦) وقعة صفين: لنشبت لك مني خافية، أرميك...

(٧) وقعة صفين: لا تزال تكثر في هوسك وتخبط في دهشك وتنشب في مرسك.

قال فأعجب معاوية ما سمع من ابن هاشم، فأمر به إلى السجن ولم يقتله.
فأمر شاعر عمرو بن العاص إلى معاوية بهذه الأبيات (١).
أمرتك أمرا حازما فعصيتني * وكان من التوفيق قتل ابن هاشم
أليس أبوه يا بن هند هو الذي * رماك علي يوم جز الغلاصم (٣)
فقتلنا (٣) حتى جرت من دمائنا * بصفين أمثال البحور الخضارم
فهذا ابنه والمرء يشبه شيخه (٤) * ويوشك أن يقرع به سن نادم
قال: فبلغ ذلك عبد الله بن هاشم فكتب إلى معاوية بهذه الأبيات (٥):
معاوي إن المرء عمرا أبت له * ضغينة صدر حرها غير سالم
يرى لك قتلي يا بن هند وإنما * يرى ما يرى عمرو ملوك الأعاجم
على أنهم لا يقتلون أسيرهم * إذا كان فيهم (٦) منعة للمسلم
وقد كان منا يوم صفين نفرة * عليك جناها هاشم وابن هاشم
مضى من قضاء الله فيها الذي مضى (٧)
وما ما مضى إلا كأضغاث حالم
هي الوقعة العظمى التي تعرفونها * وكل على ما قد مضى غير نادم
فإن تعف عني تعف عن ذي قرابة * وإن تر قتلي تستحل محارمي
قال: فاستحيي معاوية من شعره، ثم أنشأ يقول:
أرى العفو عن عليا قریش وسيلة * إلى الله في اليوم العبوس القماطر
ولست أرى قتلي الغداة ابن هاشم * بإدراك ذحل في تميم وعامر
بل العفو منه بعد ما بان ريشه * وزلت به إحدى الحدود العواثر
وكان أبوه يوم صفين جمرة * علينا فأردتنا سيوف المجابر

(١) في وقعة صفين ص ٣٤٩: فبعث إليه عمرو بن العاص بأبيات يقولها له.

(٢) في وقعة صفين:

وكان أبوه يا معاوية الذي * رماك على جد يحز الغلاصم

(٣) وقعة صفين: فما برحوا.

(٤) وقعة صفين: أصله * مستقرع إن أبقيته سن نادم.

(٥) الأبيات في وقعة صفين ص ٣٤٩.

(٦) وقعة صفين: منهم.

(٧) وقعة صفين: قضى الله فيها ما قضى تمت انقضت.

قال: ثم أخرجه معاوية من محبسه ذلك وكساه وأحسن إليه ووصله بعشرة آلاف درهم وورده إلى البصرة مكرما.

ثم رجعنا إلى الخبز

قال: وأصبح (١) القوم فعبي علي أصحابه وعبي معاوية أصحابه، ودنا (٢) الفريقان بعضهم من بعض، وفي ميمنة علي يومئذ مذحج، وفي ميسرته بنو وائل من ربيعة، وفي القلب مضر، وفي ذلك يقول علي رضي الله عنه:

ما علتي وأنا جلد حازم* وعن يميني مذحج القماقم
وعن شمالي وائل الخضارم* والقلب فيه مضر الجماجم

والحق في الناس قديم دائم (٣)

قال: وتقدمت أصحاب معاوية مقنعين في الحديد على الخيل العتاق وبين أيديهم رجل يرتجز ويقول (٤):

أعوذ بالله الذي قد احتجب* بالنور والسبع الطباق والحجب
ليس كمل الله شيء يرتقب (٥)* يا رب لا تهلك بأعلام العرب

أمن ذوات الدين منا والحسب* القائلون الفاعلون في الحقب

المانحون المطعون في الجذب* يوما عبوسا في عجاج منتقب (٦)

(١) بالأصل: وأصبحوا

(٢) الأصل: ودنوا الفريقين تحريف.

(٣) سقط من وقعة صفين ص ٢٧٣ وأثبت مكانه:

وأقبلت همدان في الخضارم* مشي الجمال البزل الخلاجم

أقسمت بالله العلي العالم* لا أنثني إلا برغم الراغم

والأرجاز في ديوانه باختلاف.

(٤) الأرجاز في وقعة صفين ٣١٦ ونسبها إلى المخارق بن الصياح الحميري، وكان قد قتل إخوة له

ثلاثة وقتل أبوه وكان من أعلام العرب.

(٥) وقعة صفين: يرتهب.

(٦) وقعة صفين: والمطعمين الصالحين في السغب.

فأنت حر. قال فتقدم حرب غلام معاوية وهو يرتجز ويقول:
إني أنا الحرب وما بي من خور* لكنني قرم أبي مشتهر
ذو صولة في المصميات الكفر* مولى ابن صخر وبه قد انتصر
قال: ثم حمل وقاتل أشد قتال، فحمل عليه قنبر غلام علي رضي الله عنه
فطعنه طعنة قتله. فاغتم معاوية لذلك غما شديدا فقال له بسر بن (أبي) أرطاة: ما
لي أراك منكسر القلب على حرب! عليك بالتسلي عن حرب، واستعمل الشجاعة
والصبر، فإنك كاتب النبي صلى الله عليه وآله وعامل عمر بن الخطاب وولي الخليفة
المظلوم

عثمان بن عفان، فقال معاوية: صدقت ولكن عليا يطول على بخصال شتى،
بقرابته من الرسول، وقدمته في الاسلام، وبأسه في الحرب، فقال عمرو بن
العاص: إنك إذا نظرت في هذا فإن له من الفضائل ما لا تحصى، أبوه سيد في بني
هاشم وأمه سيدة في بني هاشم، وهو فقيه في حجر قريش، وقد بايعه (١) المهاجرون
والأنصار، ولكن والله لنقاتلنه أو نرده على عقبه صاغرا. قال: فلما سمع
معاوية ذلك اشتد ظهره واجترى على الحرب.

فبلغ ذلك أصحاب علي رضي الله عنه، قال: فقال قيس بن سعد بن عبادة
إلى علي فقال: أمير المؤمنين! لا يهولنك أمر ابن آكلة الأكباد، ومن معه من
أصحابه، فوالله إنا لو قتلنا عن آخرنا حتى لا يبقى منا أحد لعلمنا أننا علي بصيرة من
ديننا ويقين من أمرنا، فلا ترتفع بقول بسر بن (أبي) أرطاة فقيح الله بسرا وأصلاه نار
جهنم. قال: فأثنى عليه علي رضي الله عنه وعلى قومه من الأنصار ثناء حسنا،
فأنشأ قيس بن سعيد يقول:

نبث بسرا أطال الله شقوته* قال المحال وعمرا دعوة العاص
في عصابة الشام منهم كل ذي جيف* عاتي المقالة عند الحرب حياص
قروا طليقا لا امر ليس رغبتهم* إلا الفجور على ذي رغبة حاصي
والراقصات بأشياخ محلقة* صلح الرؤوس كبيض الرأل جرياص
ما في علي لأهل الشام من طمع* ليث العرين وأفعى بين أعياص (٢)

(١) بالأصل: بايعوه تحريف.

(٢) الأعياص من قريش وهم أولاد أمية بن عبد شمس الأكبر وهم أربعة: العاص وأبو العاص والعيص وأبو
العيص.

كم من قتيل لأهل الشام قد سلبت * عنه الثياب كزق سائل شاص (١)
قد كان يؤمل أن هاب العراق له * عرس سميط تراها ذات إخلاص
لا تحسبن يا بن هند في عداوتكم * كالمرء سعد أبي الزهري وقاص
أو تحسبني كعبد الله في نفر * باعوا عليا بودان ومقلاص (٢)
أو كابن مسلمة الراضي بشبهته * لله فيما يماري ربه عاصي
فالحرب توقدها الأنصار مشعلة * والطيبون رجال غير إنكاص
قال: ثم صاح قيس بن سعد بالأنصار فحمل وحملوا معه على أهل الشام،
فقاتلوا قتالا شديدا ورجعوا إلى مواضعهم.

ذكر مقتل عبيد الله بن عمر بن الخطاب

قال: وأقبل معاوية على عبيد الله بن عمر بن الخطاب فقال له: يا بن أخ!
هذا يوم من أيامك فلا عليك أن يكون منك اليوم بما يسر به أهل الشام، قال: فخرج
عبيد الله بن عمر وعيه درعان سابغان وعلى رأسه بيض وعمامة حمراء، وهو متقلد
سيف أبيه عمر بن الخطاب رضي الله حتى وقف بين الجمعين ودعا إلى البراز
قال: فذهب محمد ابن الحنفية ليخرج إليه، فصاح به علي: مكانك يا بني! لا
تخرج إليه، فقال له: ولم ذلك يا أمير المؤمنين؟ فوالله إن لو دعاني إلى البراز أبوه
لخرجت إليه، فقال علي رضي الله عنه: مه يا بني! لا تقل في أبيه إلا خيرا.
قال: ونظر عبيد الله بن عمر أنه ليس يخرج إليه أحد فحمل على ميسرة علي،
وفي الميسرة يومئذ ربيعة بن القيس وغيرهم من الناس، فجعل يطعن في خيلهم
وهو يقول (٣):

أنا عبيد الله سماني (٤) عمر * خير قریش من مضى ومن عبر
إلا رسول الله (٥) والشيخ الأغر * قد أبطأت عن نصر عثمان مضر (٦)

(١) الشاصي: الذي إذا قطعت قوائمه فارتفعت مفاصله أبدا.

(٢) ودان: ثلاثة مواضع أحدها بين مكة والمدينة من نواحي بينها وبين هرشي ستة أميال.

(٣) الأرجاز في الاخبار الطوال ص ١٧٨ ووقعة صفين ص ٢٩٩ والاستيعاب ٢ / ٤٠٤.

(٤) في المصادر: ينميني.

(٥) الاخبار الطوال: غير رسول الله. وفي وقعة صفين: إلا بني الله. وفي الاستيعاب: حاشا نبي الله.

(٦) كذا بالأصل ووقعة صفين، وفي الاخبار الطوال: أبطأ عن نصر ابن عفان مضر.

وسارع الحي اليمانون الغرر * والخير في الناس قديما يتندر
قال: فخرج إليه عبد الله بن سوار العبدي (١) وهو يقول:
قد سارعت في حربها (٢) ربيعه * في الحق والحق لهم شريعته
ما نهتك الاستار كالقطيعة * في العصابة السامعة المطيعة
حتى تذوق كأسها القطيعة
ثم طعنه العبدي طعنة في خاصرته جدله قتيلا (٣)، فأنشأ الصلتان العبدي يقول
في ذلك:

ألا يا عبيد الله ما زلت مولعا * بنكر لها تهدي اللقا (٤) وتههدا
كأن حماة الحي بكر بن وائل * بذى الرمث (٥) نيران تحرقن غرقدا
وكنت سفيها قد تعودت عادة * وكل امرئ جار على ما تعودا
فأصبحت مسلوبا على شر حالة * صريعا يرى وسط العجاجة مفردا
تشق عليك الدرع عرس فجيعة * مفجعة تبدي الشجا والتلدا (٦)
فكانت ترى ذا الامر قبل عيانه * ولكن أمر الله أهدى لك الردا
وقالت (٧): عبيد الله لا تأت وائلا * فقلت لها: تعجلي وانظري غدا
فقد جاء ما منيتها فتسلبت * عليك وأضحى الحب منها مقدا

-
- (١) في وقعة صفين: حريث بن جابر الجعفي، وذكر الارجاز.
(٢) وقعة صفين ص ٢٩٩: نصرها.
(٣) اختلفوا فيمن قتله فقالت همدان: قتله هاني بن الخطاب، وقالت حضرموت قتله مالك بن عمرو
الحضرمي، وقالت ربيعة: حريث بن جابر الحنفي (الجعفي).
انظر الطبري ٦ / ٢٠ ابن الأثير ٢ / ٣٨٠ الاخبار الطوال ص ١٧٨ مروج الذهب ٢ / ٤٢٧ وقعة صفين
ص ٣٠٠.
(٤) كذا بالأصل، والأوضح " اللغا " أي الباطل.
(٥) وقعة صفين ص ٣٠٠: بذى الرمث أسد قد تبوأ غرقدا.
(٦) التلدد: التلفت يمينا ويسارا في حيرة وتبلد.
(٧) يعني امرأته. وكان تحت عبيد الله أسماء بنت عطار بن حاجب بن زرارة التميمي وبحرية بنت
هاني بن قبيصة الشيباني، وكان قد أخرجهما معه إلى الحرب في ذلك اليوم لينظر إلى قتاله (شرح
النهج لابن أبي الحديد ١ / ٤٩٩) وكانت ابنة قبيصة حاولت اقناعه بعد المسير إلى القتال، (وكان قد
خرج في ذلك اليوم قومها وكانوا مع علي للقتال) فرماها بقوس فشجها، وكانت قد قالت له: أخاف
أن يقتلوك، وكأني بك قتيلا وقد أتيتهم أسألهم أن يهبوا لي جيفتك. (مروج الذهب ٢ / ٤٢٧).

قال: واختلفوا في قتله، فقال قوم: قتله حريث بن خالد، وقالت همذان:
 بل قتله هانيء بن الخطاب، وقالت حضرموت: بل قتله هانيء (١) بن عمرو
 السبيعي، وقالت بنو بكر: بل قتله محرز بن الصحصح وأخذ سيفه ذا الوشاح.
 والخبر الصحيح أن الذي قتله عبد الله بن سوار العبدي وصار سيفه إلى معاوية (٢).
 وقد رثاه كعب بن جعيل التغلبي (٣) في قصيدة له حيث يقول:
 ألا إنما تبكي العيون لفارس * بصفين أخلت (٤) خيله وهو واقف
 تبدل من أسماء أسياف وائل * وكان فتى لو أخطأته المتالف
 تركن (٥) عبيد الله بالقاع مسلما * يمج ذعافا والعروق نوازف (٦)
 ينوء وتغشاه نواجع (٧) من دم
 كما لاخ في جيب القميص الكفائف
 دعاهن (٨) فاستمعن م أين صوته * فأقبلن عتبي والعيون ذوارف
 وقد صيرت حول ابن عم محمد * لدى (٩) الموت شهباء المناكب شارف
 فما برحوا حتى رأى الله نصرها وحتى أنارت (١٠) بالأكف المصاحف
 تموج ترى الرايات بيضا (١١) كأنها * إذا أجنحت للطعن طير عواكف
 جزى الله قتلانا بصفين خير ما * أثيب (١٢) عبادا غادرتها المواقف
 فهذا شاعر معاوية قد قال فيه قصيدة، وأما شاعر علي فلم يهجه ولكن قال فيه

-
- (١) الاخبار الطوال: مالك
 (٢) انظر ما مر قريبا.
 (٣) عن الطبري ٦ / ٢٠ وبالأصل " الثعلبي " وذكر بعض الأبيات، وانظر الاخبار الطوال ص ١٧٨ ووقعة
 صفين ص ٢٩٨.
 (٤) في المصادر: أجلت.
 (٥) في الاخبار الطوال: فأضحى.
 (٦) المصراع في الطبري: " تمج دم الخرقى والعروق الذوارف " وفي الاخبار الطوال: " تمج دما منه
 والعروق النوازف " وفي وقعة صفين: دماه.
 (٧) في الاخبار الطوال: يتوء وتعلوه سبائب. وفي وقعة صفين: ينوء وتغشاه شآبيب.
 (٨) أي دعا نساءه. انظر ما مر في ذلك قريبا.
 (٩) الاخبار الطوال: وقد ضربت حول ابن عم نبينا من الموت.
 (١٠) وقعة صفين: صبرهم وحتى أتيحت.
 (١١) الاخبار الطوال: " حمرا " وفي وقعة صفين: فيه.
 (١٢) الاخبار الطوال: جزى.

هذه الأبيات (١):

يقول عبيد الله لما بدت له * سحابة موت تقطر الموت والدماء
ألا بالقوم اصبروا إن صبركم * أعف وأجحى عفة وتكرما
فلما تدانى القوم للطعن حشدا * فخر (٢) فلاقى الترب كفيه والفما
وخلف أطفالا يتامى أذلة * وخلف عرسا تسكب الدمع بالدماء
وقد كان في الحرب المحلة باغيا (٣) * وقد كان يحمي غيره إن تكلما
ذكر ما كان بعد ذلك من القتال

قال: فلما قتل عبيد الله بن عمر وتقدم معاوية بين يديه ثمانون علما، كل علم منها في يد رئيس من رؤساء عسكره، وليس من علم إلا ومن ورائه خلق عظيم من أهل الشام، ورئيس هؤلاء بجمعهم رجل من حمير يقال له أصبح بن ذي الجوشن. قال: فصاح علي بأصحابه، فتقدم عمار بن ياسر في نفر من سادات أهل العسكر حتى وقف (٤) بين الجمعين وصاح بالناس، فاجتمع خلق عظيم من أصحاب علي رضي الله عنه، فكبروا واحملوا على أهل الشام واختلط (٥) القوم للقتال، فتضاربوا بالسيوف حتى تقطعت وصارت كالمناجل، وتطاعنوا بالرماح حتى تكسرت. ثم جثوا على الركب فتحاثوا بعضهم في وجوه بعض، ثم تعانقوا وتكادموا ثم افترقوا وتراموا بالحصى والحجارة ثم تحاجزوا. وقد قتل من الفريقين زهاء ألف رجل.

قال: فجعل الرجل من أهل الشام يمر على الرجل من أهل العراق فيقول:
كيف آخذ إلى رايات بني فلان؟ فيقول: ههنا لا حفظك الله ولا عافاك! ويمر
العراقي على الشامي فيقول: كيف آخذ إلى رايات بني فلان؟ فيقول: لا هداك الله
ولا كلاك. قال. فأنشأ همام بن الأغفل الثقفي من أصحاب علي في ذلك يقول:
قد قرت العين من الفساق * ومن رؤوس الكفر والنفاق

(١) الأبيات في وقعة صفين ص ٢٩٩ ونسبت إلى كعب بن جعيل.

(٢) في وقعة صفين: فلما تلاقى القوم خر مجدلا صريعا...

(٣) في وقعة صفين: حلالا لها الخطاب لا تنقيهم.

(٤) بالأصل: وقفوا.

(٥) بالأصل: اختلّفوا.

إذ ظفرت (١) كتائب العراق * نحن قتلنا صاحب المراق
وقائد البغاة والشقاق * ونحن أهل الدار والاحراق (٢)
لما لففنا ساقهم بساق * بالضراب والطعن مع العناق
و سل بصفين لدى التلاق * لقد لقيناهم على المصداق (٣)
نجد بالسيف مع المراق * ضربا يدمي عكر الأعناق (٤)
قال: وجاء الليل فحجز بين الفريقين، فرجع بعضهم عن بعض، وأقبل إلى
معاوية رجل من أجلاء أهل الشام (٥) حتى وقف بين يديه، فقال: يا معاوية! إنه قتل
منا في هذا اليوم سبعمائة رجل من مقاتلة أهل الشام، ولم يقتل من أصحاب علي إلا
أقل من ذلك، وأنت الذي تفعل بنا ذلك، لأنك تولي علينا من لا يقاتل معنا، مثل
عمرو بن العاص وبسر بن (أبي) أرطاة وعبد الرحمن بن خالد وعتبة بن أبي سفيان،
و كل واحد من هؤلاء إنما يقاتل ساعة ثم يخرج من الغبار، فإن وليت علينا رجلا مثله
حتى نقاتل معه فذاك، وإلا فلا حاجة لنا فيك - والسلام - . قال: ثم ولي مغضبا
و أنشأ يقول:

معاوي إما تدعنا لعظيمة * فنحن لها إن لم نحام على الحقب (٦)
فول علينا من يحوط ذمارنا * من الحميريين الملوك على العرب
و لا تأمرنا بالتي لا نريدها * ولا تجعلنا للهوى موضع الذنب
و لا تغضبنا والحوادث جممة، عليك فيفشو اليوم في جهر (٧) الغضب
أفي كل يوم لا يزال يقودنا * إلى الموت فجفاج إذا الحرب اقترب
يحامي علينا ساعة ثم يمتری * بساقية خراج الغبار من الكرب (٨)

- (١) في وقعة صفين ص ٣٨٣: ظهرت.
(٢) كذا، لعلها " والإحراق " إشارة إلى إحراق باب دار عثمان أثناء حصار أهل الأمصار له. راجع ذلك
" حصار عثمان ومقتله ".
(٣) وقعة صفين: تنبأ بتبيان مع المصداق.
(٤) كذا بالأصل " عكر " تحريف، والصواب: عقر الأعناق أي أصلها.
(٥) هو المزحف اليحصبي، من أجلاء القحطانيين. وقعة صفين ص ٤٤١ وقد نسب إليه الأبيات الآتية.
(٦) المصراع في وقعة صفين: يلبس من نكرائها الغرض بالحقب.
(٧) وقعة صفين: يحصب.
(٨) يشير إلى هروب عمرو بن العاص وقد ضربه الأشر على وجهه، فهرب راکضا إلى عسكره.

يقول له والموت أهون جرعة * علينا من العار المهجن للحسب عليك العفا ما هبت الريح إننا * سنصبر إن لم يصبر القوم من هرب وعمرو وبسر والجبان ابن خالد (١) * وعتبة الفرار في حومة الذهب على أن عمرو البؤس في القوم مثله * ولكن رماه (القدر) (٢) بالشؤم والعطب فليس له حظ سمين وإنما * يعيش الفتى بالحظ والدلو بالكرب قال: فدعاه معاوية فترضاه، وقال: يا أخا حمير! فإني لا أولي عليكم إلا من تحبون بعد هذا اليوم، وأنزل الأمر حيث تريدون.

قال: فلما كان من غد وثب معاوية فعبي أصحابه ثم قال: يا أهل الشام! دعوا ما مضى، إني أريد منكم اليوم أن تجددوا في حربكم وتقدموا عزمكم وتفرغوا مجهودكم، وسلوني حوائجكم. قال: فوثب عك والأشعريون فقالوا: يا معاوية! إننا قد قاتلنا معك علي بن أبي طالب، ثم إن قلوبنا لتميل إليه لأننا لا نشك في حقه و لا نشك في باطلك، غير أننا قوم من أهل الشام فلم تحب أن تخرج أيدينا من طاعتك، وقد علمت أنه ليس لنا ضياع ولا قرى، إنما نحن أصحاب إبل وغنم، فنريد منك الفرض والقطائع والعقارات وإلا والله قلبنا أعنة الخيل إلى غيرك. فقال معاوية: نعم والله وكرامة لكم، فهاتوا ما الذي تريدون؟ قالت عك (٣): أما نحن فإننا نريد الفرض والعطاء، وقال الأشعريون: نريد منك أن تقطعنا حوران (٤) و الثنية (٥) فيكون لنا ولعقبنا من بعدنا، فقال معاوية: فإني قد فعلت ذلك وكرامة لكم.

قال: وبلغ أصحاب علي ذلك، فلم يبق خلق من أهل العراق ممن كان في قلبه مرض أو شك إلا وطمع في معاوية وشخص ببصره نحوه أو هم أن يصير إليه،

(١) هو عبد الرحمن بن خالد بن الوليد. وعتبة بن أبي سفيان.

(٢) زيادة لاستقامة الوزن.

(٣) في وقعة صفين ص ٤٣٣ فقال ابن مسروق العكي: اجعل لنا فريضة ألفي رجل في ألفين، ومن هلك فابن عمه مكانه.

(٤) حوران: كورة واسعة من أعمال دمشق من جهة القبلة، ذات قرى كثيرة ومزارع وحرار (معجم البلدان).

(٥) الثنية: كذا بالأصل، ولعل الصواب ثنية: وهي قرية بالشام بين دمشق وأذرعات (معجم البلدان).

حتى فشا ذلك في الناس. قال: فوثب المنذر بن حفصة الهمداني (١) إلى علي بن أبي طالب فقال: يا أمير المؤمنين: إن عكا والأشعريين قد طلبوا من معاوية الفرض و العطاء والعقارات من حوران والثنية وغير ذلك، قد باعوا الدين بالدنيا واشتروا الضلالة بالهدى، ونحن قد رضينا بالآخرة من الدنيا، وبالعراق من الشام وبك من معاوية، والله إننا لنعلم أن آخرتنا لأشرف (٢) من دنياهم، وأن عراقنا لخير من شامهم، وأن إمامنا لأهدى من إمامهم، فعليك بالصبر واحملنا على الموت، فهذا نحن بين يديك وتحت ركابك، ثم أنشأ بعد ذلك يقول:

إن عكا سألوا الفرائض والأشعر * سألوا (٣) حوران والثنية
 تركوا الدين للعقار وللفرض * فكانوا بذاك شر البرية
 و سألنا حسن الثواب من الله * وصبرا على الجهاد ونية
 فلكل ما سأله ويراه * كلنا يحسب الخلاف خطية
 و لأهل العراق أحسن في الحرب * إذا (٤) كلت الرجال نقية
 و لأهل العراق اصبر في النقع * إذا ثارت العجاج عشية
 ولأهل العراق احمل للثقل * إذا عمت البلاد (٥) بلية
 ولأهل العراق أعرف بالله * وبالدين والأمر السنية
 ليس منا من لم يكن لك في الله * وليا يا ذا الولا والوصية
 قد بذلنا النفوس في طاعة الله * لكيما تنال دارا عليية
 حبد القتل في السبيل فلا بد * لنا من ورود حوض المنية
 حسبنا منك ما يبلغنا اليوم * إلى مثله ورب البنية

قال: فأدناه علي منه وقبل بين عينية، وقال: أبشروا! فإني أرجو من الله أن تكونوا ممن يجاور محمدا صلى الله عليه وآله وسلم غدا في جنة النعيم.

(١) كذا، وفي الإصابة المنذر بن أبي حميصة الوداعي. والوداعي نسبة إلى وادعة وهي بطن من همدان (الاشتقاق).

(٢) وقعة صفين ص ٤٣٦: لآخرتنا خير...

(٣) وقعة صفين: سألوا جوائز بثنية.

(٤) في وقعة صفين: إذا ما تدانت السمهرية.

(٥) وقعة صفين: العباد.

قال: ودنا (١) القوم بعضهم من بعض، فاقتتلوا ساعة وارتفع الرهج والقتام
ساطعا في السماء، فقال عمرو بن العاص: ويحكم! على من القتام والغبرة؟
فقالوا: على ابنك محمد وعبد الله، قال: فصاح عمرو بغلامه وردان وقال:
و يحك يا وردان! قرب إلي اللواء، فقال له معاوية: ليس على ابنك بأس فلا تنقض
الصف! فقال عمرو: إني ولدتهم ولم تلدهم.
قال: وتقدم وفي يده اللواء وهو يرتجز ويقول:
هل تعنين وردان عني قبرا * أو تعنين عن حبيب مسعرا
و ابن خديج بيننا والمنذرا * إني أرى الموت أتاني أحمر
خالطت جمعا للمسمى حيدرا
قال: فسمع علي شعره فجعل يرتجز ويقول: يا عجباً لقد رأيت منكرا * كذبا على الله
يشيب الشعرا

يسترق السمع ويغشى البصرا * ما كان يرضى أحمد لو خيرا
أن يعدلوا وصية والأبترا (٢) * شاني النبي واللعين الأهورا
كلاهما بجنده قد عسكرا * قد باع هذا دينه إذ فجرا
من ذا بدنيا بيعه قد خسرا * بملك مصر إن أصابا ظفرا (٣)
لا تحسبني يا بن عاص غمرا (٤) * سل بي بدرا ثم سل بي خبيرا
كانت قريش يوم بدر جزرا * إني إذا ما الموت يوما حضرا
أضمرت ناري ودعوت قنبرا * قدم لوائي لا تؤخر حذرا
لن ينفع الحاذر ما قد حذرا * ولا أخوا الحيلة عما قدرا
دعوت همذان وأدعو حميرا * لو أن عندي يوم حرب جعفرا
أو حمزة الليث الهمام الأزهرا * رأت قريش نجم ليل أنهرا
قال: ثم صاح علي بالأشتر فحمل في أهل الكوفة، وصاح بعبد الله بن عباس

(١) بالأصل: ودنوا. خطأ.

(٢) الأبتري يعني به العاص بن وائل، ولد عمرو، وفيه نزل قوله تعالى (إن شائتكم هو الأبتري) وكان قد
فحش علي النبي (ص) بعد وفاة ابنه.

(٣) يشير إلى وعد معاوية لعمرو - إن هما ظفرا - بملك مصر طعمة له.

(٤) بالأصل: " عمرا " تحريف. والغمر بفتح أوله وثانيه من لم يجرب الأمور، القليل الحنكة والخبرة.

فحمل في أهل البصرة، وحمل علي في أهل الحجاز، فما بقي لأهل الشام صف إلا انتقض.

قال: وجعل (١) أهل الشام ينظر بعضهم إلى بعض، ولا يقدرّون على الكلام لما هم فيه من الدهش والهموم. قال: وترك الناس راياتهم وتفرق (٢) أصحاب علي، فصار علي إلى رايات ربيعة فوقف معهم، وجعل أصحابه يطلبونه فلا يقدرّون عليه، وأقبل الأشتر (٣) جريحا وهو يلهث من العطش، فلما نظر إلى علي وهو واقف عند ربيعة كبر ثم قال (٤): يا أمير المؤمنين! خيل كخيل ورجال كرجال، والفضل لنا إلى ساعتنا هذه والحمد لله، فعد إلى مكانك الذي كنت فيه فإن الناس إنما يطلبونك هنا لك. قال: وأقبل الحسن والحسين ومحمد ابن الحنفية وعبد الله بن جعفر ومحمد بن أبي رضي الله عنهم وغيرهم من أهل البيت وسيوفهم منحضوبة بالدماء، وأنشأ الأشتر يقول:

كل شيء سوى الإمام صغير * وهلاك الإمام خطب كبير
قد أصبنا وقد أصيبت لنا اليوم * رجال بزل حماة صقور
واحد منهم بألف كبير * إن ذا من ثوابه لكثير

إن ذا الجمع لا يزال بخير * فيه نعمى ونعمة وسرور
من رأى عزة البوصي علي * إنه في دجى الحنادس نور
إنه والذي يحج له الناس * سراج لذي الظلام منير
من رضاه إمامه دخل الجنة * عفوا وذنبه مغفور
بعد أن يقضي الذي أمر الله * به ليس في الهدى لخبير

قال: فقال عدي بن حاتم الطائي: يا أمير المؤمنين! إن قوما أنست بهم و كنت فيهم عند هذه الجولة (٥) في هذه الحرب الشديدة لعظم حقهم عليك، والله إنهم لصبروا عند الموت وعند اللقاء، فقال علي رضي الله عنه: وإنهم لدرعي

(١) بالأصل: وجعلوا تحريف.

(٢) بالأصل: وتفرقوا.

(٣) في الأخبار الطوال ص ١٨٦ عدي بن حاتم.

(٤) نسب هذا القول في وقعة صفين إلى الأشعث بن قيس.

(٥) يريد ربيعة، وكانت أكثر من صبر في تلك الساعة. انظر الأخبار الطوال ص ١٨٦ مروج الذهب

٨٢٤ / ٢

وسيفي ورمحي. قال: وأنشأ رجل من ربيعة يقول (١):
أتانا أمير المؤمنين فحسبنا * على الناس طرا أجمعين بها فضلا
على حين أن زلت بنا النعل زلة * ولم تترك الحرب العوان لنا نجلا
وقد أكلت منهم ومن فوارسا * كما تأكل النيران في الحطب الجزلا
فكنا له في ذلك الوقت جنة * وكنا له من دون أنفسنا نصلا
فأبنا بفضل لم ير الناس مثله * على قومنا طرا وكنا له أهلا
وقال لنا: أنتم ربيعة جنتي * ودرعي التي ألقى بأعراضها النبلا
ورغبه فينا عدي بن حاتم * بأمر جميع صادق القول والفعلا
فإن يك أهل الشام أودوا بهاشم * وأودوا بنبهان وأبقوا لنا ثكلا
فابن بديل فارس كل بهمة * وغيث خزاعي به يدفع المحلا
فهذا عبيد الله والمرء حوشب * وذو كلع أضحوا برايته قتلي
قال: وجاء الليل فحجز بين الفريقين، ومر زيد بن عدي بن حاتم بنخال له من
طيء يقال له حابس بن سعد فراه قتيلًا، فوقف عليه ينظر إليه وقال: ليت شعري من
قتلك! فقال رجل من بني حنظلة (٢) من أصحاب علي رضي الله عنه: أنا قتلته،
قال: ولم قتلته؟ قال: لأنه من أصحاب معاوية، قال زيد: وإن كان من أصحاب
معاوية فإنه خالي، ثم شد عليه زيد بن عدي فضربه على أم رأسه فقتله، ثم مر هاربا
إلى معاوية فصار معه، فسر معاوية بمصير زيد بن عدي إليه، واغتم علي بن أبي
طالب بقتل الحنظلي ولهرب زيد بن عدي. قال: واغتم عدي بن حاتم لذلك غما
شديداً، وندم زيد بن عدي على ما فعل فأنشأ يقول:
تطاول ليلي واعتراني وساوسي * ببيعي الهدى بالترهات البسابس
فتركي عليا في صحاب محمد * وقتلي أخا معن لمصرع حابس
فيا ليت شعري هل لي اليوم توبة * أنا صح فيها الله وهو آتسي
فإن تطمعوني اليوم أرجع تائباً * ولا أتقي إلا جدار الدهارس
قال: فقام عدي بن حاتم إلى علي رضي الله عنه فقال: يا أمير المؤمنين! إن

(١) نسب العشر للشني (وقعة صفين ص ٤٠٥ وذكرت فيه الأبيات).

(٢) في وقعة صفين ص ٥٢٢: من بكر بن وائل.

ابني زيدا لا كلاه الله قد قرر بالظنة وهو موضع التهمة، غير أنني إذا ذكرت مكانك من الله عز وجل ومن محمد صلى الله عليه وآله وسلم ومكاني منك اتسع (١) جناني وطابت نفسي، وو الله لو

وقع زيد في يدي لقتلته، ولو كان ميتا لما حزنت عليه، ثم أنشأ عدي يقول:

أيا زيد قد جرعتني منك غصة (٢) * وما كنت للثوب المدنس لا بسا

فليتك لم تخلف و كنت كمن مضى * وليتك إذا لم تمض لم تر حابسا

ألا أن قد أغنى عدي بن حاتم * غناك وأمسى بالعراقين دانسا (٣)

و حامت عليه جرول وحماتها * وأصبح في الأعداء تفري الفوانسا (٤)

نكصت على العقبين يا زيد ردة * وأصبحت قد جدعت منا المعاطسا

قتلت امرءا من خير مرء بحابس * فأصبحت مما كنت ترجوه آتسا

قال: فبلغ زيد بن عدي ما قال أبوه، فخشى أن يقتل، فهرب أيضا من عند

معاوية حتى لحق بخيل طيء، ولم يأت أباه حتى مات.

قال: وأصبح القوم وقدم كعب على معاوية من حمص، فقربه معاوية وأدناه

و بره وكساه، قال: فجعل كعب يحدث معاوية بالرخص ولا ينكر عليه ما هو فيه من

قتاله عليا.

قال: وعبي رضي الله عنه أصحابه، فقال عمرو بن العاص لمعاوية:

ائذن لي أن آتي ميسرة علي فإنهم قوم من ربيعة وهم أخوالي، فلعلي أرد عنك

بعضهم إذا أنا شككتهم في الذي هم فيه، قال: فقال معاوية: أبا عبد الله! أنا

و أنت كما قال الأول: كبر عمرو عن الطوق (٥)، أما أنا فإنني لا أحب لك أن تصير

(١) في وقعة صفين ص ٥٢٣: ارتفع حناني، وطال نفسي.

(٢) في وقعة صفين: يا زيد قد عصبتني بعصابة.

(٣) البيت في وقعة صفين:

ألا زاد أعداء وعق ابن حاتم * أباه وأمسى بالفريقين ناكسا

(٤) البيت في وقعة صفين:

و حامت عليه مذحج دون مذحج * وأصبحت للأعداء ساقا ممارسا

(٥) هو عمرو بن عدي بن نصر اللخمي ابن أخت جذيمة الأبرش. مثل يضرب في ارتفاع الكبير عن هيئة

الصغير. انظر قصة المثل في أمثال الميداني ١ / ٥٦، أمثال الضبي ص ٦٨، الفاخر لابن عاصم

ص ٧٣، الحيوان ٦ / ٢٠٩ القاموس (طوق).

إليهم، فإن أحببت ذلك وأتيتهم فكن منهم على حذر.
قال: فأقبل عمرو على بغلة له شهباء حتى دنا من ميسرة علي رضي الله عنه،
ثم نادى بأعلى صوته: يا أهل أُمي! أنا عمرو بن العاص، فليخرج إلي رجل
منكم! قال: فخرج إليه رجل بن عبد القيس يقال له عقيل بن ثويرة، فقال له
عمرو: من أنت يا بن أخ؟ فقال: أنا رجل من عبد القيس، شهدت يوم الجمل،
فأبلاني الله بلاء حسنا، وأنا اليوم على ما كنت عليه أمس، وو الله إن لو كان بعدي
رجل هو أعدى لك مني لما خرجت إليك، ويحك! أما تستحي وأنت شيخ قريش؟
أنت تؤثر معاوية على علي، وتبيع دينك بمصر، وتنصر رجلا من الطلقاء على رجل
من سادات المهاجرين والأنصار، قال: فتبسم عمرو ثم قال: يا بن أخ! أحب أن
يخرج إلي غيرك، فقال الرجل: والله لا يخرج إليك إلا من هو مثلي في عداوتك،
ثم رجع إلى أصحابه.

و خرج إلى عمرو رجل من بني تيم يقال له طحل بن الأسود بن ردلج، فقال له
عمرو: من أنت يا بن أخ؟ فقال: أنا من لا يقيلك عثرتك ولا يقبل معذرتك ولا
يرحم عبرتك ولا ييلعك ريقك، أما والله لقد أخذت دنيا دنية فانية بآخرة عند الله
باقية، ولقد خالفت عليا وأنت لتعلم أنه خير من معاوية، فقال عمرو: ليس لهذا
دعوتك يا بن أخ! ولكن هل فيكم رجل من عنزة؟ قال: نعم، قال عمرو:
فادعه (١) إلى.

قال: فرجع الرجل وخرج إلى عمرو رجل من عنزة فانتسب له، فرحب به
عمرو، فقال له العنزي: أما الترحيب فإني أردته عليك، وأما السلام فإني لا أبالي
به، فلا تظن أنني دون صاحبي اللذين خرجا إليك من قبلي، فو الله ما خرجت إليك
إلا وأنا أريد أن أجيبك بما يسوءك، وأنا الذي أقول:
يضرب الشام يا إمامة بالحق* وأهل العراق بالتمحيص
و ابن هند يدعو إلى النار* وكعب يدعو إلى الترخيص
باعه القوم دينهم بمناه* عرض بيع من البيوع رخيص
و علي يدعو العباد إلى الله* وفيما يقول عمرو نكوص

(١) بالأصل: فادعوه. تحريف.

و عزيز عليه ما عنت القوم * حريص وذاك غير حريص
يا حماة العراق لا تسأموا اليوم * في الضرب والطعان القريص
أطلقوا هذه النفوس عن الفرش * وقرب النساء ولبس القميص
واحملوها على مباشرة الموت * فما عن لقائه من محييص
تغلبوهم والراقصات على الشام * بحكم الوصي للتمحييص
فقال له عمرو: يا هذا! إنه ما أتاني أحد أشد علي منك، فأخرج إلي رجلا
من بني هظيم.

قال: فرجع العنزي وخرج إلى عمرو رجل من بني هظيم فانتسب لعمرو، فإذا
هو من أخواله، فقال له عمرو: إنه لم يلقيني (١) أحد أحب إلي منك، لأنك من
أخوالي، فالقني بالجميل حتى أفارقك. فقال: قل ما تشاء! فقال عمرو: إني إنما
أتيتكم حمية مني لكم فلا تفضحوني، واعلموا أن العرب لا بد لها من ذكر صفين بعد
هذا اليوم، فلا تنكسوا رأسي، واكفوني أمركم ودعونا وعلينا وأصحابه، قال: فقال
له الرجل: يا عدو الله! أتخطب إلينا عقولنا؟ فقال عمرو: لا لعمر الله ما أخطب
إليكم عقولكم، ولكن شرحبيل بن ذي الكلاع الحميري يزعم بأنكم لستم بأكفاء في
الحروب، فلماذا جئتمكم، قال: فقال له الهظيمي: اغرب! قبحك الله وقبح كالأعا
كلها، وقبح لما جئت به.

فانصرف عمرو إلى عسكره وأنشأ يقول:

نبذت إلى أهل العراق رسالة * وصلت بها أرحام بكر بن وائل
وقلت لهم إن اليماني ناصب * بها قومه الأذنين دون القبائل
أنفت لكم إذ قال ما قال جاهلا * وما ذاك في قحطان أول جاهل
كرهت ضرابا للعداة فإنما * أراد بذلك القول قطع الوسائل
و إنكم لستم بأكفاء قومه * وإن كفاة القوم أهل الفضائل
فقولوا إذا لاقيتم القول قوله * ألا ليس منا القوم من لا يقاتل
و إلا فأنتم بالذي قال نفعه * يتيهان للجرعاء أو شحم آكل
قال: فطمعت ربيعة في ود عمرو بن العاص وجعل بعضهم يقول لبعض: إن

(١) بالأصل: لم يلقيني. تحريف.

ابن أختنا غضب لنا لما كان من كلام ابن ذي الكلاع الحميري، قال: فوثب نعيم بن هبيرة الشيباني فقال: يا معشر ربيعة! لا تغتروا بمقالة عمرو بن العاص لكم، فكما حرضكم على أصحاب معاوية فكذلك قد حرض أصحاب معاوية عليكم، فاعلموا ذلك، ثم أنشأ يقول في ذلك:

تمنت رجال ود عمرو سفاهة* وفي وده والراقصات لنا الفنا
أراد ورب البيت حقا فناءنا* وقال لهم مثل الذي قاله لنا
يقول له دين ودنيا قليلة* وفي الدين يا بن العاص فيه لنا غنا
فإن تك دنيا لا تدوم أخذتها* بدينك فاصبر عند مختلف القنا
فلا تقبلوا منه الذي جاءكم به* فإن ابن عاص الله ما زال مفتنا
إلى الله إلا أن صدرك واغر* وإن ابن هند واغر الصدر بالقنا
قال: فدنا (١) القوم بعضهم من بعض، وجعل علي يقول لأصحابه: تقدموا علي بركة الله وعليكم بالسكينة والوقار، وسيما الخير وزينة الإسلام، فإنكم إنما تقاتلون ابن آكلة الأكباد والأبتر ابن الأبتر (٢) والوليد بن عقبة شارب الخمر المجلود في الإسلام (٣)، وقبل اليوم ما قاتلوني وشتموني وأنا إذ ذاك أدعوهم إلى الهدى ودين الحق، وهم يدعونني إلى عبادة الأصنام، إن هذا لخطب جليل، إن فساقا كانوا عندنا غير مرضيين وعلى الإسلام وأهله متهمين، قد خدعوا شطرا من هذه الأمة، فأشربوا قلوبهم حب الفتنة، واستمالوا أهواءهم بالكذب والبهتان حتى نصبوا لنا الحرب، وجدوا في إطفاء نور الله، والله متم نوره ولو كره الكافرون، اللهم أقلل حدهم وشتت كلمتهم! فإنه لا يذل من واليت ولا يعز من عاديت.

خبر غرار بن الأدهم

قال: وخرج رجل من أهل الشام يقال له غرار بن الأدهم، ولم يكن بالشام رجل أفرس منه ولا أقدم في الحرب، فجعل يحول بين الصنفين ويطلب البراز، فعرفه (٤) الناس فتحاموه ولم يخرجوا إليه. قال: فبينما هو كذلك إذ نظر إليه رجل من

(١) بالأصل: فدناوا.

(٢) يريد: عمرو بن العاص.

(٣) مر ذلك، راجع سبب عزله عن ولاية الكوفة.

(٤) بالأصل: فعرفوا. خطأ.

أصحاب علي رضي الله عنه يقال له العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم، فقال غرار بن الأدهم: من ذلك الفارس؟ ف قيل له: العباس بن ربيعة الهاشمي، قال: فناداه غرار بن الأدهم: يا عباس! فوقف العباس فقال: قل ما تشاء! فقال: هل لك في البراز؟ فقال له العباس: هل لك في النزول؟ فإنه آئس للقفول، فقال: قد شئت ذلك.

قال: والعباس بن ربيعة على فرس له أدهم كالغداف، وعليه درع سابغ، وفي يده سيف له، وكان عينيه سراجا سليط، وعيناه يبصان من تحت المغفر كأنهما (١) عينا أرقم، فرمى بنفسه عن فرسه، ورمى غرار بن الأدهم بنفسه عن فرسه وهو يقول:

إن تركبوا فركوب الخيل عادتنا * أو تنزلون فإننا معشر نزلوا
قال: ثم جمع كل واحد منهما (٢) فضلات درعه في منطقتة، ودنا كل واحد منهما (٢) من صاحبه، وكف (٣) أهل العسكر من أعنة خيولهم ينظرون إلى الرجلين. قال أبو العز التميمي: فوالله ما شبهتهم إلا بما قال أبو ذؤيب الهذلي حيث يقول:
فتنازلا وتوافقتا (٤) خيلاهما * وكلاهما بطل اللقاء مخدع (٥)
قال: ثم إنهما تضاربا بسيوفهما (٦)، فما قدر واحد منهما على صاحبه لكمال لأمتة.

قال: وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه ينظر إليهما فلا يقدر أحد على صاحبه.

(١) بالأصل: كأنهما. خطأ.

(٢) بالأصل: منهم.

(٣) بالأصل: وكفوا.

(٤) عن جمهرة أشعار العرب ص ١٣٢ وبالأصل: فتیان لا فتواقعت.

(٥) عن جمهرة أشعار العرب وبالأصل مشيع. ومخدع بالدال غير معجمة أي قد خدع في الحرب مرات حتى استحکم. ومن رواه بالذال معجمة قال: معناه مقطع في الحروب مرات يريد بذلك كثرة ما جرح.

و البيت من مرثية لأبي ذؤيب وقد قتل له ثمانية بنين، وقيل هلکوا بالطاعون ومطلعها:

أمن المنون وربها نتوجع * والدهر ليس بمعتب من يجزع

(٦) بالأصل: " ثم إنهم تضاربوا بسيوفهم " تحريف.

قال: ونظر العباس بن ربيعة إليه وهو يتميز في الدرع الشامي أوتهن - فإن كان و هيا فإنه من السقوط، كما قال الله تعالى: (وانشقت السماء فهي يومئذ واهية) (١)، وإن كان وهنا فإنه من الضعف، كما قال الله تعالى: (وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت) (٢). قال: فنظر العباس بن ربيعة إلى ذلك الوهن في الدرع الشامي، والتقيا (٣) بضربتين، ضربه العباس بن ربيعة على ذلك الوهن ففقدته نصفين.

قال: فكبر (٤) أصحاب علي رضي الله عنه وخنس (٥) أصحاب معاوية، ثم عطف العباس بن ربيعة إلى فرسه فركبه واستوى عليه.

قال أبو العز التميمي: فقال له علي بن أبي طالب: يا أبا العز! من المبارز لعدونا؟ فقلت: ابن شيخكم العباس بن ربيعة! قال: فصاح بن علي: يا عباس! يا أمير المؤمنين! أفيدعوني عدوي إلى البراز فلا أخرج إليه؟ فقال علي: نعم إن طاعة إمامك أوجب عليك من مبارزة عدوك. قال: ثم حول وجهه إلى ناحية القبلة ورفع كفيه وقال: اللهم! لا تنس هذا اليوم للعباس.

قال: والتفت معاوية إلى أصحابه فقال: ما الذي قتل غرار بن الأدهم؟ فقبل له: العباس بن ربيعة بن الحارث الهاشمي، فقال معاوية: أيها الناس! من خرج إلى العباس فقتله فله عندي من المال كذا وكذا، قال: فوثب رجالان لخميان من بني لخم من اليمن فقالا (٧): نحن نخرج إليه، فقال: اخرجوا (٨) إليه فأيكما (٩) سبق

(١) سورة الحاقة الآية ١٦.

(٢) سورة العنكبوت الآية ٤١.

(٣) بالأصل: " والتقوا " تحريف.

(٤) بالأصل: فكبروا.

(٥) بالأصل: وخنسوا.

(٦) بالأصل: بمراكزكم.

(٧) بالأصل: فقالوا.

(٨) بالأصل: اخرجوا.

(٩) بالأصل: فأيكم.

إلى قتله فله من المال ما قد بذلت له وللآخر مثل ذلك.
قال: فخرجوا جميعاً حتى وقفوا (١) في ميدان الحرب، ثم صاحوا بالعباس ودعاه
إلى البراز، فقال العباس: إن لي سيدياً حتى استأذنه في ذلك.
قال: ثم جاء إلى علي رضي الله عنه فقال: يا أمير المؤمنين! هذان رجلان
من أصحاب معاوية قد خرجا (٢) ليدعوانني إلى البراز، فقال له علي: ود معاوية أنه لا
يبقى من بني هاشم نافخ ضرمة، ثم قال: إلى ههنا! فتقدم إليه العباس، فقال له
علي: انزل عن فرسك واركب فرسي، وهات سلاحك وخذ سلاحي. قال: ثم
نزل علي رضي الله عنه عن فرسه ورمى سلاحه إلى العباس وأخذ سلاح العباس،
فلبسه واستوى على فرسه، ثم خرج حتى وقف بين الجمعين كأنه العباس في زيهِ
و سلاحه وفرسه، قال: فقال له اللخميان: أذن لك سيدك! فقال علي: ليخرج من
الكذب: (اذن للذين يقتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير). (٣)
قال: فتقدم إليه أحد الرجلين فالتقيا بضربتين، ضربه علي رضي الله عنه
ضربة على مرق بطنه فقطعه نصفين. قال: فظن (٤) الناس أنه أخطأه، ثم تحرك
الفرس فسقط الرجل قطعتين، وغار فرسه وصار إلى عسكر رضي الله عنه.
قال: وتقدم الآخر فألحقه علي بصاحبه، ثم جال في ميدان الحرب وهو
يقول: (الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمت قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا
عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين) (٥).
قال: ثم رجع علي رضي الله عنه إلى موقفه وعلم معاوية أنه علي بن أبي
طالب، فقال: قبح الله اللجاج! إنه ليعود ما ركبتة إلا خذلت. قال: فقال
عمرو بن العاص: المخذول والله اللخميان لا أنت، فقال: اسكت أيها الإنسان!
فليس هذه الساعة من ساعاتك، فقال عمرو: إن لم تكن من ساعاتي فرحم الله

(١) بالأصل: " فخرجوا جميعاً حتى وقفوا " خطأ.

(٢) بالأصل: خرجوا خطأ.

(٣) سورة الحج الآية ٣٩.

(٤) بالأصل: " فظنت " .

(٥) سورة البقرة الآية ١٩٤.

اللخمين، ولا أظنه يفعل، فقال معاوية: إن لم يفعل فذاك أطبق لحجرك وأحسر لصفحتك.

قال: واختلط (١) الفريقان، فجعلوا يقتتلون من غير مبارزة، وراية بجيلة يومئذ في يد قيس بن مكشوح (٢) فقال: يا معشر بجيلة! خذوا هذه من يدي وادفعوها إلى غيري، فإن غيري في هذا الوقت خير لكم مني، فقالوا: ما نريد غيرك، فقال قيس بن مكشوح: إذا والله لا رجعت حتى أنتهز (٣) بكم إلى صاحب الترس المذهب قال: فتقدم قيس بن مكشوح وهو يرتجز ويقول:
إن عليا ذو أناة وصارم * جلد إذا ما حضر العزائم
لما رأى ما يفعل الأشائم * قام قيام الذروة الأكارم (٥)
لا تستوي أمية وهاشم

قال: ثم حمل بالراية حتى وصل إلى صاحب الترس المذهب، وصاح معاوية: ويلكم دونكم الرجل! فحمل عليه غلام لمعاوية رومي فضرب (٦) يد قيس بن مكشوح فقطعها، وضربه قيس بسيفه فقتله، وأشرعت الأسنة إلى قيس بن مكشوح فقتل رحمه الله، وأخذ الراية بعده عبد الله بن قلع [الأحمسي] فقاتل (٧) فقتل، وأخذ الراية أخوه عبد الرحمن بن قلع فقاتل فقتل، فأخذها العباس (٨) بن

(١) بالأصل: اختلطت.

(٢) هو قيس بن مكشوح بن هلال بن الحارث بن عمرو بن عامر بن علي بن أسلم بن أحمس بن الغوث بن أنمار. (انظر الإصابة - والاستيعاب).

(٣) الطبري ج ٦ / ١٤: انتهى.

(٤) وكان على رأس معاوية رجل قائم معه ترس مذهب يستره من الشمس.

(٥) في وقعة صفين: قام له الذروة والأكارم.

(٦) الطبري: قدم.

(٧) زيد في الطبري، وهو يقول:

لا يبعد الله أبا شداد * حيث أجاب دعوة المنادي

و شد بالسيف على الأعادي * نعم الفتى كان لذي الطراد

و في طعان الخيل والجلاد

(٨) في وقعة صفين لابن مزاحم ص ٢٦٠: "عياش" قال: وكانت راية غطفان العراق مع عياش بن

شريك بن حارثة بن جندب بن زيد بن خلف بن رواحة.

شريك فجرح، فأخذها مسروق بن سلم (١) فقتل، فأخذها صخر بن سمي فجرح، فأخذها عبد الله بن بزار (٢) فقتل.

قال: فحملت جماعة من أصحاب علي رضي الله عنه، فتقدم عتبة بن جويرية (٣) فقال: أيها الناس! إنكم قد ترون ما قتل من أصحاب أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وإن مرعى الدنيا قد أصبح هشيمًا وأصبح شجرها حصيدا (٤) وحلواها

مر المذاق، ألا! وإني منبئكم بأمر صادق، إني قد سئمت من هذه الدنيا وعزفت نفسي عنها، وقد كنت أتمنى الشهادة وأعرض لها في كل جيش (٥)، وفي وقتي هذا وقد طمعت أن لا أحرمتها فما تنتظرون عباد الله في قتال أعداء الله! استبدلوا بالدنيا مرافقة النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين.

قال: فتقدم عتبة بن جويرية وتبعه أخواه (٦) عوف وعبيد الله وهم يقولون: اللهم! إننا نحتسب أنفسنا عندك، ثم إنهم حملوا وهم ثلاثة نفر، فخالطوا أهل الشام فقاتلوا حتى قتلوا منهم أعداد من قتل من أصحاب علي وقتلوا بعد ذلك - رحمة الله عليهم -.

قال: ثم حملت أهل العراق كما كانوا يحملون من قبل واختلطوا، وثار العجاج فلم يبصر أحد أحدًا من شدة الغبرة، وجعل حجر بن عدي يقاتل في تلك الغبرة وهو يقول (٧):

يا ربنا سلم لنا عليا * سلم لنا المهذب التقيا
المؤمن المسترشد المرضيا * واجعله هادي أمة مهديا
لا أخطل الرأي ولا بغيا * واحفظه ربي حفظك النبيا

- (١) في وقعة صفين: مسروق بن الهيثم بن سلمة. قال: إن راية بني نهد بن زيد أخذها مسروق بن الهيثم بن سلمة فقتل.
(٢) وقعة صفين: النزال.
(٣) عن وقعة صفين ص ٢٦٤، وفي الطبري ٦ / ١٥ عقبه بن حديد النمري. وقد صحح في مواضع الخبر.
(٤) الطبري: " خضيدا " وفي وقعة صفين: وأصبح زرعها حصيدا.
(٥) الطبري: " كل جيش وغارة " وفي وقعة صفين: في كل حين.
(٦) في الطبري: وتبعه إخوته عبيد الله وعوف ومالك.
(٧) الأرجاز في وقعة صفين ص ٣٨١.

فإنه كان لنا وليا * ثم اتخذه بعده وصيا
قال: وجعل أبو شريخ الخزاعي يقاتل وهو يرتجز ويقول (١):
يا رب اقصم (٢) كل من يريدنا * وكذ إلهي كل من يكيدنا
حتى يرى معتدلا عمودنا * إن عليا صادقا يقودنا
و هو الذي بفهمه يؤونا (٣) * عن قحم الفتنة إذ تريدنا
قال: وجعل معقل بن قيس الرياحي يقاتل وهو يرتجز ويقول (٤):
يا أيها السائل عن أصحابي * إن كنت تبغي خبر الصواب
أخبرك عنهم غير ما كذاب * فإنهم أوعية الكتاب
فقاتلوا يا معشر الأحزاب * صبرا على (٥) الهيجاء والضراب
قال: وانجلت الغبرة عن القوم وقد قتل من الفريقين بشر كثير، وليس يرجع
أحد عن أحد، فلم يزلوا كذلك إلى أن أمسوا، فحجز بينهم الليل ورجع بعضهم
عن بعض، وأبو واقف الليثي (٦) يقول:
سائل بنا يوم لقينا الأزدا * والخيل تعدو سفرا ووردا
لما قطعنا كفها (٧) والزندا * فاستبدلوا بغيا وباعوا الرشدا
و ضيعوا فيما أرادوا قصدا * سحقا لهم في رأيهم وبعدا
قال: فانصرف حويرثة بن سمي العبدى وسيفه خضيب وهو يرتجز ويقول:
سائل بنا يوم التقينا الفجره * والخيل تعدو في قتام الغبرة
كم من قتيل قد نحرنا منحره (٨) بالقاع من صفين يوم عسكره
قال: وانصرف الحارث بن أبان العجلي وسيفه يقطر دما وهو يرتجز ويقول:

-
- (١) الأرجاز في وقعة صفين ص ٣٨٢.
(٢) وقعة صفين: قاتل.
(٣) عن وقعة صفين، وبالأصل يدودنا.
(٤) الأرجاز في وقعة صفين ص ٣٨٢.
(٥) وقعة صفين: صبر لدى.
(٦) في وقعة صفين: أبو واقد الحارث بن عوف الخشني. (وانظر الإصابة باب الكنى).
(٧) وقعة صفين: كفهم.
(٨) في وقعة صفين ص ٣٨٤: قتلنا تخبره.

سائل بنا عكا وسائل كلبا * والحميريين وسائل شعبا (١)
كيف رأوا طعانها والضربا (٢) * إن لم يكن عند اللقاء غلبا
قال: وانصرف عبد الرحمن بن ذؤيب الأسلمي وقد أثنى بالجراحات وهو
يقول:

ألا أبلغ معاوية بن حرب * أما لك لا تنيب إلى الصواب
أكل الدهر مرعوس جبان * تجارب من يقوم إلى الكتاب
فإن تسلم وتبقى الدهر يوما * نزرک بجحفل صحب الطلاب (٣)
و إلا فالتى جربت منا * لكم ضرب يشيب ذي الغراب (٤)
قال: فبات الفريقان يتأوهان من ألم الجراحات، وأقبل معاوية على عمرو بن
العاص فقال: أبا عبد الله! قد أكلتنا والله هذه الحروب ولا أرانا نأخذ العراق إلا
بهلاك أهل الشام، وأنت تعلم أن رئيس الناس مع علي بن أبي طالب عبد الله بن
عباس، وهو رجل إن قال شيئا لم يخرج علي من رأيه، فهل لك أن تعمل في
خديعته؟ فلعله يأمر عليا أن يكف عن هذه الحروب، فقد والله هلكت الناس، فقال
عمرو: إن مثل ابن عباس لا يخدع، ولو طمعت فيه إذا لطمعت في علي بن أبي
طالب، فقال معاوية: لا عليك إن تكتب إليه رقعة لطيفة وتنظر ما عنده فنعمل على
حسب ذلك.

-
- (١) يريد أهل شعب، وشعب جبل باليمن ونازلوه هم آل ذي شعبين، ومن نزل منهم الكوفة قيل لهم
أيضا: شعبيو الكوفة. ومن نزل منهم الشام يقال لهم الشعبانيون.
(٢) وقعة صفين ص ٣٨٥: كيف رأونا إذا أرادوا الضربا.
(٣) وقعة صفين ص ٣٨٢: شبه هضاب.
(٤) وقعة صفين: لكم ضرب المهند بالذؤاب.

ذكر ما جرى من الكتب بين علي بن
أبي طالب وبين معاوية وعمرو بن العاص
و ابن عباس لما عضهم سلاح أهل العراق
(كتاب عمرو بن العاص إلى ابن عباس)

قال: فكتب عمرو بن العاص إلى ابن عباس (١): أما بعد، فإن الذي نحن
وأنتم فيه يا بن عباس ليس بأول من قاده البلاء وساقه العاقبة (٢)، وأنت رئيس هذا
هذا الجمع بعد ابن عمك، وقد أخذت هذه الحروب منا ومنكم، ولسنا نقول: ليت
الحرب عادت (٣)! ولكننا نقول: ليتها لم تكن! وقد طال هذا بيننا حتى لقد ظننا أن
فيه الفناء، وفي ذلك أقول (٤):

طال البلاء فما يرجى له آس * بعد الإله سوى قول (٥) ابن عباس
قولاً له قول مسرور بحظوته * لا تنس حظك إن التارك (٦) الناسي
يا بن الذي زمزم يسقى الحجيج له * أعظم بذلك من فخر على الناس
كل لصاحبه قرن يساوره * أسد العرين ضواري بين أخياس (٧)

-
- (١) نسخته في الإمامة والسياسة ١ / ١٣١ من تحقيقنا - ووقعة صفين لابن مزاحم ص ٤١٠ - ٤١١.
باختلاف النصوص.
(٢) الإمامة والسياسة: وساقته العاقبة.
(٣) وقعة صفين: غارت.
(٤) الأبيات في وقعة صفين ص ٤١١.
(٥) وقعة صفين: رفق.
(٦) وقعة صفين: الخاسر.
(٧) الأخياس: جمع خيس بالكسر، وهو الشجر الكثير الملتف.

لو قيس بينهم في الحرب لاعتدلوا * الفخر بالفخر (١) ثم الرأس بالرأس فانظر فدى لك نفسي قبل قاصمة * للظهر ليس لها داء ولا آسي قالوا يرى الناس في ترك العراق لكم (٢) والله يعلم ما بالسلم من بأس فيه البقاء وأمر ليس ينكره * إلا الجهول وما النوكي بأكياس إن العراق وأهل الشام لن يجدوا * طعم الحياة مع المستغلق القاسي بسر وأصحاب بسر والذين هم * داء العراق رجال أهل وسواس قوم عراة من الخيرات كلهم * فما يساوى بهم خلق من الناس (٣) أنت الشجاء شجاءها في حلوقهم * مثل اللجام شجاء موضع الفأس فاصدع بأمرك أمر القوم أنهم * خشاش طير رأت طيرا بإحساس قال: ثم عرض عمرو ذلك على معاوية، فقال له معاوية: إني لا أرد كتابك على رقة شعرك.

قال: فلما انتهى كتابه إلى ابن عباس وقرأه أتى به عليا فأقرأه إياه، قال: فضحك علي رضي الله عنه ثم قال: قاتل الله النابغة! ما الذي غره منك؟ يا ابن عباس أجبه عن كتابه.

قال: فكتب إليه ابن عباس (٤): أما بعد، فإني لا أعلم أحدا (٥) من العرب أقل حياء منك، وذلك أنك أتيت معاوية فبعته دينك بالثمن اليسير (٦)، ثم خبطت الناس في عشواء مظلمة طمعا في الملك، فلما لم تر شيئا (٧) أعظمت هذه الدنيا إعظام أهل الذنوب (٩)، وأظهرت فيها زهد أهل الورع، فإن كنت تريد أن ترضي الله عز وجل بذلك فدع مصر وارجع إلى أهل بيت نبيك محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فأما ما ذكرت من

أهل العراق وأهل الشام، فإن أهل العراق بايعوا عليا وهو خير منهم، وأهل الشام

(١) وقعة صفين: العجز بالعجز.

(٢) وقعة صفين: إني أرى الخير في سلم الشام لكم.

(٣) وقعة صفين: فما يساوى به أصحابه كاسي.

(٤) نسخة الكتاب في الإمامة والسياسة ١ / ١٣٢ ووقعة صفين ص ٤١٢ - ٤١٣ باختلاف النصوص.

(٥) الإمامة والسياسة: رجلا.

(٦) الإمامة والسياسة: الأوكس.

(٧) الإمامة والسياسة: فلما ترامينا.

(٨) الإمامة والسياسة: أعظمت الحرب والرماء إعظام أهل الدين.

بايعوا معاوية وهم خير منه، ولست أنا وأنت سوى في الحرب، لأنني إنما أردت الله وأنت أردت مصر، وقد عرفت الشيء الذي باعدك مني، ولا أعرف الشيء الذي قربك من معاوية - والسلام - .

قال: ثم أقبل علي (أخيه) الفضل بن عباس (١) فقال: أجب عني عمرا علي شعره هذا، فأجابه الفضل وهو يقول:

يا عمرو حسبك من خدع ووسواس * فاذهب فما لك في ترك الهدى آس (٢)
إلا بوادر طعن في نحوركم * يشجي النفوس بها في النقع افلاس (٣)
بالسمهري وضرب في شواربكم * يردي الكمامة ويذري قبة الرأس
هذا الدواء الذي يشفي حماتكم (٤) * حتى تطيعوا عليا وابن عباس
أما علي فإن الله فضله * فضلا له شرف عال على الناس
إن تعقلوا الخيل نعقلها مخيسة * أو تبعثوها فإننا غير أنكاس
قد كان منا ومنكم في عجاجتها * من لا يفر وليس الليث كالجاس (٥)
قتل العراق وقتل الشام معضلة (٦) * هذا بهذا وما بالحق من بأس
لا بارك الله في مصر لقد جلبت * شرا وحظك منها حسوة الحاسي (٧)
يا عمرو إنك عار من (٨) مكارمها * والراقصات لأثواب الخنا كأسي (٨)
إن عادت الحرب عدنا فالتمس هربا * في الأرض أو سلما في الأفق يا قاسي
قال: ثم عرض الفضل شعره على علي رضي الله عنه، فقال علي: أحسنت
و لا أظنه يجيبك بعدها بشيء إن كان يعقل، ولعله أن يعود فنعود عليه.
قال: فلما وصل الكتاب والشعر إلى عمرو فأتى به معاوية فأقرأه إياه، ثم

(١) بالأصل: " عياض " تحريف.

(٢) في وقعة صفين فليس لداء الجهل من آسي.

(٣) في وقعة صفين: إلا تواتر... * يشجي النفوس ويشفي نخوة الرأس.

(٤) وقعة صفين: جماعتكم. (٥) وقعة صفين: ما لا يرد وكل عرضة الباس.

(٦) وقعة صفين: قتلى العراق بقتلى الشام ذاهبة.

(٧) وقعة صفين: الكاس.

(٨) وقعة صفين: ... من مغارمها * والراقصات ومن يوم الجزا كاسي.

قال: ما كان أغناني وإياك عن بني عبد المطلب، فقال معاوية: صدقت أبا عبد الله ولكنك قد علمت ما مر علينا بالأمس من القتل والهلاك، وأظن عليا سيباكرنا الحرب غدا ويعمل على المناجزة، وقد رأيت أن أشغله أنا غدا عن الحرب بكتاب أكتبه إلى ابن عباس، فإن هو أجابني إلى ما أريد فذلك، وإلا كتبت إلى علي وتحملت عليه بجميع من في عسكره فإن أجاب، وإلا صادمته وجعلتها واحدة لي أم علي، فهذا رأيي وإنما أريد بذلك أن أجم الحرب أياما، فقد تعلم ما نزل بنا في هذه الأيام، وإن كان عندك رأي غير هذا فهاته، فقال عمرو: أما أنا فأقول إن رجاءك لا يقوم رجاءه ولست بمثله، وهو رجل يقاتلك على أمر وأنت تقاتله على غيره، وهو يريد الفناء وأنت تريد البقاء، وليس يخاف أهل الشام من علي إن ظفر بهم ما تخاف أهل العراق إن ظفرت بهم، وأظنك تريد مخادعة علي، وأين أنت من خديعته، فقال معاوية: فكيف ذلك؟ ألسنا ببني عبد مناف؟ قال: فضحك عمرو ثم قال: بلى لعمرى أنت وهو من بني عبد مناف كما تقول ولكن لهم النبوة من دونك، فإن شئت فاكتب.

قال: فكتب معاوية إلى ابن عباس (١): أما بعد، فإنكم يا معشر بني هاشم لستم إلى أحد أسرع بالإساءة منكم إلى أنصار عثمان، فإن يكن ذلك لسلطان بني أمية فقد ورثتها تيم وعدي قبل بني أمية (٢)، وقد وقع من الأمر ما ترى وأدالت هذه الحروف منا ومنكم حتى استويننا فيها، والذي أطمعكم فينا هو الذي أطمعنا فيكم، والذي أيسنا منكم هو الذي أيسكم منا، وقد رجونا غير الذي كان وخشيننا دون ما وقع، ولستم تلاقوننا اليوم إلا بمثل ما كان بالأمس ولا غدا إلا بمثل اليوم، وقد منعنا بما كان منا الشام، ومنعتم بما كان منكم العراق، فأبقوا على قريش واتقوا الله ربكم، فإنما بقي من قريش ستة رجال: رجلا بالشام أنا وعمرو بن العاص، ورجلان بالعراق علي وأنت، ورجلان بالحجاز سعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمر، ومن هؤلاء الستة رجلا ناصبان لك ولابن عمك، ورجلان واقفان عليكم سعد وابن عمر، وأنت رأس هذا الجمع بعد ابن عمك، ولو بايع (٣) الناس لك بعد عثمان لكننا إلى طاعتك أسرع منا إلى علي، فرأيك فيما كتبت إليك - والسلام - .

(١) نسخة الكتاب في الإمامة والسياسة ١ / ١٣٣ ووقعة صفين ص ٤١٤ باختلاف النصوص.

(٢) زيد في وقعة صفين: ولم تنافسوهم وأظهرتم لهم الطاعة.

(٣) عن الإمامة والسياسة، وبالأصل: بايعوا.

قال: فلما انتهى كتاب معاوية إلى ابن عباس تبسم ضاحكا ثم قال: إلى كم يخطب إلي معاوية عقلي وحتى (متى) أحجم (١) ما في نفسي، ثم كتب إليه (٢):
بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد فقد أتاني كتابك وفهمت ما سطرت فيه، فأما ما أنكرت من سرعتنا إلى أنصار عثمان بالمساءة وسلطان بني أمية فلعمري لقد أدركت حاجتك في عثمان حين استنصرك فلم تنصره حتى صرت إلى ما صرت إليه، وبينك و بينه في ذلك أخو عثمان لأمه الوليد بن عقبة، وأما إغراؤك إيانا بتيم وعدي فأبو بكر و عمر خير من عثمان كما أن عثمان كان خيرا منك، وأما قولك إنه لم يبق من رجال قريش إلا ستة رجال فما أكثر رجالها وأحسن بقيتها وقد قاتلك من خيارها من قاتلك، و لم يخذلنا إلا من خذلك، وأما ذكرك الحرب فقد بقي لك منا ما ينسبك ما كان قبله و تخاف ما يكون بعده، وأما قولك إني لو بايعني (٣) الناس لأسرعت إلى طاعتي فقد بايع (٤) الناس عليا وهو أخو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وابن عمه ووصيه ووزيره وهو خير مني فلم

تستقم له، وإنما الخلافة لمن كانت له الشورى، وأما أنت فليس لك فيها حق لأنك طليق وابن طليق ورأس الأحزاب وابن آكلة الأكباد - والسلام -.

فلما انتهى كتاب ابن عباس إلى معاوية وقرأه قال: هذا فعلي بنفسي، والله لأجهدن أن لا أكاتبه سنة، قال: ثم أنشأ يقول (٥):

دعوت ابن عباس إلى أخذ خطة * وكان امرءا أهدي إليه رسائلي
فأخلف ظني والحوادث جممة * ولم يك فيما (٦) نابني بمواصلي
و لم يك فيما جاء ما يستحقه * وما زاد أن أغلي عليه مراجلي
فقل لابن عباس أراك مخوفا * بجهلك حلمي أنني غير غافل
فأبرق وأرعد ما استطعت فإنني * إليك بما يشجيك سبط الأنامل
و صفين داري ما حييت وليس ما * تربص من ذاك الوعيد بقاتلي
قال: فأجابه الفضل بن العباس وهو يقول:

(١) الإمامة والسياسة: أجمجم.

(٢) نسخته في الإمامة والسياسة ١ / ١٣٤ ووقعة صفين ص ٤١٥.

(٣) عن الإمامة والسياسة، وبالأصل: بايعوني.

(٤) بالأصل: بايعوا.

(٥) الأبيات في كتاب وقعة صفين ص ٤١٦:

(٦) وقعة صفين: فيما قال مني بواصل.

ألا يا بن هند إني غير غافل * وإنك مما تبتغي غير نائل (١)
الآن لما أحببت الحرب نارها * عليك وألقت بركها بالكلاكل
وأصبح أهل الشام صرعى فكلهم (٢) * كفقعة قاع أو كشحمة آكل
وأيقنت إنا أهل حق وإنما * دعوت لأمر كان أبطل باطل
دعوت ابن عباس إلى السلم خدعة * وليس لها حتى (٣) يموت بقائل
فلا سلم حتى يشجر الخيل بالقنا * وتضرب هامات الرجال الأوائل
و آليت: لا تهدي إليه رسالة * إلى أن يحول الحول من رأس قابل (٤)
أردت بها قطع الجواب وإنما * رماك فلم يخطئ بثأر المقاتل
و قلت له: لو بايعوك تبعته * فهذا علي خير حاف وناعل
وصي رسول الله من دون أهله * وفارسه إذ قيل: هل من منازل
فدونكه إذ كنت تبغي مهاجرا * أشم كنصل السيف ليس بناكل (٥)
قال: ثم عرض الفضل شعره على علي رضي الله عنه، فقال له: أنت أشعر
العرب - أو قال: أنت أشعر قریش.

قال: فوصل الكتاب إلى معاوية فقرأه وفهم الشعر، فلم يردعه ذلك إلى أن
كتب إلى علي (٦): أما بعد فلو أنك علمت وعلمنا أن هذه الحروب تبلغ منك ومنا ما
بلغت ما كان جناها على بعضنا بعض، والآن فقد تتهياً لنا أن نصلح ما بقي وندع ما
مضى، وقد كنت سألتك بالأمس، فقد والله ذهب الأخيار والرجال وإنما نحن بنو
عبد مناف وليس لبعضنا على بعض فضل.
فكتب إليه علي رضي الله عنه (٧): أما بعد فقد أتاني كتابك تذكر فيه أنك لو

(١) وقعة صفين ص ٤١٦: وانك ما تسعى له غير نائل.
(٢) وقعة صفين: ضربين خيرة. والفقعة واحدة الفقع وهي ضرب من أردأ الكمأة.
(٣) وقعة صفين: حتى تدين بقابل. (٤) يشير إلى قول معاوية بعدما وصله جواب ابن عباس على كتابه: أنه
لن يكتب إليه إلا بعد سنة كاملة.
(٥) وقعة صفين: "أشم كنصل السيف غير حلال".
(٦) نسخته في الأخبار الطوال ص ١٨٧ الإمامة والسياسة ١ / ١٣٧ وقعة صفين ص ٤٧١ باختلاف يسير
بين
النصوص.
(٧) المصادر السابقة، ونهج البلاغة كتاب رقم ١٧.

علمت وعلمنا أن هذه الحروب تبلغ منا ومنك ما بلغت لم نك نجنها على بعضنا بعض فنحن وإياك بعد من الحرب في غاية ولم نبلغ منها ما نريد، وأما سؤالك (١) إياي الشام فلم أكن بالذي أعطيك اليوم ما منعتك بالأمس (٢)، وليس أهل الشام بأحرص على الدنيا من أهل العراق على الآخرة، وأما قولك إننا بنو عبد مناف فلعمري إننا كذلك ولكن ليست أمية كهاشم، ولا حرب كعبد المطلب، ولا أبو سفيان كأبي طالب، ولا الطليق كالمهاجر، ولا المبطل كالمحق (٣)، وفي أيدينا فضل النبوة التي بها عز الدليل وذل العزيز - والسلام -.

ثم كتب النجاشي إلى معاوية بهذه الأبيات:
ألا أبلغ معاوية بن صخر * مغلغة يسيء بها الرقاق
أتطمع في العراق وساكنيه * وقد جاشت بحومتها العراق
و ناداه أبو حسن علي * بحجته التي ليست تطاق
و أوطى الشام مسألة طحونا * كذكر الطرق يقدمها العتاق
أيا لله درك يا بن هند * وكأس الموت أقطع ما يذاق
فما لك في يدي الأمر حق * وما لك في عواقبه حقاق
فقد ذهب الحياء فلا حياء * وقد ذهب الخلاق فلا خلاق
أتمنعه وأمرك فيه رحب * ويعطيه وقد ضاق الخناق
قال: فلما وصل الكتاب والشعر إلى معاوية ندم إلى ما كتب به إلى علي،
و شمت به عمرو بن العاص وقال: قد نهيتك عن الكتاب إلى علي فلم تنته ولم
تقبل، قال: ثم أنشأ عمرو في ذلك يقول (٤):
ألا لله درك يا بن هند * ودر المرء عن ليث الأسود (٥)
أتطمع لا أبا لك في علي * وقد قرع الحديد على الحديد

-
- (١) النهج: فأما طلبك إلي.
(٢) زيد في نهج البلاغة: وأما قولك إن الحرب قد أكلت العرب إلا حشاشات أنفس بقيت، ألا ومن أكله الحق فإلى الجنة ومن أكله الباطل فإلى النار. وأما استواؤنا في الحرب والرجال فلست بأمضى على الشك مني على اليقين.
(٣) زيد في النهج: ولا الصريح كاللصيق، ولا المؤمن كالمدغل.
(٤) الأبيات في وقعة صفين ص ٤٧٢.
(٥) وقعة صفين: ودر، الأمرين لك الشهود.

وترجو أن تحيره بشك * وترجو أن يهابك بالوعيد
وقد كشفت القناع وجر ثوبا * يشيب لرأسه (١) رأس الوليد
له خيل مسبلة (٣) طحون * فوارسها تلهب كالأسود
يقول لها إذا رجعت إليه * وقد ملت طعان القوم عودي
فإن وردت فأولها ورودا * وإن صدرت فليس بذي صدود
و ما هي من أبي حسن بركن * وما هي من مسائك بالبعيد
و قلت له مقالة مستنفر (٣) * ضعيف الرأي منقطع الوريد
وعز الشام حسبك يا بن هند * من السوءات والرأي الزهيد
و لو أعطاكها ما ازددت عزا * وما لك في استزادك من مزيد (٤)
فلم تكسر بذاك الرأي عودا * سوى ما كان لا بل دون عود (٥)
قال: فغضب معاوية من مقال عمرو ثم قال: يا هذا! إنك لتعظم عليا حتى
كأنه ليس الذي فضحك بالأمس، فرميت بنفسك عن فرسك كاشفا عن عورتك،
قال: فتبسم عمرو ثم قال: أما فضيحتي فإنه لم يفتضح أحد بارز عليا لا، بل ذلك
فخر له، فإن شئت أن تبلو ذلك فتقدم! قال: ثم أنشأ عمرو يقول في ذلك (٦):
معاوي لا تشمت بفارس بهمة (٧) * لقي فارسا لا تعتريه الفوارس
معاوي لو أبصرت في الحرب مقبلا * أبا حسن يهوي عرتك (٨) الوسواس
و أيقنت أن الموت حق وأنه * ليفنيك إن لم تمض في الحرب حابس
فإنك لو لاقيته كنت بومة * أتيح لها صقر من الجو بئس
و ماذا بقي لليوم بعد لقائه * وإن الذي يلقي عليا لآس
دعاك فصمت دونه الأذن حائفا * فنفسك قد ضاقت عليها الأمالس

(١) وقعة صفين: ... وجر حربا * يشيب لهولها.

(٢) وقعة صفين: له جأواء مظلمة.

(٣) وقعة صفين: مستكين.

(٤) وقعة صفين: ولا لك لو أجابك من مزيد.

(٥) وقعة صفين: لركنه ولا ما دون عود.

(٦) الأبيات في وقعة صفين ص ٤٧٣.

(٧) فارس بهمة: يقال فلان فارس بهمة، كما يقال ليث بهمة، والبهمة بالضم: الجيش.

(٨) وقعة صفين: دهتك.

ورويت أن الموت آخر (١) موعد* وأن الذي ناداك فيه الدهارس
و تشمت بي إذ نالني حد رمحه* وعضضني ناب من الحرب ناهس
و إني امرؤ لا قاه لم يبق شلوه* بمعترك تسفى عليه الرامس
أبي الله إلا أنه ليث غابه* أبو أشبل تهدى إليه الفرائس
فإن كنت في شك فارهج عجاجة* وإلا فتلك الترهات البسابس
قال: وأصبح (٢) القوم وهم بعد هذه الأمور على الحرب، وصلى علي الغداة
بغلس (٣)، ثم عبى أصحابه فتقدم (٤) الناس براياتهم وأعلامهم، وزحف إليهم أهل
الشام في تعبيتهم (٥)، وخرج رجل من أهل العراق على فرس له كميته لا يرى منه إلا
حماليق الحدق، وفي يده رمح له، فجعل يضرب بالرمح على رؤوس أصحاب علي
و يقول: سووا صفوفكم! والناس لا يعرفونه، حتى إذا اعتدلت الصفوف والرايات
استقبلهم بوجهه وولى ظهره إلى أهل الشام ثم حمد الله وأثنى عليه ثم قال: احمدا
الله عباد الله واشكروه إذ جعل فيكم ابن عمه نبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم
ووصيه وأحب الخلق
إليه، أقدمهم هجرة وأولهم إيماناً، سيف من سيوف الله صبه على أعدائه، فانظروا
إذا حمي الوطيس وثار القتام وتكسرت الرماح (٦) وتثلمت الصفاح وجالت الخيل
بالأبطال ولا أسمع منكم إلا غمغمة أو همهمة.
قال: ثم حمل على أهل الشام، فقاتل حتى كسر رمحه (٧)، ثم رجع فإذا هو
الأشتر رحمه الله.
قال: فخرج رجل من أهل الشام حتى وقف بين الصفيين ثم نادى بأعلى
صوته: يا أبا الحسن! إني أكلمك (٨)، قال: فخرج إليه على حتى اختلف أعناق

(١) وقعة صفين: أقرب موعد.

(٢) الأصل: أصبحوا.

(٣) وذلك يوم الثلاثاء عاشر شهر ربيع الأول سنة سبع وثلاثين، وقيل عاشر شهر صفر.

(٤) بالأصل: فتقدموا.

(٥) وقد كانت الحرب أكلت الفريقين ولكنها في أهل الشام أشد نكاية وأعظم وقعا، فقد ملوا الحرب
و كرهوا القتال وتضعضت أركانهم.

(٦) وقعة صفين ص ٤٧٤ وتكسر المران.

(٧) في الأخبار الطوال ص ١٨٧ ثلاثة أرماع.

(٨) الأخبار الطوال ص ١٨٧: ادن مني أكلمك.

فرسيهما فقال له الشامي: يا أبا الحسن! إن لك فضلا وقدمًا في الإسلام وهجرة
و سابقة وأخوة وقرابة من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فلا يساميك أحد ولا
يدانيك، فهل لك في
أمر أعرضه عليك يكون فيه حقن دماء هذه الأمة وتأخير هذه الحروب إلى أن ترى في
ذلك رأيك؟ فقال علي: وما ذلك؟ قال: أن ترجع إلى عراقك وترجع إلى شامنا
فنحلي بينك وبين العراق، وتخلي بيننا وبين الشام، فقال علي رضي الله عنه: لقد
علمت أنك إنما عرضت هذا نصيحة وشفقة، ولكن قد أهمني هذا الأمر وأسهرني،
و ضربت أنفه وعينه فلم أجد إلا القتال أو الكفر بما أنزل الله عز وجل، أو يرضى من
أوليائه إن يعصى في الأرض وهم سكوت مدعون له، لا يأمرون بالمعروف ولا ينهون
عن المنكر، فوجدت القتال أهون علي من معالجة الأغلال في نار جهنم قال: فرجع
الشامي وهو يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون (١).

ذكر مقتل عمار بن ياسر رحمه الله

قال: وزحف (٢) الناس بعضهم إلى بعض، فاقتتلوا بالسهم والنبل والرمح
و السيوف وعمد الحديد، فلم يسمع إلا وقع الحديد بعضه على بعض، وهوله في
صدور الجال أشد هولًا من الصواعق. قال: ورفع عمار بن ياسر رأسه نحو السماء
فجعل يقول: اللهم! إنك تعلم أنني لو كنت أعلم أن رضاك في أن أقذف بنفسي في
هذا الفرات (٣) فأغرقها لفعلت، اللهم! وإنك لتعلم أنني لو كنت أعلم أن رضاك في
أن أضع سيفي (٤) هذا في بطني (٥) وأتكىء عليه حتى يخرج من ظهري لفعلت،
اللهم! وإني لا أعلم عملاً هو أرضي لك من جهاد هؤلاء القوم.
قال: ثم أقبل عمار بن ياسر على الناس فقال: أيها الناس! إن هذه الرايات
التي ترونها مع معاوية قد قابلناها مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثلاث مرات
وهذه الرابعة، والله ما

هي بأبرهن ولا أتقاهن، ألا! وإني مقتول في يومي هذا، فإذا قتلت فحطوا عني
سلاحي، وكفوني في ثيابي، وزملوني بدمي، وصلوا علي وواروني في حفرتي،

(١) الخبر في الأخبار الطوال ص ١٨٨ ووقعة صفين ص ٤٧٤ باختلاف يسير في الرواية.

(٢) بالأصل: وزحفوا، خطأ.

(٣) الطبري ٦ / ٢١ البحر.

(٤) الطبري: ظبة سيفي.

(٥) الطبري: صدري.

و دعوني وربي، فإن صاحبكم مخاصم وإنما تختصم الأخيـار فمن فلج فلجت شيعته.

قال: ثم جعل يقول: أيها الناس! هل من رائح إلى الله يطلب الجنة تحت ظلال السيوف والأسنة؟ اليوم لقاء الأعبة محمدا وحزبه. قال: ثم تقدم إلى القوم و جعل يقول (١):

نحن ضربناكم على تنزيهه * فاليوم نضربكم على تأويله
ضربا يزيل الهام عن مقلبه * ويذهل الخليل عن خليله
أو يرجع الحق إلى سبيله.

قال: ثم جعل يكابدهم حملة بعد حملة وهو يقول: يا أهل الشام! والله لو هزمتونا حتى تبلغوا بنا إلى سعفات هجر لعلمنا أننا على الحق وأنكم على الباطل. قال: فاختلط (٢) به أصحاب معاوية وحملوا عليه، وحمل عليه ابن الجون السكوني فطعنة طعنة في شرا سيفه (٣)، ورجع إلى أصحابه وهو لما به. فقال: اسقوني شربة من ماء! قال: فأتاه غلام له يقال له راشد بضياح من لبن، فقال: أبا اليقظان! اشرب هذا اللبن بدل الماء، فلما نظر عمار إلى اللبن كبر وقال: بهذا أخبرني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأن آخر زادي اللبن من الدنيا (٤). قال: ثم شرب فخرج اللبن

من جراحته، فسقط عمار على قفاه ثم تشهد وقضى نحبه - رحمه الله - .
فقال عمرو بن العاص لمعاوية: قد قتل عمار بن ياسر! فقال معاوية: قتل عمار فكان ما ذا؟ فقال: ألا تعلم أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لعمار: " تقتلك الفئة الباغية وإن آخر زادك من الدنيا اللبن " (٥). فقال معاوية: إنما قتله من جاء به إلى الحرب.

(١) الأرجاز في مروج الذهب ٢ / ٤٢٣ وقعة صفين ص ٣٤١.

(٢) بالأصل: فاختلطوا.

(٣) في مروج الذهب ٢ / ٤٢٣ قتله أبو العادية العاملي وابن جون السكسكي. وفي وقعة صفين ص ٣٤١: حمل عليه ابن جون السكوني وأبو العادية الفزاري، فأما أبو العادية فطعنه، وأما ابن جون فإنه احتز رأسه. (وانظر الكامل لابن الأثير ٢ / ٣٨١).

(٤) رواه البيهقي في الدلائل ٦ / ٤٢٠ والإمام أحمد في مسنده ٤ / ٣١٩ والحاكم في المستدرک ٣ / ٣٨٩.

(٥) رواه البيهقي في الدلائل ٢ / ٥٥٢ والأحاديث بذلك مختلفة الأسانيد والطرق نقلها أيضا في الدلائل ٢ / ٥٤٦ وما بعدها في باب ما أخبر به المصطفى (ص) عند بناء مسجده ثم ظهر صدقه بعد وفاته. و انظر البداية والنهاية ٧ / ٢٩٧ وما بعدها (من تحقيقنا).

فقال عبد الله بن عمرو: وكذلك حمزة بن عبد المطلب يوم أحد إنما قتله النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولم يقتله وحشي؟ فقال معاوية لعمرو: نح عنا ابنك هذا الموسوس الذي لا يدري ما يقول.

قال: وجاء علي بن أبي طالب حتى وقف على عمار وهو مزمل بدمه فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، إن امرؤ لم يدخل عليه مصيبة من قتل عمار فما هو من الإسلام في شيء، ثم قال علي: رحم الله عمارا يوم بيعت ورحم الله عمارا يوم يسأل، فوالله لقد رأيت عمار بن ياسر وما يذكر من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثلاثة إلا كان رابعاً، ولا

أربعة إلا كان خامساً، إن عماراً قد وجبت له الجنة في غير موطن ولا موطنين ولا ثلاث، فهنيئاً له الجنة! فقد قتل مع الحق والحق معه، ولقد كان الحق يدور منه حيث ما دار، فقاتل عمار وسالب عمار وشتام عمار في النار.

قال: ثم تقدم علي رضي الله عنه فصلى عليه وصلت عليه أصحاب علي بأجمعهم وأدخل إلى حفرته فدفن، فأنشأ الحجاج بن [عمرو بن] غزية الأنصاري يقول (١):

يا للرجال لعظم الهول أرقني (٢) * وهاج حزني أبو اليقظان عمار
أهوى له ابن جون في فوارسه * من السكون وللهيحاء إعصار (٣)
فاختل صدر أبي اليقظان معترضا * بالرمح قد أوجبت (٤) فيه له النار
كانت علامة بغى القوم مقتلة * ما فيه شك ولا ما فيه إنكار (٥)
قال النبي له تقتلك شردمة * شيطت لحومهم بالبغي فجار
فاليوم يعلم (٦) أهل الشام أنهم * أصحاب تلك وفيها النار والعار
قال: وحمل بعضهم على بعض، فاقتلوا قتالا شديداً، وجعل الأشتر يقاتل
و هو يقول (٧):

(١) الأبيات في مروج الذهب ٢ / ٤٢٣ .
(٢) مروج الذهب: يا للرجال بعين دمعها جاري .
(٣) مروج الذهب: يدعو السكون وللجيشين إعصار .
(٤) مروج الذهب: للرمح، قد وجبت فينا .
(٥) ليس في مروج الذهب .
(٦) مروج الذهب: يعرف .
(٧) الأبيات في مروج الذهب ٢ / ٤٣١ - ٤٣٢ . ووقعة صفين ص ٣٦٤ .

إن تقتلوا منا أبا * اليقظان شيخا مسلما
 فقد قتلنا منكم (١) * لما غدا (٢) ما أعلمنا
 و ذا الكلاع بعده * ومعبدا إذ أقدما
 أضحوا بصفين وقد * لاقوا نكالا مؤتما (٣)
 قال: وتقدم قيس بن [سعد بن] عبادة وجماعة من حماة الأنصار، فقاتلوا
 قتالا شديدا. قال: والمغيرة بن الحارث بن عبد المطلب واقف على فرسه يحرض
 الناس على القتال وهو يقول (٤):
 يا شرطة الله صبرا لا يهولكم * جيش ابن حرب وإن الحرب قد ظهرا
 و قاتلوا كل من يبغي قتالكم * فإنما النصر في الهيجا لمن صبرا
 إن كان عمار قد أودى فلا تهنوا * وقاتلوا القوم لا تولوا الدبرا
 شقوا الصفوف بحد السيف واحتسبوا * في ذلك الخير وأرجوا النصر والظفرا
 و أيقنوا أن من أضحى يخالفكم * أضحى شقيا وأضحى نفسه خسرا
 فيكم وصي رسول الله قائدكم * وولده وكتاب الله قد نشرا
 و لا تخافوا ضلالا لا أبا لكم * سيحفظ الدين والدنيا لمن نصرا
 قال: فقتل من أهل الشام يومئذ زيادة على عدد الحساب، وجاء الليل فحجز
 بين الفريقين، فأنشأ رجل من الأنصار وهو قيس بن [سعد بن] عبادة يقول (٥):
 ما ضر من كانت الأنصار عصيته * أن لا يكون له من غيرهم أحد
 قوم إذا حاربوا طالت أكفهم * بالمشرفية حتى يفتح البلد
 والناس حرب لنا في الله كلهم * مستجمعون فما ناموا ولا فقدوا
 هذا اللواء الذي كنا نحف به * مع النبي وجبريل له مدد
 فالיום ننظره حتى يقيم له * أهل السنان ومن في دينه أود

(١) مروج الذهب: نحن قتلنا حوشبا.

(٢) مروج الذهب: قد.

(٣) مروج الذهب: مؤلما.

(٤) الأبيات في وقعة صفين ص ٣٨٥. باختلاف بعض الألفاظ.

(٥) بعض الأبيات في الاستيعاب (ثلاثة) ونسبت إلى قيس، وبعضها الأبيات الثلاثة الأخيرة في وقعة صفين ص ٣٨٤ ونسبت إلى عرفجة بن أبرد الحشني.

أهل الصلاة قتلناهم بغيهم* والمشركون قتلناهم بما جحدوا حتى تطيعوا عليا إن طاعته* دين عليه يثيب الواحد الصمد من ذاله في قریش مثل حالته* في كل معمعة أو مثله أحد لو عدد الناس ما فيه لما برحت* تتني الخناصر حتى ينفذ العدد هلا سألت بنا والخيل سائحة (١)* تحت العجاجة والفرسان تطرد و خيل كلب ولخم قد أضر بها* وقاعنا (٢) إذ غدوا للموت فاجتلدوا من كان أصبر فيها عند أزمته* إذ الدماء على أجسادها جسدوا (٣) قال: وجزع أهل الشام على قتلاهم جزعا شديدا، فقال معاوية بن حديج (٤) الكندي: يا أهل الشام! قبح الله العيش بعد حوشب وذو الكلاع، والله لو ظفرنا بأهل العراق بعد هلاكهما (٥) بغير مؤنة لما كان ظفرا، فقال يزيد بن أنس: صدقت يا بن حديج (٤) أو تبكي على قتيل إلى أن تنجلي هذه الفتنة، فإن يكن الأمر لنا فأوينا و بكينا، وإن كان لغيرنا فأحرى أن لا نبكي على أحد. قال: وبلغ ذلك معاوية، فأرسل إلى وجوه أهل الشام فجمعهم ثم قال: يا أهل الشام! إنكم لستم أحق بالجزع على قتلاكم من أهل العراق على قتلاهم، والله ما ذو الكلاع فيكم بأجل (٦) من عمار بن ياسر فيهم، ولا حوشب ذو الظليم فيكم بأعظم من هاشم بن عتبة، ولا عبيد الله بن عمر بن الخطاب فيكم بأعظم من عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي فيهم، وما الرجال إلا أشباه، وما التمحيص إلا من عند الله، فأبشروا فإن الله تبارك و تعالی قد قتل من القوم ثلاثة وبقي ثلاثة، قتل عمار بن ياسر وكان فارسهم (٧)، وقتل

هاشم بن عتبة وكان جمرتهم، وقتل عبد الله بن بديل وكان فاعل الأفاعيل، وبقي الأشتر والأشعث وعدي بن حاتم والله قاتلهم غدا إن شاء الله. قال: فقال معاوية بن حديج: يا معاوية! إن تكن الرجال عندك أشباها فليست عندنا كذلك. قال وغضب

(١) في وقعة صفين: شاحبة.

(٢) الوقاع: المقاتلة.

(٣) وقعة صفين: "على أبدنها جسد" وهذا الأبيات الثلاثة نسبت منه إلى عرفجة بن أبرد الخشني.

(٤) عن وقعة صفين ص ٤٥٥، وبالأصل "جريح" تحريف.

(٥) بالأصل "هلاكمهم" وفي وقعة صفين: "قتلها".

(٦) وقعة صفين ص ٤٥٥: بأعظم.

(٧) وقعة صفين: فتاهم.

معاوية [من] (١) ابن حديج من ذلك، فأنشأ بعض أصحابه يقول في ذلك (٢):
معاوي قد نلنا ونيلت سراتنا * وجدع أحياء الكلاع ويحصب (٣)
بذي كلع لا يبعد الله داره * وكل يمان قد أصيب بحوشب
و ما علقت أرماحنا بفوارس * من القوم إلا جدع أنف مرعب (٤)
هما ما هما كانا لكل عظيمة * متى ما أقولن فيهما لا أكذب (٥)
وليس ابن قيس أو عدي بن حاتم * ولا أشتر أندادهم في التجرب
و لو قبلت من هالك قبل فدية * فديتهما بالنفس والأم والأب
قال: ثم دعا معاوية بمعاوية بن حديج الكندي فقال: إن الأشعث بن قيس
رجل من كندة وهو ابن عمك، وقد أحببت أن تكتب إليه تسأله فيه أن يدفع إلينا قتلة
عثمان حتى نقتلهم به ونقعد في منازلنا، فقد والله أهلكننا هذه الحروب، قال:
فكتب معاوية بن حديج إلى الأشعث بن قيس: أما بعد فإنه لن يدخل في الإسلام من
ملوك الجاهلية غيرك وغير ذي الكلاع، فأما أنت فنزلت العراق فكنت سيد أهلها،
و أما ذو الكلاع فنزل الشام فساد أهلها، ثم وقع هذا البلاء وأخذت أنت عليا، وأخذ
ذو الكلاع معاوية، فكان معه إلى أن وافاه أجله، والله ما أنت بالزاري على عثمان
و لا بالراضي عن علي، وإننا لا نسألك أن تأخذ الشام بالعراق ولا معاوية بعلي، لكنا
نسألك أن تسأل عليا أن يدفع إلينا قتلة عثمان أو يحدث الله ذلك أمرا. قال: ثم كتب
إليه بهذه الأبيات:

إنما الشام كالعراق ولكن * دين أهل العراق غير الشام
فلهم دينهم وحب علي * ولنا ديننا وحب الإمام
أفلا حاكم يميز ما بين * الفريقين قبل يوم الخصام
قد ترى أن بالعراق رجالا * بمسميين من رؤوس الأنام

(١) سقطت من الأصل.

(٢) في وقعة صفين: وقال الحضرمي في ذلك شعرا.

(٣) ذو الكلاع ويحصب: قبيلتان (انظر جمهرة أنساب العرب لابن حزم).

(٤) وقعة صفين ص ٤٥٦: منى قومهم منا بجدع موعب.

(٥) وقعة صفين:

هما هما كانا، معاوي، عصمة * متى ما أقله جهرة لا أكذب

كسعيد ومالك وعدي * وشريح وذاك فدس اللجام
و زياد وشيخ كندة حجر * وابن قيس زحر فغير كهام
لا يراوون بالقبيح ولا يطمع * فيهم منا ذوو الأحلام
ثم فيها أخذ الحلال من الله * وقرع السخا وترك الحرام
لا يباري بها سواك من الناس * فخذها يا بن الملوك العظام
قال: فكتب إليه الأشعث: أما بعد فقد ذكرتني من نعم الله تعالى علي ما
أسأله المزيد، وأنا أذكرك من نعم الله عليك ما تعرف ذلك، وأسألك أهون ما
تسألني، أنت المطاع في أهل الشام فاركب وصر إلى من تخلف عن صاحبي
و صاحبك من المهاجرين والأنصار فاسألهم عن الرجلين، وإن كان علي أحق بهذا
الأمر من معاوية اعتزله وأعتتنا عليه، وأن كان معاوية أحق بهذا الأمر من علي اعتزله
و أعتكم عليه، وأما قولكم إنني لست بالزاري علي عثمان ولا بالراضي عن علي،
فما أغناني عن عثمان وأرضاني عن علي، وإنما أنا قاتلك مع إمام هدى قد بايعه (١)
المهاجرون والأنصار، وأنت تقاتلني مع رجل استخلفه (٢) أهل الشام ليس لهم
نصيب في الخلافة ولا في الشورى - والسلام - . قال: ثم كتب إليه بهذه الأبيات:
ويا بن حديج وكنت امرءا * مطاع المقال عظيم الحسب
ويا بن حديج وأنت امرؤ * وري الزناد قويم السبب
تمت بكم كندة في بنيتها * وكندة خير ملوك العرب
فهذا المتوج من نسلهم * ونعم الخليفة ممن ذهب
فكان أبوه مليكا لهم * وكان أبوك مكان الذنب
هي النار تأكل ما أطعمت * إذا أوقدوها وأنت الحطب
دعوت ابن قيس إلى خطة * دعاك إلى مثلها فاقترب
فإما أجبته ففيها التقى * وإما أبيت ففيها العتب
قال: فلما ورد الكتاب علي معاوية بن حديج وفهم شعره غضب، ثم قال
لمعاوية: إنه ما عرضني لهذا سواك، قال: فقال عتبة بن أبي سفيان: إن
الأشعث بن قيس لا يخدع بالكتب، ولكن أتأذن لي في كلامه شفاهها؟ فقال معاوية:

(١) بالأصل: بايعوه، خطأ.

(٢) بالأصل: استخلفوه، خطأ.

ذاك إليك (١).

قال: وكان عتبة لا يطاق لشأنه (٢)، فأقبل حتى وقف قريبا من عسكر علي رضي الله عنه ثم نادى: أين الأشعث بن قيس؟ فصاحت الناس: أبا محمد! هذا عتبة بن أبي سفيان يدعوك، قال: فقال الأشعث بن قيس: إن عتبة غلام مترف ولا بد من كلامه، ثم أقبل حتى وقف قبالة وقال: هات يا عتبة ما عندك! فقال عتبة: يا هذا! إن معاوية لو كان لاقيا من أصحاب علي لقيك أنت خاصة لأنك رأس أهل العراق وسيد قبائل كندة، وقد سلف إلى من عثمان ما سلف، ولست كأصحابك، أما الأشعث فإنه ممن قتل عثمان، وأما عدي فإنه ممن خصص (٣) على قتله، وأما سعيد بن قيس فإنه قلد عليا (٤) دينه، وأما شريح بن هانئ وزحر بن قيس فإنهما لا يعرفان (٥) شيئا غير الهوى، فلا تكن ممن حامى عن العراق تكرما وقاتل أهل الإسلام (٦) حمية وقد (٧) بغضنا من بغض ما أرادوا (٧)، إننا لا ندعوك إلى ترك علي و نصر معاوية، وإننا ندعوك إلى البقية (٨) التي فيها صلاحك وصلاحنا - والسلام - . قال: فقال له الأشعث: إني قد فهمت مقالتك يا عتبة! فأما قولك إن معاوية لا يلقاني فوالله إن لو لقي (٩) لما عظم عني ولا صغرت عنه، وأما قولك أني رأس أهل

العراق وسيد في كندة، فإن الرأس الأمر والسيد المطاع، فهذان جميعا لعلي بن أبي طالب، وأما ما سلف إلي من عثمان فوالله ما زادني عمله غما ولا ولايته شرفا (١٠)،

(١) في الإمامة والسياسة ١ / ١٣٦ أن لقاء عتبة والأشعث كان بطلب من معاوية حيث قال لعتبة: الق الأشعث

وألن له كلاما، فإنه إن رضي بالصلح رضيت العامة.

(٢) في وقعة صفين ص ٤٠٨ " لا يطاق لسانه "

(٣) أي ممن حرض على قتله.

(٤) بالأصل: " علي " تحريف.

(٥) بالأصل: " فإنهم لا يعرفون " تحريف.

(٦) الإمامة والسياسة: الشام.

(٧) العبارة في الإمامة والسياسة: وقد والله بلغنا منك ما أردنا، وبلغت منا ما أردت.

(٨) البقية: الإبقاء. تقول العرب للعدو إذا غلب " البقية " أي أبقوا علينا ولا تستأصلونا. قال الأعشى:

قالوا البقية والخطى يأخذهم

(٩) الإمامة والسياسة: لقيني.

(١٠) الإمامة والسياسة: " ولا عمله غنى " وفي وقعة صفين: " ولا عمله عزا " .

و أما عيبك لأصحابي فإنه لا يقربك إلي، وأما محاماتي عن العراق فإنه من نزل بيتنا حميناه، وأما البقية فلست أحوج إليها منا وسترى رأينا في ذلك إن شاء الله تعالى - والسلام -.

قال: وانصرف عتبة إلى أخيه معاوية بغير شيء، فأنشأ النجاشي شاعر علي رضي الله عنه في ذلك يقول:

يا بن قيس و حارث و يزيد * أنت والله رأس أهل العراق
أنت والله حية تنفث السم * قليل لها غنى الديارق
أنت كالشمس والرجال نجوم * لا يرى ضوءها مع الإشراق
قد حميت العراق بالأسل السمر * وبالبيض كالبروق الرقاق
و أجبنك إذ دعوت إلى الشام * على لوب (١) كالسحوب العتاق
لا تري غير أذرع وأكف * ورؤوس بهامها أفلاق
كلما قلت قد تصرمت الحرب * سقانا كأس المنية ساقبي
قد قضيت الذي عليك من الحق * وسارت بها قلاص الرقاق
و بقي ححك العظيم على الناس * وحق الملوك صعب المراقبي
أنت حلو لمن تقرب بالود * وللشائنين مر المذاق
أترى عتبة اللعين تراه * فوق ضخم من الحمول نساق
لا بس تاج جده وأبيه * لو وقاه من (٣) المنية واق
قال: ثم أقبل معاوية على النعمان بن بشير فقال: أبا قيس! إنني عارف بما تريد أن يكون من الأنصار خاصة بعد عمار بن ياسر، ولكن هل يتهياً لك أن تكلم

(١) في وقعة صفين ص ٤٠٩: "القب" والسحوق بالفتح: النخلة الطويلة.

(٢) البيت في وقعة صفين:

و سعرت القتال في الشام بالبيض * المواخي وبالرماح الدقاق

(٣) وقعة صفين: ردى.

القوم فلعلهم يجيبون إلى أمر من الأمور، فقال النعمان: علي ذلك وأنا صائر إلى القوم (١).

قال: ثم أقبل النعمان بن بشير حتى دنا من عسكر علي رضي الله عنه ثم نادى: أيها الناس! أين قيس بن سعد بن عبادة؟ فليخرج إلي، أنا النعمان بن بشير! قال: فأقبل قيس بن سعد حتى وقف قبالة، ثم قال: هات يا بن بشير ما عندك، فقال النعمان: يا قيس! إنه قد أنصف القارة من رامها (٢)، وقد أنصف من دعا إلى الحق، بأنكم يا معشر الأنصار قد أخطأتم في خذل عثمان يوم الدار وقاتلتم (٤) أنصاره يوم الجمل، فلو كنتم إذ خذلتهم عثمان خذلتهم عليا أيضا لكان الأمر

في ذلك هينا، ولكن خذلتهم حقا ونصرتهم باطلا، ثم لم ترضوا بذلك حتى (٣) بغيتم على أهل الشام أشد البغي، ودعوتهم إلى النزال (٤)، ثم لم ينزل لعلي بن أبي طالب أمر قط له ما بعده إلا وهونتم عليه المصيبة ووعدموه الظفر، والآن فقد أخذت الحرب منا ومنكم، فاتقوا الله في البقية - والسلام -.

قال: فضحك قيس بن سعد ثم قال (٥): ما كنت أظن أنك يا نعمان تحتوي على مثل هذا الكلام وتقوم هذا المقام، أما ذكرك عثمان فقد خذله من هو خير منك و من أبيك، فأما أهل الجمل فإننا قاتلناهم على النكث، لأنهم نكثوا بيعة أمير المؤمنين علي رضي الله عنه بعد أن بايعوه فقاتلناهم على ذلك، وأما معاوية فو الله لو اجتمعت له العرب قاطبة لقاتلته الأنصار خاصة، وأما ما ذكرت من الحروب فنحن في هيجها كما كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نتقي السيوف بوجوهنا والرماح بنحورنا، حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون، ولكن انظر يا نعمان هل ترى مع معاوية إلا (٦)

طليقا وأحزاييا! وانظر أين المهاجرون والأنصار، وأين التابعون بإحسان الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه، وانظر هل ترى مع معاوية غيرك وغير صويحبك مسلمة بن

(١) الخبر في الإمامة والسياسة ١ / ١٣٠ - ١٣١ باختلاف وزيادة. ووقعة صفين ص ٤٤٨ - ٤٤٩.

(٢) مثل. مر التعليق عليه.

(٣) الإمامة والسياسة: " وقتلكم "

(٤) الإمامة والسياسة: حتى أشعلتم الحرب ودعوتهم إلى البراز.

(٥) الإمامة والسياسة ١ / ١٣١ ووقعة صفين ص ٤٤٩.

(٦) الإمامة والسياسة: إلا طليقا اعرابيا، أو يمانيا مستدرجا.

مخلد، والله ما أنتما بدريين ولا عقبيين ولا لكما في الإسلام سابقة، ولئن شغبت علينا اليوم فقد شغب علينا أبوك من قبلك في سقيفة بني ساعدة (١)، فاعزب عني قبحك الله من ابن عم وقبح ما جئت به.

قال: فانصرف النعمان بن بشير إلى عسكره وهو يقول: لقد كنت غنيا عن كلامك يا بن سعد بن عبادة. قال: وانصرف قيس بن سعد إلى عسكره وهو يقول: و الراقصات بكل أشعث أغبر * خوص العيون تحثها الركبان ما ابن مخلد مفلتا أسيافنا * عمن (٢) نحاربه ولا نعمان تركا العيان وفي العيان كفاية * لو كان يدفع صاحبيك (٣) عيان وجدا معاوية بن صخر شبهه * فيها التلبس والبيان يهان ذكرا ابن عفان فقلت ألا أربعا * ما أنتما سفها ولا عثمان ما تعدل الأنصار عنه ساعة * والحق في الأنصار والبرهان و جدت قريشا في الحوادث منطقا * هذا الشقي وصهره مروان لم تبسطوا كفا لنصرة هالك * لا لا ولا عصبت علينا بنان ذكر القوم الذين أنفذهم معاوية

إلى علي بن أبي طالب يكلمونه في وضع الحرب
قال: وأصبح (٤) الناس عازمين (٥) على الحرب، فلم يعب (٦) معاوية أصحابه كما كان يعيبهم من قبل، لكنه وجه إلى علي بجماعة من قريش وغيرهم من أهل الشام يكلمونه، منهم عمرو بن العاص وعتبة بن أبي سفيان وعبد الرحمن بن

(١) وكان بشير بن سعد لما رأى ما اتفق عليه قومه من تأمير سعد بن عبادة قام حسدا لسعد، وكان بشير من سادات الخزرج وخطب في الأنصار ومما قاله: إن محمدا رسول الله (ص) رجل من قريش، وقومه أحق بميراثه وتولي سلطانه، وأيم الله لا يراني الله أنزعهم هذا الأمر أبدا، فاتقوا الله ولا تنازعوهم ولا تخالفوهم (انظر الإمامة والسياسة ١ / ٢٦).

(٢) وقعة صفين ص ٤٤٩: " في من " ويريد يا بن مخلد: مسلمة بن مخلد الأنصاري.

(٣) وقعة صفين: تركا البيان... لو كان ينفع صاحبيه.

(٤) بالأصل: وأصبحوا.

(٥) بالأصل: عازمون تحريف.

(٦) بالأصل: فلم يعبى.

خالد بن الوليد وحيب بن مسلمة والضحاك بن قيس وجماعة من عرب الشام، فأقبلوا حتى وقفوا قريبا من عسكر علي رضي الله عنه. ثم بعثوا إليه يسألونه أن يأذن لهم في كلامه، فقال علي رضي الله عنه ما أمنعهم من ذلك. قال: فأقبلوا حتى دخلوا العسكر، ثم صاروا إلى علي وهو في خيمته، فسلموا، فرد عليهم السلام، و مجلسه يومئذ غاص بالمهاجرين والأنصار، فقال: تكلموا بما أحببتم! فقال عمرو بن العاص: بل أنت فتكلم يا أبا الحسن! فإنك أول من آمن بربنا وبقي حقلك العظيم على الناس، وأنت أول من صدق بنينا محمد (صلى الله عليه وآله)، وصلى إلى قبلتنا، ووحده الله قبلنا، فقال علي: إن أول كلامي أن أثني على الله ربي أحسن الثناء طول الحياة وبعد الممات، وأحمده على طول العافية وحسن البلاء، وفي كل حال من شدة ورخاء، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، بعثه الله رحمة للعالمين وخاتما للنبيين، فأدى عن الله ما أمره، وعبد ربه حتى أتاه اليقين، فصلى الله عليه وسلم كثيرا، ثم إن الله تبارك وتعالى قد ابتلانا أيتها الأمة بما ترون، والمستعان بالله ولا قوة إلا بالله، وبعد فالله يعلم أني كنت كارها أن أتولى شيئا من أمور أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ولكن قوما أنكروا علي عثمان فاجتمعوا

علي قتله، فقتلوه وأنا جالس في منزلي لا آمر ولا ناه، وإنما قتلوه وتذاكروا عني بالبيعة فكرهت ذلك، ثم إن توكلت على الله وأحببت أن يكون بقية عمري في صلاح أمور الأمة، فبايعت القوم على العمل بكتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ثم إن جماعة

ممن بايعني غدر بي ونكث بيعتي، فقد حكم الله بيني وبين بعضهم، والله للبايعين بالمرصاد، ألا! وإني أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبي الله، فإن تجيبوا إلى ذلك فارشد أصبتم وللخير وفقتم، وإن تأبوا ذلك لم تروا من الله إلا بعدا - والسلام - . قال: فلما فرغ علي من كلامه تكلم عمرو بن العاص، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد فإن عثمان - رضي الله عنه وجعل ما أصابه كفارة لذنوبه - قد كان أفضل أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم حسبا ونسبا وقدماء وصهرا، فالله

حسيب قاتله وخاذله، و أيم الله إننا لنعلم أن عليا ومن معه من المهاجرين والأنصار قد كانت لهم سوابق قديمة عظيمة وفضل لا يجهل، وقد رأينا رأيا نسأل الله تعالى فيه التوفيق لما يحب ويرضى، ولعل الله تبارك وتعالى يحقن دماءنا ويصلح ذات البين، وهؤلاء أشرفنا من أهل الشام قد اجتمعوا لذلك، وكذلك أشرف أهل العراق مجتمعون يا أبا الحسن و أنتم يا معشر من حضر.

قال: فقال علي: تكلموا بما تريدون حتى ننظر ما الذي تطلبون. قال فتكلم شرحبيل بن السمط فقال: أما بعد فيا معشر أهل العراق! إن الله تبارك و تعالی قد جعل بيننا حقوقا عظاما من الأرحام الماسة والأنساب القربية والأصهار الشابكة، وقد علمنا يا أبا الحسن! أن لك سابقة مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصهرا وقرابة

و فقها في الدين وبأسا وتجربة وشرفا قديما والله يعلم، وإنك لتعلم أنا قد اقتتلنا لحمية الجاهلية بالسيوف الهندية، لأنها جارات القرب وحصون الحومات، وأنها بيضة الروم، وأما حرما تكم فإنها بيضة فارس، وقد رأينا أن تنصرف عنا يا أبا الحسن أنت ومن معك، فنخلي بينكم وبين عراقكم وحجازكم وتخلونا بيننا وبين شامنا و نحقن دماء المسلمين، والله يعلم أنني قد أتيت بغاية النصيحة وما توفيقى إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب.

قال: فقال علي رضي الله عنه: والله لقد نظرت في هذا الأمر فضربت ظهره و بطنه وأنفه وعينه حتى لقد منعني النوم، فما وجدته يسعني إلا قتالكم أو الكفر بما جاء به محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وأيم الله لو ددت أنني فديت حقن دماء المسلمين بمهجتي،

و لكن قولوا لصاحبكم هذا حتى يخرج إلى هذه الصحراء. ثم إنني أدعو الله ويدعو هو أيضا أن يقتل المحق منا المبطل، ثم إنني أبارزة فأينا قتل صاحبه ملتم معه بأجمعكم، فو الله لا يقاتل مع معاوية أحد إلا أكبه الله غدا في نار جهنم. قال: فالتفت الشامي إلى أصحابه فقال: ما يقعدكم؟ انهضوا! فلا والله ما عند هذا الرجل إلا السيف.

قال: فوثب (١) أهل الشام وهم يقولون: هلكت العرب ورب محمد. ثم رجعوا إلى معاوية فأخبروه بذلك، فعلم معاوية أن عليا لا يجيبه إلى شيء مما يريد. قال: وبات (٢) الفريقان ليلتهم تلك، وليس فيهم أحد ينام لما قد عزموا عليه من مباركة الحرب.

(١) بالأصل: فوثبوا.

(٢) الأصل: وباتوا.

ذكر تحريض أمير المؤمنين علي بن أبي طالب على القتال قال (١): والخطب علي رضي الله عنه أصحابه بعد أن صلى عشاء الآخرة فقال: الحمد لله الذي يبرم ما قضى وقدر، فما أبرمه فلا ينقضه الناقضون، وما نقض فلن يبرمه المبرمون، مع أن الله تعالى لو شاء لما اختلف اثنان من خلقه، ولا تنازعت الأمة في شيء من أمره، ولا جحد المفضول (٢) حق الفاضل، ولو شاء الله ما اقتتلوا، ولكن الله يفعل ما يريد، وقد ساقتنا وهؤلاء المقادير (٣) إلى هذا المكان، ونحن من الله تعالى بمنظر (٤) ومستمع، ولو شاء الله لانتقم وكان معه التغيير (٥)، ولكنه جعل الدنيا دار الأعمال والآخرة دار القرار ليجزي الذين أسأؤوا بما عملوا و يجزي الذين أحسنوا بالحسنى، ألا! وإنكم تقاتلون عدوكم غدا فاطلبوا الليلة القيام وأكثروا فيها من تلاوة القرآن واذكروا الله واسألوه النصر، وعليكم بالحذر والحزم والصبر وكونوا صادقين، ألا! وقد بلغ بكم وبعدوكم ما قد رأيتم ولم يبق منهم إلا آخر نفس، فإن الأمور إذا أقبلت اعتبر آخرها بأولها، وقد صبر (٦) لكن القوم على غير دين حتى بلغوا فيكم ما بلغوا، وأنا غاد عليهم غدا ومحاكمهم إلى رب العالمين.

قال: فوثب (٧) الناس إلى سيوفهم فجعلوا يستحدونها، وإلى رماحهم فجعلوا يسنون أسنتها، وإلى نصالهم فجعلوا يسوون نصالها (٨). قال: ووقع أمر ليس بالهزل، وجعل رجل من أصحاب علي يرتجز ويقول (٩):

(١) الطبري ٦ / ٧ - ٨ باختلاف.

(٢) الطبري: ذا الفضل فضله.

(٣) الطبري: الأقدار فلفت بيننا في هذا المكان.

(٤) الطبري: بمرأى ومسمع.

(٥) إشارة إلى قول الله تعالى: (إن الله لا يغير بما يقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم).

(٦) الأصل: صبروا.

(٧) الأصل: فوثبوا.

(٨) العبارة في الطبري ٦ / ٨: ووثب الناس إلى سيوفهم ورماحهم ونبالهم يصلحونها.

(٩) الأرجاز في الطبري ٦ / ٨ ونسبها إلى كعب بن جعيل التغلبي. (وهو شاعر أهل الشام، ومن أصحاب معاوية).

قد قلت والعين سجال تنكسب * قد أمست الأمة في أمر عجب
و الملك مجموع غدا لمن غلب * والقول عندي صدقه غير كذب (١)
إن غدا يهلك أعلام العرب * غدا نلاقي ربنا فنحتسب
يا رب لا تشمت بنا ولا تعب (٢) * من يجعل الأنداد ربا والصلب (٣)
غدا يكونون رمادا قد كتب * بعد الجمال والحياء والحسب
ذكر تحريض معاوية أصحابه على القتال

قال: ووقع في عسكر معاوية الخوف والحذر والفرع لما قد عزموا عليه إذا
أصبحوا، وجعل معاوية يقول لأصحابه: يا أهل الشام! اعلموا أنكم تقاتلون غدا
إخوانكم من العرب، فكونوا على إحدى ثلاث خصال: إما أن تكونوا قوما تطلبون ما
عند الله بقتال قوم بغوا عليكم وفللوا من بلادهم حتى نزلوا ببيضتكم، وإما أن تكونوا
قوما تطلبون بدم الخليفة عثمان، فإنه خليفتم وصهر نبيكم، وإما أن تكونوا تذبون
عن حريمكم وحرمكم، يولوكم بتقوى الله والصبر الجميل. فأنشأ رجل من أصحاب
معاوية يقول (٤):

ألا ليت هذا الليل أطبق سرمدا * علينا وإنا لا نرى بعده غدا
فإن يك ليلى خائبا لصباحه * وجدت إلى برج الكواكب مصعدا (٥)
و أما فراري في البلاد فليس لي * فرار (٦) وإن جاوزت جابلق مبعدا
حذار علي إنه غير مخلف * يدا له (٧) ما لبي الملبون موعدا
فإني به في الليل ينفض رأسه * على ظهر خوار الرحالة أجردا

(١) الطبري: فقلت قولا صادقا غير كذب.

(٢) وقعة صفين ص ٢٢٦: تصب.

(٣) وقعة صفين: من خلع الأنداد كلا والصلب.

(٤) هو معاوية بن الضحاك بن سفيان صاحب راية بني سليم وكان من أصحاب معاوية، وكان مبغضا
لمعاوية وأهل الشام، وكان يكتب بالأخبار إلى عبد الله بن الطفيل العامري ويبعث بها إلى علي،
و كانت أبياته هذه ليذعر أهل الشام ويفزعهم، وكان معاوية لا يتهمه (وقعة صفين ص ٤٦٨).

(٥) البيت في وقعة صفين:

و يا ليته إن جاءنا بصباحه * وجدنا إلى مجرى الكواكب مصعدا

(٦) وقعة صفين: مقام.

(٧) وقعة صفين: مدى الدهر.

يخوض غمار الموت في مرحجنة * ينادون في نقع العجاج محمدا
من أصحاب بدر والنضير وخيبر * وأحد يروون الصفيح المهندا
و يوم حنين جالدوا عن نبهم * جموعا من الكفار (١) حتى تبددا
فقل لابن هند ما الذي أنت صانع * أثبت أم ندعوك في الحرب قعددا (٢)
قال: فبلغ معاوية شعره فهم بقتله وقال: قاتله الله! لو أصاب خلف جابلق (٣)
مكانا لجاز إليه، قال: فهرب صاحب هذا الشعر في جوف الليل فصار إلى علي
رضي الله عنه فكان معه.

قال: ودخل على معاوية من صباح علي وحر به غم شديد وضاق به ذرعا،
فجعل يشجع نفسه وهو يقول:

يخوفني أبو حسن علي * بياض الصبح والوقت الصباح
فابرق ما استطعت فإن قرني * حديد لا يفله النطاح
و دون الشام قد عاينت طعنا * وبعد الطعن ضربا أو كفاح
فإن يقصر غيابك لا أطله * وإن تجمع ففي رأسي جماح
ستأتيكم ملممة طحون * كركن الطوق مسيلة رداح
تشيب الناهد العذراء منها * فوارسها بأيديها الرماح
و ليس الحرب يخشوه إذا ما * تعاظمت الأمور ولا الجراح
و يذهب ما بقي منا ومنهم * وودوا إنا طحنا وطاحوا
ألم يك في الذي سلفت دليل * على أن الوعيد هو الرياح
و إنا لم نزل نغدوا عليهم * ورحنا في مساءتهم وراحوا
تباعا هكذا شهرا وعشرا * كأن دماءنا سيل مباح
فما فلوا لنا حدا بحد * وما منا حريم مستباح
إذا عدوا لهم يوما عددنا * لنا يوما يفوز به القداح
قال: فلما تقارب الصبح هبت الناس وتحركوا وصهلت الخيل التي عولت من

(١) وقعة صفين: فريقا من الأحزاب.

(٢) القعدد: بضم القاف والذال، الجبان اللئيم القاعد عن الحرب والمكاره.

(٣) جابلق: بأقصى المغرب، ومدينة من رستاق أصبهان (معجم البلدان).

الحرب، وجعل (١) الناس يعقلون ويسبقون ويسرجون ويوثقون آلات، فأنشأ الأشر و هو يقول (٢):

قد دنا الفضل للصباح وللسلم * رجال وللحروب رجال
فرجال الحروب كل خذب * مقحم لا يهيجه (٣) الأهوال
يضرب الفارس المدجج (٤) في النقع * إذا فل في الوغى الأكفال (٥)
يا بن هند شد الحيازيم للموت * ولا يذهبن بك الآمال
إن في الصبح إن بقيت لأمر * يتعوذ من شره الأبطال (٦)
فاصبروا للطعان بالأسل السمر * وضرب يجري به الأمثال
إن تكونوا قتلتم البقر (٧) البيض * وغالت أولاكم الآجال
فلنا مثلهم وإن عظم الخطب * قليل أمثالهم أبدال
يحصبون الوشيح في رهج النقع * وللموت بينهم أذيال
طلبوا الفوز في المعاد وفي ذا * يستهان النفوس والأموال
قال: فكان معاوية إذا ذكر هذا الشعر يقول: شعر منكر قاله فارس العراق.
ذكر الواقعة الخميسية وهي وقعة لم يكن بصفين أشد
منها وصفة ليلة الهيرير

قال: وأصبح الناس وطلعت الشمس وذلك في يوم الخميس، ودعا علي رضي الله عنه بدرع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلبسه وبسيف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فتقلده وبعمامة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاعتجر بها، ثم دعا بفارس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاستوى عليه (٨)، وجعل

-
- (١) بالأصل: وجعلوا.
 - (٢) وقعة صفين ص ٤٦٩.
 - (٣) وقعة صفين: لا تهده.
 - (٤) وقعة صفين: المدجج بالسيف.
 - (٥) فل: هزم. والأكفال: جمع كفل بالكسر، هو من الرجال الذي يكون في مؤخر الحرب، يحصر همته في التأخر والهرب والفرار إذا حمي الوطيس.
 - (٦) وقعة صفين: تتفادي من هوله الأبطال.
 - (٧) وقعة صفين: النفر.
 - (٨) واسمه "المرتجز" ويقال إنه ركب بغلة رسول الله (ص) "الشهباء".

يقول: أيها الناس! من يبع (١) نفسه يربح هذا اليوم، فإنه يوم له ما بعده من الأيام، أما والله، أن لو لا أن تعطل الحدود وتبطل الحقوق ويظهر الظالمون وتفوز كلمة الشيطان ما اخترنا ورود المنايا على خفض العيش وطيبة، ألا! إن خضاب النساء الحناء وخضاب الرجال الدماء، والصبر خير عواقب الأمور، ألا! أنها إحن بدرية و ضغائن أحديه وأحقاد جاهلية وثب بها معاوية حين الغفلة ليذكر بها ثارات بني عبد شمس: (فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا إيمان لهم لعلهم ينتهون) (٢).

قال: فقالت المهاجرون والأنصار: يا أمير المؤمنين! إننا كنا نقاتل معك إلى الساعة على بصيرة و يقين أنك على الحق الواضح، والآن فقد ازددنا بصيرة و يقينا بعد إذ قتل بين يديك مثل عمار بن ياسر، فتقدم أمامنا وها نحن من ورائك.

قال: فتقدم علي ومعه نيف على عشرة آلاف (٣) من بني مذحج ممن يريد الموت قد وضعوا أسيافهم على عواتقهم ما يبين منهم إلا الحدق، وعلي رضي الله عنه يقدمهم وهو يقول:

دبوا ديبب النمل لا تفوتوا * وأصبحوا في حربكم وبيتوا
كي ما تنالوا الدين (٤) أو تموتوا * أو لا فإني طال ما عصيت
قد قلتم لو جئتنا فجئت * ليس لكم ما شئتم فشئت
بل ما يريد المحيي المميت

قال: وتبعه عدي بن حاتم الطائي وهو يقول:
أبعد عمار وبعده هاشم * وابن بديل فارس الملاحم
ترجو البقا من بعد يا بن حاتم (٥) * فقد عضضنا أمس بالأباهم
فاليوم لا يقرع سن نادم * لا بد أن يحمي حمى المحارم
ليس امرء من يومه بسالم
قال: وتبعه مالك الأشتر وهو يقول:

-
- (١) بالأصل: يبيع.
(٢) سورة التوبة الآية ١٢.
(٣) وقعة صفين ص ٤٠٣: ما بين عشرة آلاف إلى اثني عشر ألفا.
(٤) وقعة صفين: حتى تنالوا الثأر.
(٥) وقعة صفين ص ٤٠٣: نرجو البقاء مثل حلم الحالم.

حرب بأطراف القنا تأجج (١) يهلك فيها البطل المدحج
يقدمها (٢) همدانها ومدحج * قوم إذا ما حسموها انضجوا
سيروا لبر الله (٣) لا تعرجوا * دين قويم وسبيل منهج
قال: ثم حمل علي رضي الله عنه في هؤلاء العشرة آلاف حملة رجل واحد،
فما بقي لأهل الشام صف إلا انتقض وهمدت الناس واحمرت حوافر الخيل بالدماء.
قال: والتفت معاوية إلى عمرو بن العاص فقال: أبا عبد الله اليوم صبرا وغدا
فخرا، فقال عمرو: صدقت يا معاوية! ولكن اليوم حق والحياة باطل، وإن حمل
علي في أصحابه حملة أخرى فهو البراز.

قال: والتفت الأشر إلى بني عمه فجعل يحرضهم وهو يقول: يا لمذحج!
عضضتم بصم الجندل، فما أرضيتم ربكم ولا نكبتم له في عدوكم، وأنتم أبناء
العرب، وأصحاب الغارات، وفتيان الصياح، وفرسان الطراد، وحتوف الأقران،
و مذحج الطعان. ثم حمل وحملت معه قبائل العرب مع مذحج، فتحيرت أهل
الشام من فعالهم، والأشر يومئذ على فرس له أدهم ذنوب، في يده صفيحة له
يمانية، إذا طأطأها خلت فيها لهيبا (٤)، وإذا رفعها يغشى البصر (٥) من شعاعها، فهو
يضرب بها قدما قدما، فلا يصمد لكتيبة إلا كشفها وهو يقول:
أهلي فداكم قاتلوا عن دينكم * فالجبن عن أعدائكم يشينكم
و الله إن ناصحتم يعينكم * فاحموا حماكم وامنعوا قطينكم
قال: ثم حمل فطاعن حتى كسر رحمه على قربوص سرجه ووقف وهو يقول:
الغمرات ثم تنجلينا (٦) * نحن بنو الحرب بها غدينا

(١) وقعة صفين ص ٤٠٤: حرب بأسباب الردى تأجج.

(٢) وقعة صفين: يكفيكها.

(٣) وقعة صفين: روحوا إلى الله.

(٤) في وقعة صفين ص ٢٥٤: خلت فيها ماء منصبا.

(٥) يغشى البصر أي يذهب به، وفي قوله تعالى: (فأغشيناهم فهم لا يبصرون) وترد: يعشى،

و العشا: ضعف الإبصار.

(٦) في أمثال الميداني: هو للأغلب العجلي. وفيه: غمرات ثم ينجلين، وانظر جمهرة العسكري في

الكلام على هذا المثل.

قال: فقال رجل من أصحاب علي لله در هذا الرجل لو كانت له نية، ولكن أظن أنه إنما يقاتل هذا القتال رياء وسمعة، ولا أظنه يريد بفعاله هذا ما عند الله.

قال: فبلغ كلامه الأشر، فغضب من ذلك ثم أنشأ يقول:

أيها الجاهل المسئء بي الظن * ليس مثلي يجوز فيه الظنون

لست ممن باع الهدى بهواه * إن من باع دينه مغبون

إنما يطلب المتاع من الناس * سفيه في رأيه مفتون

حسبي الله في الحوادث والرمح * وسيف مهند مسنون

و دلاص مثل الإضاء وطرف * أعوجي كأنه مجنون

وهوأي الذي يقربه العين * وبالحق قد تفر العيون

إن مثلي من الرجال قليل * حين يبدو من النساء البرين

هكذا كنت يا فوارس لحم * وكذا في الذي يكون أكون

قال: فندم اللخمي على ما قال في الأشر، ثم أنشأ يقول:

أصابت ظنوني في رجال كثيرة * وأخطأت في ظني بأشتر مالك

و ما كان فيما قلت إثم وإنما * ترضيته أن لا أعود لذلك

ظننت به ظني بعمر و فإنه * وصاحبه راما عظيم المهالك

قال: وزالت الشمس وذهب وقت الصلاة والحرب قائمة على ساق، قال:

و صاح علي رضي الله عنه بالمهاجرين والأنصار فقال: إن الفرار عن الحرب في مثل

هذا اليوم إرداد عن الحق ورغبة عن دين الإسلام، أما سمعتم الله تبارك وتعالى

يقول: (ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا أخباركم) (١) فما

انتظاركم إن كنتم تريدون الجنة؟

قال: فكان أول من تقدم أبو الهيثم بن التيهان (٢) وجعل يرتجز ويقول:

أحمد ربي وهو الحميد * ذاك الذي يفعل ما يريد

ذاك الذي عذابه شديد * من ينج منه فهو السعيد

هذا علي ما له نديد * دين قويم وهو الرشيد

(٢) سورة محمد الآية ٣١.

(٢) عن الطبري والإصابة، وفي الأصل: "النبهان" تحريف. واسمه مالك بن التيهان.

ثم حمل فقاتل حتى قتل رحمه الله! فرثته امرأة من الأنصار فأنشأت تقول شعرا (١).

قال: ثم تقدم خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين فجعل يرتجز ويقول (٢):
قد مر يومان وهذا الثالث * هذا الذي يبحث فيه الباحث
هذا الذي يلهث فيه اللاهث * يوم عبوس والعبوس كارث
كم ذا يرجى أن يعيش الماكت * والناس موروث وفيهم (٣) وارث
هذا علي من عصاه ناكث

ثم حمل فقاتل حتى قتل رحمه الله! فقالت فيه ابنته منيعة (٤) هذه الأبيات:
عين جوذي على خزيمة بالدمع * قتيل الأحزاب يوم الفرات
قتلوا ذا الشهادتين عيانا (٥) * أدرك الله منهم بالترات
قتلوه في فتية غير عزل * يسرعون الركوب للدعوات
نصروا أحمد الموفق ذا العدل فدانوا بذاك حتى الممات
قبح (٦) الله معشرا قتلوه * ورموه (٧) بالخزي والآفات
قال: وتقدم خالد وخلدة ابنا أبي خالد الأنصاري (٨)، فجعل خالد يرتجز
و يقول:

(١) وفي وقعة صفين ص ٣٦٥: وقالت أمينة الأنصارية ترثي مالكا:
منع اليوم أن أذوق رقادا * مالك إذ مضى وكان عمادا
يا أبا الهيثم بن تيهان إني * صرت للسهم معدنا ووسادا
إذ غدا الفاسق الكفور عليهم * إنه كان مثلها معتادا
أصبحوا مثل من ثوى يوم أحد * يرحم الله تلکم الأجسادا
(٢) وقعة صفين ص ٣٩٨.

(٣) وقعة صفين: ومنهم.

(٤) وقعة صفين ص ٣٦٥: ضبيعة.

(٥) وقعة صفين: عتوا.

(٦) وقعة صفين: لعن.

(٧) وقعة صفين: ورماهم.

(٨) في أسد الغابة ٢ / ٧٨ خالد بن أبي خالد غير منسوب. ممن شهد مع علي (رض) من صحابة النبي (ص).

و ورد فيه ٢ / ١٢٢ خلدة الأنصاري الزرقي. صحابي.

هذا علي والهدى يقوده * من خير عيدان قریش عوده
لا يسأم الطعن ولا يؤوده * لكنه يلهبها وقوده
و كل من يقرن به يسوده
قال: وجعل خلدة يرتجز ويقول (١):
هذا علي والهدى أمامه * هذا لوا نبينا قدامه
يقحمه عند الوغى إقدامه (٢) * لا عيبه يخشى ولا أثمه
لا يكره الطعن ولا يسامه * منه غداه وبه إدامه
ثم حملا فقاتلا حتى قتلا جميعا رحمهما الله (٣).
قال: ثم تقدم جندب بن زهير وهو يقول:
أقول لما قد رأيت المعمه * واختلط الجمعان وسط البلقع
هذا علي والهدى حقا معه * يا رب فاحفظه ولا تضيعه
فإنه يخشاك ربي فارفعه * ومن أراد كيده فضعفه
إذا رامه بالبغي منه فاقمه * واسفك إلهي دمه وجعجه
سهر النبي المصطفى قد طاوعه * أول من بايعه وتابعه
نحن نصرناه على من نازعه
ثم حمل فقاتل حتى قتل رحمة الله عليه.
قال: وبكى الأشتر فقال له علي رضي الله عنه: ما يبكيك؟ لا أبكى الله
عيناك! فقال: أبكي يا أمير المؤمنين لأنني أرى الناس يقتلون بين يديك وأنا لا أرزق
الشهادة فأفوز بها، فقال له علي رضي الله عنه: أبشر بالخير يا مالك! ثم تمثل علي
رضي الله عنه بهذا البيت:
أي يوميك من الموت تفر * يوم لا يقدر أو يوم قدر (٤)

(١) الأرجاز في وقعة صفين ص ٣٩٨ ونسبها إلى خالد بن خالد الأنصاري.

(٢) وقعة صفين: يقحمه في بقعة اقدامه.

(٣) بالأصل: " ثم حملوا فقاتلوا حتى قتلوا جميعا رحمهم الله ". وفي وقعة صفين أن خالد طعن ساعة ثم رجع.

(٤) في مروج الذهب ٢ / ٤٢٨:

من أي يومي من الموت أفر * أيوم لم يقدر أم يوم قدر

قال: ونظر (١) أصحاب علي إلى قوم من أصحاب معاوية قد وقفوا على تل عظيم، فحلموا عليهم حتى خالطوهم، ثم ضاربوهم حتى أزالوهم عن ذلك التل، وقتلوا منهم جماعة، فأنشأ المعدل بن نائل العجلي يقول:

لست أنسى مقام غسان بالتل * ولو عشت ما أظل الغمام (٢)
إنهم للخيول أحلاس صدق * عند هيجائها وعند الضرام
سادة قادة [هم و] إذا اعصو * صب يوم القراع خير الكهام
فهم الناس إن ذكرت أناسا * وهم الغر في ذرى الأعلام
ناوشونا غداة سرنا إليهم * بالعوالي وبالسيوف الدوامي
فتولوا ولم يعينوا جميعا * عند وقع السيوف عند الزحام
و أصبنا بكل كهل كريم * صادق البأس سيد قمقام
ذكر صفة ليلة الهرير

قال: وقامت الفرسان في الركب فاصطفقوا بالسيوف وارتفع الرهج وثار (٣) القتام وتضعضت الرايات وحطت الألوية (٤)، وغابت الشمس (٥) وذهبت مواقيت الصلاة حتى ما كان في الفريقين أحد يصلي ذلك اليوم ولا سجد لله سجدة، ولا كانت الصلاة إلا بالتكبير والإيماء نحو القبلة.

قال: وهجم عليهم الليل واشتدت الحرب، وهذه ليلة الهرير، فجعل بعضهم يهر على بعض، ويعتنق بعضهم بعضا، ويكرم بعضهم بعضا (٦).
قال: وجعل علي رضي الله عنه يقف ساعة بعد ساعة ويرفع رأسه إلى السماء وهو يقول (٧): اللهم! إليك نقلت الأقدام وإليك أفضت (٨) القلوب ورفعت الأيدي

(١) بالأصل: ونظروا.

(٢) في البيت اقواء.

(٣) مروج الذهب ٢ / ٤٣١: " وارتفع القتام ". والقتام الغبار المتصاعد من شدة المحاولة خلال المعركة.

(٤) وضلت الألوية والرايات. وفي مروج الذهب ٢ / ٤٣١: وتقطعت الألوية والرايات.

(٥) مروج الذهب: وكسفت الشمس.

(٦) في مروج الذهب: وكان يعتنق الفارس ويقعان جميعا على الأرض عن فرسيهما.

(٧) نهج البلاغة كتاب رقم ١٥: إذا لقي العدو محاربا. ووقعة صفين ص ٤٧٧. باختلاف النصوص.

(٨) أفضت: انتهت ووصلت (شرح محمد عبده - نهج البلاغة).

ومدت الأعناق وطلبت الحوائج وشخصت الأبصار، اللهم افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير ألفا تحين! ثم إنه حمل في سواد الليل وحملت الناس معه، فكلما قتل بيده رجلا من أهل الشام كبر تكبيرة حتى أحصى له كذا كذا تكبيره. قال أبو محمد (١): أحصى له خمسمائة تكبيرة وثلاث (٢) وعشرون تكبيرة (٣)، في كل تكبيرة

له قتييل، قال: وكان إذا علا قد وإذا وسط قط.

قال: وجعلت المشايخ من أهل الشام ينادون في تلك الغمرات: يا قوم! الله الله في البقية! الله الله في الحرم والذرية! والناس يقتتلون ليلتهم تلك حتى أصبحوا، وقد قتل من القوم تلك الليلة ستة وثلاثون ألفا من جحاجة العرب، و ليس فيهم أحد يكيع عن صاحبه. قال: فطلعت الشمس وتعالى النهار وذلك في يوم الجمعة والسيوف تأخذ هام الرجال.

ذكر رفع المصاحف على رؤوس الرماح

قال: فقال معاوية لعمر بن العاص: الله ويحك أبا عبد الله! أين حيلك التي كنت أعرفها منك؟ فقال عمرو: تريد ماذا؟ قال: أريد أن تسكن هذه الحروب، فقد أيبد أهل الشام، وإني لأعلم إن دام هذا الحرب يومنا هذا لم يبق بأرض الشام أحد يحمل سلاحنا، فقال عمرو: إن أحببت ذلك فأمر بالمصاحف أن ترفع على رؤوس الرماح ثم ادعهم (٤) إليها، فإنك إن فعلت ذلك لم يقاتل أحد أحدا، فهذه حيلتي ومكيدتي التي لم أزل أدخرها لك، فعجل برفع المصاحف، قال: فلما سمعت أهل الشام ذلك قال بعضهم لبعض: صدق عمرو، وهذه حيلة ما سبقه إليها أحد.

قال: فأمر معاوية بالمصاحف فرفعت على رؤوس الرماح، وصاح (٥) أهل الشام: يا علي! يا علي! اتق الله اتق الله! أنت وأصحابك في هذه البقية، هذا

(١) هو ابن الأعمش الكوفي، المؤلف.

(٢) بالأصل: ثلاثة.

(٣) في مروج الذهب ٢ / ٤٣١: كان جملة من قتل علي بكفه في يومه وليته خمسمائة وثلاثة وعشرين رجلا أكثرهم في اليوم.

(٤) الأصل: ادعهم.

(٥) بالأصل: وصاحوا.

كتاب الله بيننا وبينكم. قال: ثم أتوا بالمصاحف وبالمصحف الأعظم وهو مصحف عثمان بن عفان، فربطوه على أربعة أرماع (١) ثم رفعوه ونادوا: يا أهل العراق! هذا كتاب الله بيننا وبينكم. فالله الله في البقية والحرم والذرية الصغار! قال: وجعل رجل ينادي بأعلى صوته وهو يقول (٢):

(ف) أهل (٣) العراق أجيئوا الدعاء * فقد بلغت غاية الشدة وقد أودت الحرب بالعالمين * وأهل الحفائظ والنجدة فلسنا ولستم من المشركين * ولا المجمعين على الردة ولكن أناس لقوا مثلهم * لنا عدة ولهم عدة (٤) فقاتل كل على وجهه * يقحمه الجد والجددة (٤) فإن تقبلوها ففيها البقاء * وأمن الفريقين والبلدة وإن تدفعوها ففيها الفناء * وكل بلاء إلى المدة (٥) فحتى متى محض هذا الشقاء (٦) * ولا بد أن يخرج الزبدة (٤) ثلاثة رهط هم أهلها * وإن رعدت فيهم رعدة (٧) سعيد بن قيس وكبش العراق * وذاك المسود من كندة ذكر امتناع القوم من القتال

قال: فعندنا وثب الأشعث إلى علي فقال (٨): يا أمير المؤمنين! أجب القوم إلى كتاب الله، وإلا والله لم يرم معك يمانى بسهم ولم يضرب معك بسيف ولم بطعن معك برمح، فقال علي: ويحك والله ما رفعوا لكم هذه المصاحف إلا خديعة و مكيدة! فقال الأشعث: لا والله ما نأبى ذلك أبدا، فإن شئت فأذن لي أن آتي

(١) في الأخبار الطوال ص ١٨٩: ربط على خمسة أرماع، يحملها خمسة رجال وانظر وقعة صفين ص ٤٧٨.

(٢) الأبيات في وقعة صفين ص ٤٨٣ لإنسان من أهل الشام.

(٣) وقعة صفين: رؤوس.

(٤) في البيت اقواء. وفي وقعة صفين جعل القافية في الأبيات ساكنة.

(٥) وقعة صفين: مدة.

(٦) وقعة صفين: وحتى متى محض هذا السقاء.

(٧) وقعة صفين: وإن يسكتوا تخمد الواقعة.

(٨) قارن مقالة الأشعث مع مروج الذهب ٢ / ٤٣٣ الأخبار الطوال ص ١٩٠ وقعة صفين ص ٤٨٢ الطبري ٦ / ٢٨.

معاوية فأسأله عن هذه المصاحف لماذا رفعت؟ فقال علي رضي الله عنه (١): ذاك إليك.

قال: فأقبل الأشعث حتى وقف قريبا من معاوية، ثم قال: يا معاوية! لماذا رفعت هذه المصاحف؟ فقال: رفعناها لكي نتفق نحن وأنتم عليها. قال: فرجع الأشعث إلى علي فأخبره بذلك.

قال: ثم تقدم رجل من أهل الشام على فرس له أبلق، وفي يده مصحف قد فتحه، ثم وقف بين الجمع (٢) وجعل يقرأ: (ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون) (٣)، وقوله: (وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون) (٤)، وقوله تعالى: (وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين* أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون* إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون) (٥).

قال: وماجت الناس في عسكر علي، فقالت (٦) جماعة: قد أكلتنا هذه الحروب وقلت الرجال. وقال قوم: نقاتل اليوم على ما قاتلنا أمس وإن لم يبق منا إلا القليل.

قال: ثم وثب شقيق بن ثور البكري (٧) فقال: يا أهل العراق! إنكم تعلمون أننا كنا دعونا أهل الشام إلى كتاب الله عز وجل (٨)، فإن رددناه (٩) عليهم حل لهم منا

(١) الطبري: ائته إن شئت فسله.

(٢) هو أبو الأعور السلمي (الأخبار الطوال ص ١٨٩).

(٣) سورة آل عمران الآية ٢٣.

(٤) سورة النور الآية ٤٨.

(٥) سورة النور الآيات ٤٩ - ٥١.

(٦) بالأصل: فقالوا.

(٧) كذا بالأصل ووقعة صفين ص ٤٨٥ وفي الأخبار الطوال ص ١٨٩: النكري وفي الإمامة والسياسة

١ / ١٣٩ سفيان بن ثور.

(٨) زيد في الأخبار الطوال: فردوا علينا، فاستحللنا قتالهم.

(٩) عن الأخبار الطوال، وبالأصل: ارددنا.

ما حل لنا منهم، ولسنا نخاف أن يحيف الله علينا ولا رسوله، وأن عليا رضي الله عنه ليس بالراجع ولا بالناكص ولا الشاك الواقف في أمره، وهو اليوم على ما كان عليه أمس، وقد أكلتنا هذه الحروب، ولسنا نرى إلا البقاء في المواجهة - والسلام - . قال: ثم وثب هانيء أو كردوس بن هانيء البكري (١) فقال: أيها الناس! إننا ما تولينا معاوية منذ تبرأنا منه، ولا برئنا من علي منذ توليناه، وقد علمنا أن قتلتنا شهداء وأحياءنا أبرار، وأن عليا لعل بينة من ربه وما أحب إلا الإنصاف، وكل محق منصف، فمن سالمه نجا ومن خالفه هلك (٢).

قال: ثم وثب خالد بن معمر السدوسي فقال: يا أمير المؤمنين! إننا ما أحرنا هذه المقالة إلا أن يكون (٣) أحدى أولى بهذا الكلام منا غير أننا جعلناه ذخرا لنا، وقلنا أحب الأمور إلينا ما كفيينا مؤنته، فأما إذ سبقنا إلى الكلام فإننا لا نرى البقاء إلا فيما دعاك إليه القوم، فإن رأيت ذلك فأجبهم إليه وإن لم تر ذلك فرأيتك أفضل. قال: ثم وثب الحصين بن المنذر (٤) وكان أصغر القوم سنا فقال: أيها الناس! إنما بني هذا الدين على التسليم فلا تعملوا فيه بالقياس، ولا تهدموه بالشبهة (٥)، و أمير المؤمنين فهو المصدق بما قال والمأمون على ما فعل، فإن قال: لا. قلنا: لا، وإن قال: نعم، قلنا: نعم.

قال: فوثب رفاعة بن شداد البجلي وكان من أفاضل أصحاب علي رضي الله عنه، فقال: أيها الناس! إنه لا يفوتنا شيء من حقنا وقد دعونا القوم إلى ما دعوناهم إليه في أول أمرنا، فإن يتم الأمر على ما نحب وحكم بالقرآن على ما فيه من الحق فبعد بلاء شديد وقتل ذريع، وإن تكن الأخرى أثرتها عجاجة (٦)، فهذه سيوفنا في

(١) في الإمامة والسياسة ١ / ١٣٩ والأخبار الطوال ص ١٨٩: كردوس بن هانيء البكري (وهو من ربيعة).

(٢) الإمامة والسياسة: هوى.

(٣) الإمامة والسياسة: ١ / ١٤٠: يكون أحد أولى به منا.

(٤) عن الطبري والأخبار الطوال ومروج الذهب، وبالأصل: "الحسن بن المنور" وفي الإمامة والسياسة: الحصين.

(٥) وقعة صفين ص ٤٨٥: بالشفقة.

(٦) وقعة صفين ص ٤٨٨: جذعة.

رقابنا وأرماحنا في أكفنا، ثم أنشأ يقول (١):
تطاول ليلى بالهموم الحواضر * وقتلى أصيب من رؤوس العشائر (٢)
بصفين أمسوا والحوادث جممة * يهيل عليها الترب ذيل الأعاصر
فإنهم في ملتقى الحرب بكرة * وقد جالت الأبطال دون المشاعر
فإن تك أهل الشام نالوا سراتنا * فقد نيل منهم مثلهم جزر جاذر (٣)
و فار سجال الدمع منا ومنهم * يبكين قتلى غير ذات مقابر
فإن يستقل اليوم ما كان بيننا * وبينهم إحدى الليالي الغواير
و ما ذا علينا أن تريح سيوفنا * إلى مدة من بيضنا والمغافر
و من نصبنا وسط العجاج جباهنا * كفاحا كفاحا بالسيوف البواتر (٤)
و طعنا إذا نادى المنادي أن اركبوا * صدور المذاكي بالرماح الخواطر
ونحن ضربناهم على رأس أمرنا * فإن حكموا فينا حكومة جائر
أثرنا التي كانت بصفين بكرة * ولم نك في تسعيرها بعواثر
و إن حكموا بالحق كانت سلامة * وإلا أثرناها بيوم قماطر (٥).
قال: ثم وثب إلى علي يومئذ زهاء عشرين ألفا مقنعين في الحديد شائلين
سيوفهم على عواتقهم قد اسودت خيولهم (٦) من كثرة الغبار، ومعهم عصاية من القراء
الذين صاروا بعد ذلك خوارج، فقال له رجل منهم (٧): يا علي! أنت تعلم أننا إنما
قتلنا عثمان بن عفان حين غلبنا وأبي علينا أن يعمل بما في كتاب الله أو نجيب إليه،
و أجب القوم إلى ما دعوك إليه من كتاب الله فقد أنصفوك، وإلا والله دفعناك إليهم
برغمك أو قتلناك كما قتلنا عثمان بن عفان والله لنفعلنها بك إن لم تجب القوم إلى
كتاب الله.

(١) الأبيات في وقعة صفين ص ٤٨٨.

(٢) في وقعة صفين: المعاصر.

(٣) وقعة صفين: مثل جزرة جازر. (٤) وقعة صفين: لوقع السيوف المرهفات البواتر.

(٥) وقعة صفين: ورأي وقانا منه من شؤم تائر.

(٦) في وقعة صفين ص ٤٨٩: اسودت جباههم من السجود.

(٧) في الطبري ٦ / ٢٧ فقال له مسعر بن فدكي التميمي وزيد بن حصين الطائي ثم السنبيسي في عصاية
معهما من القراء الذين صاروا خوارج بعد ذلك.

(وانظر الإمامة والسياسة ١ / ١٤٨ وقعة صفين ص ٤٨٩، الأخبار الطوال ص ١٩١).

قال: فنظر علي رضي الله عنه ساعة ثم قال: يا هؤلاء! إني أنا أول من دعا إلى كتاب الله، وأول من أجاب إليه، ولا يحل لنا إلا الإجابة إليه، غير أنني كنت أمس أميرا فأصبحت اليوم مأمورا، وكنت أمس ناهيا فأصبحت منهيًا، وأراكم قد أحببتم البقاء وكرهتم الحرب، وليس لي أن أحملكم على ما تكرهون. قالوا: فابعث إذا إلى الأشر فادعه (١) إليك فإنه ما يفتر عن الحرب. قال: وكان الأشر رحمه الله أشرف على دخول عسكر معاوية فأرسل إليه علي رضي الله عنه رسولا (٢) أن ارجع، فقال الأشر للرسول: قل لأمير المؤمنين: ليس هذا وقت ينبغي لك أن تزيلني فيه عن موقعي. قال: فارتفع الرهج وعلت الأصوات من ناحية الأشر، فقال القوم: إننا إنما سألناك أن ترد الأشر ولم نسألك أن تأمره بالحرب، فقال علي رضي الله عنه: وكيف علمتم أنني أمرته بالحرب؟ هل رأيتموني وأنا أسار الرسول؟ ألم أكلمه وأنتم تسمعون؟ قالوا: فابعث إليه فليأتك وإلا والله اعتزلناك. قال: فقال علي رضي الله عنه لرجل من أصحابه (٣): اذهب إليه فقل له: ويحك! أقبل فإن الفتنة قد وقعت (٤).

قال: فجاءه الرسول بالرسالة من عند علي رضي الله عنه، فقال الأشر: لعل أمير المؤمنين إنما يدعوني لأجل هذه المصاحف التي رفعت؟ قال الرسول: نعم فارجع، فقال الأشر رحمه الله: أما والله لقد علمت (٥) حين رفعت أنها ستلقي اختلافا وفرقة، وأنها مشورة ابن النابغة (٦) عمرو بن العاص، ثم قال للرسول: ويحك! أمهلني ساعة فإنني قد تقاربت من الفتح، فقال له الرسول: أفتحب أن تظفر وأمير المؤمنين بمكانه ذلك؟ فقال الأشر: سبحان الله! لا والله ما أحب ذلك، قال: فارجع فإن القراء قد قالوا له: ابعث إلى الأشر فليأتك وإلا قتلناك كما قتلنا عثمان.

(١) بالأصل: فادعوه.

(٢) هو يزيد بن هانيء السبيعي (الطبري ٦ / ٢٧ الأخبار الطوال ص ١٩٠ وقعة صفين ص ٤٩٠).

(٣) هو يزيد بن هانيء أيضا، وكان قد عاد من عند الأشر وأخبر عليا برد الأشر وجوابه.

(٤) عن الأخبار الطوال والطبري، وبالأصل: وقفت.

(٥) الطبري والأخبار الطوال: لقد ظننت بها حين رفعت.

(٦) الطبري: ابن العاهرة.

قال: فانصرف الأشتر مغضبا وهو يقول: يا أهل العراق! يا أهل الرهن (١) و الوهن! ويلكم الآن حين علوتموهم بالطعن والضرب وعلموا أنكم قاهرون رفعوا لكم هذه المصاحف خديعة ومكرا، ثم دعوكم إليها! فقال الأشعث بن قيس: يا هذا! إننا قاتلناهم لله عزو وجل، وندع الساعة قتالهم لله عز وجل، قال: فقال الأشتر: ويحكم! فأمهلوني ساعة فلقد أحسست بالفتح وأيقنت بالظفر، فقالوا: لا، قال: فأمهلوني عدوة فرسي (٢)، فإني قد طمعت في النصر، فقالوا: إذا ندخل معك في خطيئتك، فإنهم قد دعونا إلى كتاب الله عز وجل، فقال الأشتر: إنه قد قتل أمثالكم (٣) وبقي أراذلكم، وقد كنتم إلى الساعة محقين، فإن تركتم قتالكم تكونوا مبطلين (٤)؟ قال: فصاحت به القراء وغيرهم من الناس وقالوا: دعنا منك يا أشر، فإننا لا نطيعك ولن نطيع صاحبك ونحن نرى المصاحف على رؤوس الرماح ندعى إليها. فقال الأشتر: لا والله ولكن خدعتم فانخدعتم، ودعيتم إلى وضع الحرب فأجبتم، ثم أقبل على أولئك القراء فقال: يا أصحاب الجباة السود! كنا نظن أن صلاتكم (٥) زهادة في الدنيا وتشوقا في الآخرة، وأنا والله فلا أرى فراركم إلا إلى الدنيا، فقبحا لكم وبعدا كما بعد القوم الظالمون.

قال: فسبوه وسبهم، وضربوا بسياطهم وجه فرسه وضرب بسوطه وجوه دوابهم، وهموا به وهم بهم، وأعانه (٦) بنو عمه، وكادت الفتنة أن تقع بين القوم حتى سكنهم علي وقال: كفوا عنه ما لكم وله. قال: فتكلم رجل من أصحاب علي رضي الله عنه وقال: يا هذا! إن أمير المؤمنين قد قبل الحق ورضي بحكم القرآن ولم يسعه إلا ذلك فلا تقتل نفسك،

(١) الطبري والأخبار الطوال: الذل.

(٢) في الأخبار الطوال: امهلوني فواقا. والفواق بضم الفاء وبفتحة ما بين الحلبتين من الوقت، فالناقاة تحلب ثم تترك سويعة يرضعها الفصيل لتدر، ثم تحلب.

(٣) الأخبار الطوال: خياركم.

(٤) في الأخبار الطوال ص ١٩٠: قال: ويحكم، كيف بكم وقد قتل خياركم وبقي أراذلكم، فمتى كنتم محقين، أحين كنتم تقاتلون أم الآن حين أمسكتكم؟ فما حال قتلاكم الذين لا تنكرون فضلهم، أفي الجنة أي في النار؟ وانظر عبارة الطبري ٦ / ٢٨ ووقعة صفين ص ٤٩١.

(٥) في الأخبار الطوال: إن صلاتكم عبادة وشوق إلى الجنة.

(٦) بالأصل: وأعانه.

فقال الأشتر: إن كان أمير المؤمنين قد رضي فقد رضيت بما رضي به أمير المؤمنين.
قال: فكان معاوية بعد ذلك يقول: والله لقد رجعت عني الأشتر يوم رفع
المصاحف وأنا أريد أن أسأله أن يأخذ لي الأمان من علي، وقد هممت ذلك اليوم
بالهرب ولكن ذكرت قول عمرو بن الأظنابة حيث يقول (١):
أبت لي عفتي وأبى بلائي * وأخذني الحمد بالثمن الريح
وإعطائي (٢) علي المكروه مالي (٣) * وضربي هامة البطل المشيخ (٤)
وقولي كلما جشأت وجاشت (٥) * مكانك تحمدي أو تستريحي
لأدفع عن مآثر صالحات * وأحمي بعد عن عرض صحيح
بذي شطب كلون الملح صاف * ونفس ما تقرر على القبيح
ثم رجعنا إلى الخبر

قال: فقال علي رضي الله عنه: أيها الناس! إنه ليس مع كتاب الله تعالى أمر
و لا مع حكمه حكم، هذا كتاب الله قد دعانا القوم إليه وأنا أحب أن أحيي ما أحيي
القرآن وأميت ما أمات القرآن، وقد علمتم أننا كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم في يوم الحديبية
فأردنا أن نقاتل إنكارا للصلح حتى نهانا عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم،
فإن أهل الشام إنما
دعونا إلى كتاب الله عزو جل اضطرارا ونجيبهم اعدارا، واسكنوا حتى ننظر ما الذي
يريدون أن يصنعوا.

قال: فوثب حريب بن جابر البكري فقال: أيها الناس! إنكم قد سمعتم كلام
أمير المؤمنين فاسمعوا كلامي، إن أمير المؤمنين لو كان خلوا من هذا الأمر لكان
المفزع (٦) إليه، فكيف وهو قائده وسائقه (٧)! إنه والله ما قبل من القوم اليوم إلا
الأمر

(١) الخبر في الكامل للمبرد ٣ / ١٤٣٤ وأمالى القالي ١ / ٢٥٨ عيون الأخبار ١ / ١٢٦ ومعجم المرزباني
ص ٢٠٤ وديوان المعاني ١ / ١١٤. ورواية الأبيات في حماسة البحري ولباب الآداب ص ٢٢٣.
و الطبري ٦ / ١٣.

(٢) في الكامل للمبرد: واجشامي، وفي معجم المرزباني: وإكراهي. وفي عيون الأخبار ولباب الآداب
و اللسان: واقدامي. وفي الطبري: وإعطائي.

(٣) المبرد: نفسي.

(٤) المشيخ: أشاح الرجل إشاحة فهو مشيخ: حاذر من الأمر.

(٥) جشأت وجاشت: نهضت نفسه إليه.

(٦) الإمامة والسياسة ١ / ١١٩ المرجع.

(٧) الإمامة والسياسة: وسابقه.

(188)

الذي دعاهم إليه أمس، ولو رده عليهم لكنتم عليه أعتب (١)، فلا يلحد في هذا الأمر إلا ورجع على عقبه أو يستدرج الذين تعرضوا بيننا وبين من طعن على أمير المؤمنين بعد هذا الأمر إلا بالسيف، ثم أنشأ يقول:

أتى نبأ من الأنباء ينمي * وقد يشقى من الخبر الخبير
وقد جاء معاوية بن حرب * بأمر قد تضيق به الصدور
فما أحى القرآن [و] وحي لكن * متى حاروا فمخ القوم زير
فلا تعجل معاوية بن حرب * وإن سرور ما تهوى غرور
فإنك والخلافة يا بن حرب * لكالحادي وليس له بعير

قال: ثم وثب جماعة من بني بكر بن وائل، منهم حريث بن جابر وخالد بن معمر وشقيق بن ثور وكردوس بن عبد الله (٢) إلى علي رضي الله عنه فقالوا: ما ترى يا

أمير المؤمنين؟ إن أحببت القوم أجبننا وإن أبيت أئينا، وها نحن بين يديك. فقال علي: أنا أحق من أجاب إلى كتاب الله (٣) ولكن معاوية وعمرو بن العاص وابن أبي معيط وحيب بن مسلمة والضحاك بن قيس وابن أبي سرح ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن، وأنا أعرف بهم منكم، لأنني (٤) قد رأيتهم صغارا وصحبتهم كبارا، وكانوا شر أطفال وشر رجال، وقد علمت أن رفع هذه المصاحف إنما هو وهن (٥) وخديعة ومكيدة، وليس يحل لي ولا يسعني في ديني أن أدعى إلى كتاب الله فأبى أن أقبله، لأنني إنما قاتلتهم ليدينونا (٦) بحكم القرآن، لأنهم قد كانوا عصوا الله فيما أمرهم به ونهاهم عنه، فلم ينتهوا ونقضوا (٧) عهده ونبذوا كتابه، غير أنني أراكم قد اجتمعتم على أمر لا أرى فيه مخالفتكم.

(١) الإمامة والسياسة: أعيب.

(٢) كذا بالأصل هنا، وقد مر قريبا كردوس بن هانئ.

(٣) في الأخبار الطوال ص ١٩٠: "عباد الله، إنا أخرى من أجاب إلى كتاب الله، وكذلك أنتم" وفي وقعة صفين ص ٤٩٠: "أنا أول من دعا إلى كتاب الله وأول من أجاب إليه".

(٤) الطبري ٦ / ٢٧ ومروج الذهب ٢ / ٤٣٣: قد صحبتهم أطفالا وصحبتهم رجالا، فكانوا شر أطفال وشر رجال.

(٥) الطبري: "خديعة ودهنا ومكيدة" ومروج الذهب: خديعة ودهاء ومكيدة.

(٦) الطبري ومروج الذهب: ليدينوا.

(٧) الطبري: ونسوا عهده.

قال: فجزاه القوم خيرا، فأنشأ الصلتان العبدى في ذلك يقول:
شقيق بن ثور قام فينا بخطبة* يبحث بها (١) الركبان أهل المشاعر
و هيهات أن يأتي (٢) الخطيب بمثلها* جرى الله خيرا من خطيب وناصر
و قد قام فينا خالد بن معمر* و كردوس الحامي ذمار العشائر
بمثل الذي حامى به حذو فعله* و قد بين الشورى حريث بن جابر
فلا يعدمنك (٣) الدهر ما هبت الصبا* ولا زلت مستقيا بأسحم ما طر
و لا زلت تدعى في ربيعة أولا* باسمك في إحدى الليالي الغواير
قال: فبيننا الناس كذلك إذ أقبل أبو الأعور السلمي من عند معاوية على بردون
له أشهب (٤) والمصحف على رأسه حتى وقف قريبا من عسكر علي رضي الله عنه ثم
نادى بأعلى صوته: لن يعطي واحد منا للآخر الطاعة، وقد قتل فيما بيننا بشر كثير،
و كل واحد منا يرى أنه على الحق فيما يطلب من صاحبه وإنما نتخوف أن يكون ما
بقي

أشد مما مضى، وإنما سنحاسب ونسأل عن هذا الموطن ولا يحاسب بما نحن فيه
غيرنا وغيركم، وقد جئتمكم في أمر لنا ولكم فيه حياة وعذر وصلاح وحقن الدماء وألفة
الدين وذهاب الفتن (٥) أن نجعل القرآن بيننا وبينكم حكما ويحكم بيننا حكمان
مرضيان: أحدهما من أصحابنا والآخر من أصحابكم، يحكمان (٦) بما في كتاب الله
عزو جل فإنه خير لنا ولكم، ونقطع هذه الفتن، فاتق الله يا علي فيما دعيت إليه
و ارض بحكم القرآن إن كنت من أهله - والسلام -.

قال: فصاحت به الناس: إنما قد رضينا بحكم القرآن. فقال أبو الأعور:
فالحمد لله على ذلك، ووقفنا وإياكم لصالح الأمور. ثم انصرف إلى العسكر فأنشأ
عبد الله بن حجر في ذلك يقول:
دعانا علي إلى خطة* فكنا له خير أنصارها

(١) وقعة صفين ص ٤٨٧: يحدثها.

(٢) وقعة صفين: بما لم يقف فينا.

(٣) وقعة صفين: فلا يبعدنك.

(٤) وقعة صفين ص ٤٩٣: أبيض.

(٥) وقعة صفين: ذهاب للضعائن والفتن.

(٦) بالأصل: يحكمون.

رضينا بإيرادها في الورود * وبعد الورود بإصدارها
على كل حال رضينا بها * بإظهار أمر وإضرارها
ولسنا نريد بها غيرها * ولسنا نكون من أشرارها
فمن أَلحد اليوم في رأيه * رمته المنيا بأقذارها
دعاه ابن هند إلى خطة * أقر بها بعد إنكارها
و أظهر فيها رضى بالقرآن * وليس له غير إظهارها
و فيها بقاء إلى مدة * ووضع الحروب لأوزارها
فإن قلت لا قلت لا مثلها * واحذاؤها حدو مقدارها
و ما الناس إلا رجال العراق * وبالشام مرعى لأعيارها
و بالشام اعداد أهل العراق * وليس لها مثل أختيارها
و ما العيش إلا بأحقافها * وما الكف إلا بأظفارها
قال: فغمد (١) الناس أسيافهم ووضعوا أسلحتهم وعزموا على الحكم. فقال
عمرو لمعاوية: كيف رأيت رأيي، لقد كنت غرقت في بحر العراق وأنقذتك، فقال
معاوية: صدقت أبا عبد الله ولمثلها كنت أرجوك.

ذكر ما كان بعد ذلك بينهم من المكاتبة

قال: ثم كتب علي رضي الله عنه إلى معاوية (٢): أما بعد، فإن أفضل ما
يشتغل به المرء المسلم اتباع ما يحسن به ويستوجب فضله ويسلم من غيه، وإن
البغي والباطل ليسعان بالموالي موارد الهلكة، واحذر الدنيا يا معاوية فإنه لا فرح في
شيء وصلت إليه منها وقد علمت أنك غير مدرك ما قضى الله فوته (٣)، وقد رام
قوم (٤) أمرا بغير حق فأكذبهم الله (٥) ومتعمهم قليلا ثم يضطرهم إلى عذاب غليظ،
فاحذر يوما يغتبط فيه من حمد عاقبة أمله وعمله ويندم من أمكن الشيطان من قيادة،

(١) بالأصل: فغمدوا.

(٢) الأخبار الطوال ص ١٩١ باختصار. نهج البلاغة كتاب رقم ٤٨.

(٣) في نهج البلاغة: " ما قضى فواته " هو دم عثمان والانتصار له. ومعاوية يعلم أنه لا يدركه لانقضاء
الأمر بموت عثمان (رض) (شرح محمد عبده).

(٤) نهج البلاغة: أقوام.

(٥) قال محمد عبده في شرح النهج: أولئك الذين فتحوا الفتنة بطلب دم عثمان يريد بهم أصحاب
الجميل.

وأراك قد دعوتني إلى حكم القرآن وقد علمت أنك لست من أهل القرآن ولا حكمه أردت، والله المستعان وقد أجبنا القرآن إلى حكمه ولسنا إياك أجبنا، فبيننا وبينك حكم القرآن، ومن لم يرض بالقرآن فقد ضللا مبينا (١) - والسلام على عباد الله الصالحين -.

قال: وكتب معاوية: أما بعد، فعافانا الله وإياك فإني إنما قاتلت على دم عثمان وكرهت التدهين في أمره وإسلام حقه، وقلت إن أدرك به نارا فيها ونعمة، وإن تكن الأخرى فإن الموت على الحق أجمل من الحياة على الضيم، وبعد فقد بان لك الذي فيه صلاحنا والألفة بيننا، وإنما استربت بالعفو بعد صلاح الأمة، وإنما أدخلني في هذا الأمر القيام بالحق فيما بين الباغي والمبغى عليه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فدعوت إلى كتاب الله بيني وبينك، وعلمت أنه لا يجمعنا وإياكم على الحق إلا القرآن، نحبي ما أحيا القرآن ونميت ما أمات القرآن - والسلام (٢) -.

قال: ثم كتب علي رضي الله عنه إلى عمرو بن العاص (٣): أما بعد، فإن الدنيا شاغلة (٤) عن غيرها، ولم يصب أحد (٥) منها شيئا إلا فتحت له حرصا يزيد رغبة فيها، ولن يستغني صاحبها بما نال منها، ومن وراء ذلك فراق ما جمع، والسعيد من وعظ بغيره، وإن الذي تنازعت فيه من الدنيا فإنها غرارة، فلا تحبط أجرك ولا تحام معاوية وباطله - والسلام -.

قال: فكتب إليه عمرو (٦): أما بعد، فإن الذي فيه صلاحنا وألفتنا الإنابة إلى الحق، وقد أنصف من جعل القرآن إماما ودعا الناس إلى أحكامه، وقد جعلنا القرآن حكما وأجبنا إليه، وصبر الرجل منا نفسه على ما حكم به عليه القرآن، واصبر أبا حسن فإننا غير منيليك إلا ما أنالك القرآن - والسلام -.

(١) الأخبار الطوال: بعيدا.

(٢) وقعة صفين ص ٤٩٧ - ٤٩٨ باختلاف بعض الألفاظ.

(٣) الأخبار الطوال ص ١٩١ وفي نهج البلاغة كتاب رقم ٤٩ ونسب من علي (رض) إلى معاوية بن أبي سفيان وليس إلى عمرو بن العاص. (٤) في النهج والأخبار الطوال: مشغلة.

(٥) النهج والأخبار الطوال: صاحبها.

(٦) الأخبار الطوال ص ١٩١ ووقعة صفين ص ٤٩٨.

قال: فأقبل الأشعث بن قيس إلى علي رضي الله عنه، فقال: يا أمير المؤمنين! إني أرى الناس قد رضوا (١) وسرهم أن يجيبوا أهل الشام إلى ما دعوهم إليه من كتاب الله عز وجل، فإن شئت صرت إلى معاوية فأسأله (٢) عما يريد وأنظر ما

يسأل! فقال علي رضي الله عنه: ذلك إليك، ائته إن شئت.
قال: وأقبل الأشعث حتى دنا من أهل الشام، ثم قال: يا معاوية! إنكم قد رفعتم هذه المصاحف وقد أجبناكم إلى حكمها، فهات ما الذي تريدون، قال معاوية: أريد أن نرجع نحن وأنتم إلى ما أمر الله به في كتابه، فتبعثون رجلا منكم ترضون به. ونبعث نحن أيضا رجلا منا، ثم نأخذ عليهما (٣) العهد والميثاق أن يعملوا (٤) بما في كتاب الله، ثم إننا نتبع ما اتفقا (٥) عليه، فقال الأشعث: ما أرى بها بأسا وهذا هو الحق. ثم رجع إلى علي فأخبره بمقالة معاوية (٦).

(١) الطبري ٦ / ٢٨: ما أرى الناس إلا قد رضوا.

(٢) الطبري: فسألته ما يريد، فنظرت ما يسأل.

(٣) عن الطبري، وبالأصل: عليهم.

(٤) عن الطبري، وبالأصل: يعملوا.

(٥) من الطبري، وبالأصل: اتفقوا.

(٦) انظر مروج الذهب ٢ / ٤٣٤.